الجمهوريــة الجزائريــة الديمقراطيــة الشعبيــة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعلـيـم العـالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

Université MUSTAPHA Stambouli
Mascara



جامعة مصطفى اسطمبولي
معسكر
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية
مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية

أطروحة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث

تخصص: تاريخ– الحوض الغربي للمتوسط: تاريخ وحضارة

فرع: الغرب الإسلامي: تاريخ وحضارة

العنوان:

الاتجاه الكلامي عند الإباضية بالغرب الإسلامي

تقديم الطالب: زقاوي محمد

يوم: 24 / 01 / 2019.

أمام لجنة المناقشة:

الرئيس: بوداود عبيد	أستاذ	جامعة: مصطفى اسطمبولي، معسكر
المناقش: بن معمر محمد	أستاذ	جامعة: وهران1، أحمد بن بلة
المناقش: بودالية تواتية	أستاذ محاضر أ	جامعة: مصطفى اسطمبولي، معسكر
المناقش: بوعقادة عبد القادر	أستاذ محاضر أ	جامعة: لونيسي علي، البليدة2
المقرر: بلبشير عمر	أستاذ	جامعة: مصطفى اسطمبولي، معسكر

السنة الجامعية:1439/1440 -2018/2019



﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

سورة النحل: الآية 125.

الإهداء

الى روح أمي الطاهرة جعل الله قبرها روضة من رياض الجنة

الى والدي الكريم الذي كان دائما يشجعني على طلب العلم

الى روح صديقي أمين

الى جميع أفراد عائلتي الكبيرة والصغيرة

الى معلميّ وأساتذتي من الابتدائي الى الجامعة

الى جميع الأحبة والأصدقاء

شكر وعرفان

أتوجه بالشكر والحمد الى الله سبحانه وتعالى الذي يسر لي سبي العلم وأمدني بالصحة والعافية والصبر حتى أتممت هذا العمل، فما كان فيه من صواب فبفضله ورحمته، وما كان فيه من خطأ فهو من قصور البشر وعجزهم، ثم لأستاذي عمر بلبشير جزيل الشكر والعرفان، الذي رافق عملي هذا بتوجيهاته وإرشاداته حتى وصل العمل الى هذه الصورة.

فقد كان هو بمعية طاقم لجنة التكوين في الدكتوراه حريصين على انجاز هذا العمل في الوقت المحدد له، وكانت نصائحهم الدائمة لي دافعا لإنهاء العمل.

والشكر الموصول كذلك للسادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة على قراءة عملي وتقيمه من أجل تصويب أخطائي.

كما لا أنسى أن أشكر كل من ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل، وأخص بالذكر القائمين على المكتبات التالية: مكتبة الإباضية بالمسجد العتيق بالعاصمة، ومكتبة جمعية التراث بالقرارة بغرداية ومكتبة الشيخ اطفيش بغرداية.

والله ولي التوفيق.



مقدمة

كانت العقيدة الإسلامية محل عناية خاصة من طرف علماء الإسلام في العصور المختلفة والأمصار المتباعدة، على اختلاف تياراتهم ومذاهبهم الفكرية، فهماً وشرحاً ونشراً لتحقيق غاية التوحيد، إلا أن مناهج تحقيق هذه الغاية كانت محل اختلاف بين هذه الاتجاهات الفكرية[1] لاختلاف المدارك والمشارب وتباين الرؤى، ولقد جرت بينهم المناظرات واحتدم النقاش، فكل طائفة تنافح عن مذهب إمامها تتحرى في ذلك القواعد الصحيحة والطرائق القويمة التي يُحتج بها، وانبرت الأقلام والألسن لنصرة المذهب المتبّع كلٌّ حسب ميوليه التي جنحت به إلى قناعات ارتآها أو مرويات تبناها وتمسك بها.

ولطالما كان الصراع العقدي هو الأصل الذي تتفرع منه الصراعات الأخرى، وتظهر نتائجه جلية في سلوكات الأفراد والجماعات، وهو الأصل الذي يضبط قواعد التعامل مع الذات ومع الآخر، انطلاقا من اجتهاد فكري لفهم النص العقدي وفق قواعد تُبرر اختيارات مذهب ما، ومن هنا لا يخفى على المهتمين بهذا المجال حضور مفاهيم علم الكلام وتوظيفها لتحقيق هذه الغاية.

لم تشذ الحياة الفكرية ببلاد المغرب الإسلامي عن ذلك، إذ عرفت بعد حركة الفتح وفود عدة تيارات مذهبية عقدية وفقهية تباينت تصوراتها واختلفت مفاهيمها في رؤية الدين، مما نتج عنه جدل واسع بين هذه التيارات الفكرية، تجاوز حدود الحوار السلمي أحيانا الى تعصب فكري وأفضى في بعض الأحيان الى صدام عنيف، خاصة لما ينتصر السياسيون لرأي على حساب الأخر خدمة لاستمرار سلطتهم ونفوذهم، وقد سجلت لنا كتب التاريخ العام وكتب السير والتراجم الكثير من أشكال هذا الصراع سواء

[1]– يجب التنويه هنا الى التفريق بين الثوابت التي لا اجتهاد فيها (ما عُلِمَ من الدين بالضرورة)، وما استجد من المسائل العقدية ليست قطعية الدلالة والثبوت، تستدعي الاجتهاد والنظر للوقوف على حكمها وفقا لمنهج ما، والتي كانت محل اختلاف وتدافع بين مختلف التيارات الفكرية الإسلامية. محمد آيت حمو: فضاءات الفكر في الغرب الإسلامي، دار الفارابي، لبنان، ط1، 2011، ص166.

السلمي أو العنيف الذي حسم في الأخير الشكل الفقهي والعقدي لبلاد المغرب الإسلامي.

ولم يشذ تاريخ الإباضية السياسي والفكري ببلاد المغرب عن هذا الإطار، إطار الصراع السياسي والفكري، وقد شهد تحولا هاما بداية من سقوط الدولة الرستمية ببلاد المغرب الإسلامي سنة(296هـ/909م) الى غاية نهاية القرن السادس هجري، حيث برزت خلال هذه الفترة كثير من التطورات السياسية والمذهبية التي كان لها الأثر الواضح في بلورة المعارف العقدية وباعثا لقراءة جديدة لهذه المعارف.

ومن أهم تلك الأحداث قيام الدولة الفاطمية الشيعية في طورها المغربي(296-362هـ/908-973م) التي سعت إلى بسط نفوذها على أكبر جزء من أرضه، كما عملت على نشر مذهبها طوعا تارة وكرها تارة أخرى، وما كان لسياستها من تأثير على مدنه، ثم قيام دولتي بني حماد(398-547هـ/1008-1152م) وبني زيري (440-555هـ/1048-1160م) اللتين أعادتا الاعتبار للمذهب المالكي على اثر انسحاب الفاطميين من بلاد المغرب، ثم صفاء المغرب لسلطان الموحدين، وفسح المجال لانتشار الفكر الأشعري على أوسع نطاق، وكانت نتيجة كل ذلك انحسار التجمعات الإباضية ببلاد المغرب على أطراف المدن بجبل نفوسة وجزيرة جربة بالمغرب الأدنى وورجلان بالمغرب الأوسط.

أما على المستوى الفكري فإن هذه الفترة عرفت كذلك تحولا هاما على مستوى فهم قضايا الدين، فلم يعد المغاربة يكتفون بالتقليد، وأصبح الرجل الذي باستطاعته تقديم الحجج عن المذهب الذي يومن به أسمى من الرجل الذي يحمل مذهبا دون أن يكون في مقدوره تبريره، ومن ثم تكمن أهمية رصد هذا التطور الفكري ومختلف الاتجاهات الكلامية المصاحبة له في المغرب الإسلامي والتأسيس لفهمه.

هذا ولا يستقيم البحث في تاريخ الاتجاهات الكلامية في بلاد المغرب الإسلامي باعتباره معطى ثقافيا حضاريا بعيدا عن أحوال السياسة والاجتماع والاقتصاد والجغرافية المحيطة بالمرحلة التاريخية المراد دراستها، ولم يشذ علماء الإباضية المغاربة عن ذلك، فخاضوا في مسائل العقائد والكلام وألفوا فيها، وكانت لهم ردود جدلية مفعمة بالمنطق والبرهان على أصحاب الفرق والمذاهب ضمن آليات عمل متناغمة مع التطوّرات السياسية والفكرية المصاحبة لمسيرة المذهب، ومحاولة منا لفهم هذه التجربة ورصد خطواتها وتطورها واجتهاداتها عند الاباضية، جاء التأسيس لموضوع بحثنا الموسوم بــ:

. الإتجاه الكلامي عند الإباضية بالغرب الإسلامي .

وقد حددت الإطار الزمني لهذه الأطروحة من بداية القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي الى نهاية القرن السادس هجري/الثاني عشر الميلادي، وامتدت بعض مواضيع البحث الى قرون سابقة لدواعي كانت تفرضها ضرورة البحث عن أصول الاجتهاد الكلامي، إذ إن فترة البحث ماهي إلا نتيجة لمقدمات سابقة وهي حلقة من حلقات متصلة لتطور الكلام الإباضي ظلت مستمرة بعد ذلك.

أهمية الموضوع وأسباب اختيار البحث فيه:

تكمن أهمية هذا البحث فيما نسعى إليه من إبراز الرؤية الإباضية لعلم الكلام من خلال عرض مختلف آرائهم الكلامية وشرح مصطلحاتها ومناهجهم وتتبع مساراتها التاريخية، وتفنيد الأحكام المسبقة التي وردت في بعض المصادر خاصة منها المالكية التي مفادها قلة اهتمام المغاربة بهذا المجال وكأن صناعة الكلام صناعة مشرقية محضة يكاد يختص بها ما كان يسمى بأهل الأهواء والبدع، الذين لا يعدون في طبقات العلماء بتعبير ابن عبد البر[1].

[1]– ابن عبد البر يوسف النمري القرطبي: جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، إدارة الطباعة المنيرية، مصر، د ت، ج2، ص95.

إن الفكرة السائدة بأن الاتجاهات الكلامية بالمغرب الإسلامي لم تعرف الانتشار والتوسع والتنوع الذي كانت عليه في بلاد المشرق لا تبدو سليمة، ذلك أن واقع الحال غير ذلك تماما، إذ عرفت بلاد المغرب الإسلامي جل المذاهب والفرق التي كانت في المشرق، وكان الإختلاف الفكري بين مختلف الاتجاهات الكلامية على أشده، بل أكثر من ذلك اجتهد المغاربة في تطوير وتطويع المقالات الكلامية المشرقية بما يناسب البيئة الاجتماعية والثقافية المغربية، فكان لهم الخصوصية التي تميزوا بها عن المشارقة، بل أكثر من ذلك ظهرت ببلاد المغرب طوائف لا يقابلها نظير في المشرق فهي مغاربية بامتياز.

وما حال إباضية المغرب الإسلامي إلا شاهد واضح على ذلك، باعتبارها أحد المكونات المذهبية والكلامية المغربية لها خصوصيتها من حيث تقرير مسائل العقيدة والمناهج المسلوكة في اثباتها والدفاع عنها، ومن ثم نهدف أيضا إلى تقديم نظرة واضحة لعلم الكلام الإباضي المغاربي مقوماته وخصوصياته ومراحل تطوره ونقاط الاتفاق والاختلاف مع المخالفين لهم، وكيف ساهم هذا الفكر في تنشيط علم الكلام والحياة العلمية بصفة عامة في المغرب الإسلامي.

أهمية هذه الفترة الزمنية في صناعة الخصوصية الفكرية لبلاد المغرب وبروزها ووضوحها بشكل تام، وهي مرحلة النضال والسيادة، تقع الفترة بين تحولين هامين في الحياة الفكرية لبلاد المغرب بين مرحلة النشأة والانتشار ومرحلة النضج والذروة[1] وهو ما يغري الباحثين في البحث عن خصائصها وملامحها، خاصة وأنها لا تزال حاضرة الآن بوفرة الإنتاج الكلامي الذي خلفه علماء الإباضية ببلاد المغرب الإسلامي،

---

[1]– المبروك المنصوري: الفكر الإسلامي في بلاد المغرب، تشكله وتطوره وانتشاره، الدار المتوسطية للنشر، تونس، ط1، 2011، ص13. فرحات الجعبيري: البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، نشر جمعية التراث، غرداية، 1987، ج2، ص766.

أما عن المكان فقد ورد في الموضوع العام للبحث الغرب الإسلامي، وهو مصطلح عام يشمل بلاد المغرب والأندلس، إلا أنه تبين لنا من خلال مسار البحث أن تتبع النشاط الكلامي للإباضية بالأندلس غير ممكن في حدود ما وقعت عليه أيدينا من مصادر، فعدلّنا المصطلح الغرب الإسلامي بالمغرب الإسلامي وهو الأقرب الى محل بحثنا.

من الأسباب التي دفعتني لاختيار الموضوع:

ـ الرغبة في فهم تشكل التجربة الدينية الإسلامية ببلاد المغرب الإسلامي بصفة عامة والتجربة الإباضية بصفة خاصة في ارتباطها بموضوع علم الكلام عند الإباضية التي كتب لها البقاء في مناطق متفرقة ببلاد المغرب اليوم، ناشدين من ذلك الوحدة ونبذ التعصب المؤدي الى النعرات الطائفية والمذهبية وتجاوز الصراع المذهبي الذي لا يزال البعض يعيشه الى يومنا هذا، وليكون ما جرى من أشكال الصراع الفكري والمذهبي المفضي أحيانا الى استعمال القوة عبرة وموعظة للأجيال اللاحقة، ومن أجل الانفتاح على الغير من خلال نبذ التعصب للمذاهب والنظر الى الاختلاف نظرة ايجابية عبر توجيه الخطاب حين نختلف من النزوع الى التكفير الى رأيي صواب يحتمل الخطأ ورأيك خطأ يحتمل الصواب.

ـ كسر الرتابة في الدراسات التاريخية الثقافية والفكرية لبلاد المغرب الإسلامي التي كانت في جلها حول المالكية والمعتزلة ثم الأشعرية والصوفية، وما حظ الإباضية من ذلك إلا في حدود ضيقة جدا لا تتجاوز صفحات معدودة من هذه الدراسات.

ـ عزوف الباحثين المنتمين لغير المذهب الإباضي عن الخوض في الكتابة حول التاريخ الفكري للإباضية، إلا ما كان عرضا أو عاما كالاتجاهات الفكرية ببلاد المغرب والصراع المذهبي، أما أن تكون أساسا لموضوع بحث مستقل فهذا نادر جدا إلا ما كان من باحثين إباضيين أو من مستشرقين.

الدراســات الســــابقة: حتـى نلـم بقدر كبيـر بجوانـب الموضـوع كـان لزامـا علينـا الاطلاع على الدراسات السابقة ذات صلة مباشرة أو غير مباشرة بموضوع البحث، كان لها فضل السبق في الخوض في تاريخ الفكر الإباضي ببلاد المغرب استأنست بها واستفدت منها كثيرا من أهمها:

1- "الفكر العقدي الإباضي بالمغرب من بداية القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي إلى نهاية القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي لـ "بابا واعمر خضير بن بكير"، بحثٌ مقدم لنيل شهادة دكتوراه علوم في العقيدة ومقارنة الأديان، تخصص عقيدة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، السنة الجامعية (2018/2017م) بقسنطينة، حصلت على نسخة منها وأنا على مشارف الانتهاء من تحرير بحثي هذا، وهي دراسة تتكامل مع بحتنا في حقله التاريخي، ذلك أن هذه الأطروحة يغلب على أسلوب صاحبها الطابع الشرعي الأصولي التقعيدي للمسائل العقدية للإباضية على حساب الطابع التاريخي بحكم التخصص.

2- تقدم بها الباحث: سليمان بن قاسم بكوش – المسائل الخلافية في المذهب الإباضي– رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، تخصص عقيدة، من جامعة الجزائر1، كلية العلوم الإسلامية، قسم العقائد والأديان(2014–2015م)، تناول فيها أهم القضايا الخلافية في علم الكلام الإباضي بين علماء المذهب، لم يلتزم الباحث في عرضها بفترة زمنية محددة، وتطرق فيها الى نماذج لمواقف علماء الإباضية من هذه المسائل من القرون الأولى لنشأة الإباضية الى الفترة المعاصر.

3- تقدمت بها الباحثة دليلة خبزي – "الآراء الكلامية لأبي يعقوب الورجلاني من خلال كتابه الدليل والبرهان"– رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في أصول الدين من جامعة الجزائر1، كلية العلوم الإسلامية، (2001–2002م)، اقتصرت فيها على عرض أبرز الآراء الكلامية لأبي يعقوب الورجلاني من خلال تحليل محتوى كتابه "الدليل

والبرهان"، فكانت الرسالة مقتصرة على نموذج واحد من علماء الكلام الإباضية دون مقارنة.

4- تقدم بها الباحث حمزة بن بوسهال بو معقل-"الآراء العقدية لأبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي(ت471هـ) من خلال كتابه "التحف المخزونة"-رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، تخصص عقيدة، من جامعة الجزائر1، كلية العلوم الإسلامية، قسم العقائد والأديان (2011-2012م)، مضمون الرسالة هو تحقيق كتاب "التحف المخزونة"، وكانت كذلك مقتصرة على نموذج واحد من علماء الإباضية وإن كانت الآراء الكلامية لصاحب الكتاب من صلب اهتمامنا لأن صاحبها عاصر فترة الدراسة.

5- تقدم بها الباحث بن دريسو مصطفى -"الآراء العقدية عند الإباضية حتى نهاية القرن الثالث هجري"- رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير من جامعة بغداد بالعراق (2001م)، تعرض فيها الى مختلف الآراء العقدية لعلماء الإباضية المشارقة والمغاربة حتى نهاية القرن الثالث هجري، وهي مرحلة التأسيس والانتشار ومن ثم عُدت الرسالة كمقدمة لبحثنا.

6- تقدم بها الباحث بن بلحاج وعلى بكير -"الإمامة عند الإباضية بين النظرية والتطبيق مقارنة مع أهل السنة والجماعة"- رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير من جامعة الجزائر، المعهد العالي لأصول الدين(1993/1994م)، أجرى فيها الباحث مقارنة بين أهل السنة والجماعة والإباضية في باب الإمامة، وهي دراسة وافية إلا أنها كانت كذلك مقتصرة على مسألة كلامية واحدة مع عدم الالتزام بفترة زمنية معينة.

7- تقدم بها الباحث مزهودي مسعود وهو متخصص في التاريخ الإباضي المغاربي عنوانها -"الإباضية في المغرب الأوسط منذ سقوط الدولة الرستمية إلى هجرة بني هلال إلى بلاد المغرب (296-442هـ/909-1058م)"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير

فـي التـاريخ مـن جامعـة القـاهرة(1988)، ثـم تقـدم برسـالة آخـرى لنيـل شـهادة الـدكتوراه عنوانها-"جبل نفوسة في العصر الإسلامي الوسيط (21-442هـ/642-1053م)".

إضافة الى دراسات أخرى تطرقت الى التاريخ الفكري للإباضية في مختلف أقاليم تواجد التجمعات الإباضية في فترة البحث، أو الحديث عنها في فصل من فصول بحث يتعلق بالحيـاة المذهبيـة ببلاد المغرب وهـي كثيـرة منهـا ورسـالة الباحـث محمـد غزالـي- "النشاط الفكري للمذاهب غير السنية في بلاد المغرب الإسلامي من منتصف القرن(2هـ) الى نهاية القرن(5هـ)"- المقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ بجامعة معسكر(2016)، ورسالة الباحث سبع قادة- "الصراع المذهبي العقدي بالمغرب الإسلامي أسسه، مجالاته وانعكاسـاته"- رسـالة مقدمـة لنيـل شـهادة الـدكتوراه فـي التـاريخ بجامعـة وهـران(2015)- ورســالة الباحــث عمــر لقمــان بوعصــبانة -"معــالم الحضــارة الإســلامية بورجلان(296هـ/626م) "- رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير المعهد العالي لأصول الدين(1991/1992م)، جامعة الجزائر. ورسالة الباحث حمامد محمد -"الحياة الإجتماعية والثقافيـة بـورجلان خـلال القـرنين(5-6 هـ)"- رسـالة مقدمـة لنيـل شـهادة الماجسـتير فـي التاريخ من جامعة أحمد دراية بأدرار(2015)، ورسالة الباحث صالح بن عمر اسماوي - "نظـام العزابـة ودوره فـي الحيـاة الاجتماعيـة والثقافيـة بـوادي ميـزاب"- رسـالة مقدمـة لنيـل شهادة الماجستير تاريخ من جامعة الجزائر(1987).

رغم أهمية هذه الدراسات العلمية إلا أنها كانت قاصرة عن إيفاء الموضوع حقه من البحث، ولا تقدم صورة كافية عن علم الكلام الإباضي في الفترة الزمنية المحددة للبحث، فعمدت الى ذكره في جزئية بسيطة تتعلق بالحياة الثقافية عامة دون التعمق في دراسته، أو حصره في زاوية دينية محضة بعيدا عن أحوال السياسة والاجتماع والاقتصاد، خاصة وأن بروز القضايا الكلامية ووضوحها مرتبط بهذه الأحوال، وهو ما يستوجب بحثا خاصا

ومستقلا نتطلع من خلاله الى إبراز ما خفي والتعمق فيما كان سطحيا وجمع ما كان مشتتا.

إشكالية البحث:

إن السؤال المركزي الذي يطرح في هذا الشأن هو: ماهي معالم الاجتهاد الكلامي الإباضي ببلاد المغرب بعد سقوط دولة الرستميين من حيث غايته وأشكاله ومناهجه؟ وللإجابة عن هذا السؤال يتعين علينا تنويع زوايا النظر من أجل مسايرة تطور هذا الفكر في مرحلته المغربية وهذا ما دفعنا الى تجزئته الى أسئلة فرعية هي كالتالي:

ماهي الصورة التي كان عليها الإجتهاد الكلامي عند إباضية المغرب الإسلامي في فترة البحث؟ وما هو دور علماء الإباضية ببلاد المغرب في التأصيل لمسائل علم الكلام؟ وهل بقي تابعا لمثيله في المشرق؟ ماهي مواطن الخصوصية ونقاط التفرد؟ وما أثر البيئة السياسية والإجتماعية والثقافية المحيطة بفترة البحث في بلورة وتطوير مقالاته؟ وهل مضامين مقالاته المعرفية والإيديولوجية تعبر فعلا عن طبيعة المرحلة التاريخية أم تتجاوزها؟

منهج البحث:

أما عن طريقة تحرير الموضوع فقد تتبعت مصادر المادة العلمية في مكامنها الأصلية، التي اهتمت في مجملها بالجوانب التاريخية والجغرافية والعقدية، وأمام تفرعات البحث في جزئياته خاصة أثناء المقارنة بين الآراء الإباضية ومختلف المذاهب والفرق الأخرى، اعتمدت في أغلب الأحيان على النص المصدري ما أمكن ذلك، ثم أتبعته بالتعليقات والاستنتاجات التي توصلت إليها انطلاقا من هذه النصوص، وفي نفس الوقت أوردت الحجج التي استندت إليها في ذلك، دون إغفال توظيف نتائج الدراسات والأبحاث ذات الصلة بالموضوع، وحاولت قدر الإمكان توثيق المادة المقتبسة في مختلف المصادر والمراجع.

أما بالنسبة للأعلام فلم أترجم إلا لأعلام المدرسة الإباضية الذين كان لهم الأثر الواضح في جزئيات البحث، ولكثرة أعلام الإباضية المذكورين في ثنايا البحث اقتصرت في التعريف ببعض الأعلام على ذكر طبقاتهم أو عصرهم فقط باعتبار موقعهم الثانوي من البحث، أما أعلام غير هذه المدرسة فقد ترجمت لبعض الأعلام غير المعروفين فقط، أما المعروفون فكتب تراجمهم موجودة حتى لا أثقل المتن بالهوامش.

- شرحت المصطلحات الكلامية الإباضية خاصة منها التي تحمل معنى غير المعنى المعروف عند أصحاب المقالات الأخرى، رغم أن المصطلح اللغوي واحد كالكفر والإيمان حتى لا يلتبس الأمر على القارئ.

- عرفت كذلك بالقبائل والمواقع الجغرافية ذات الصلة الوثيقة بالإباضية ببلاد المغرب.

- عرفت بالمذاهب والفرق التي ذكرت في ثنايا البحث.

- وضعت في آخر البحث فهارس علمية للآيات والأعلام والمواقع والفرق والمذاهب وفهرسا للمصادر والمراجع وآخر للموضوعات.

ونظرا لطبيعة الموضوع وتنوع مباحثه تنوعت المناهج المستخدمة انطلاقا من مقاربة تاريخية للموضوع بدرجات مختلفة حسب خصوصية المادة المعرفية المتعلقة بجزئيات موضوع البحث.

المنهج التاريخي: يقترن البحث أساسا بزخم من الأحداث التاريخية، كان لها تأثير مباشر على المواقف الفكرية للإباضية ببلاد المغرب الإسلامي من عدة قضايا ومن ثم كان لابد من توظيف المنهج الوصفي الذي يؤرخ للإباضية ببلاد المغرب ويبين الظروف التي واكبت ظهور وتطور الفكر العقدي الإباضي، من جهة ومن جهة اخرى تعليل مجريات هذا التطور، وهو ما ييسر تحليل أفكارها.

المنهج التحليلي: من خلاله نحلل مضامين الخطاب الكلامي الإباضي بغية إدراك

معانيه الحقيقية وتمييزها عن غيرها من الخطابات الكلامية الأخرى، وهو ما يمكننا من الوقوف على مساهمات علماء الإباضية في حقل الدراسات الكلامية، وأهم الجهود التي بذلوها، وكيف استطاعوا أن تكون لهم شخصية علمية متميزة قارعوا بها مختلف الاتجاهات الكلامية الأخرى بالتأليف تارة وبالحوار والمناظرة تارة أخرى وابراز آثارها ونتائجها.

المنهج النقدي المقارن: الذي يعتمد على مواطن الخلل والنقص في أدلة المخالفين وهذا من أجل تحديد مواطن الاختلاف والتشابه والتداخل بين الإباضية ومختلف الفرق الأخرى، ملتزما هنا بنقل الحجج من مصادرها الإباضية أو مصادر الفرق الأخرى خاصة الأشاعرة والمعتزلة، والاستعانة بأدوات الإحصاء المصاحبة للمقارنة حتى نقف على تفسيرات مقنعة.

خطــة البحــث:

لقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن أضع له الخطة التالية: مقــدمة، وقسمان نظري وتطبيقي يسبقهما فصل تمهيدي وخاتمة.

تتضمن **مقدمــة هــذا البحــث** أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، هدف البحث، الدراسات السابقة، خطة البحث، منهج البحث.

ويتضمن **الفصل التمهيدي** مدخلا تاريخيا للتعريف بالإباضية وتأسيسها، ثم أهم مراحل انتشارها في بلاد المغرب الإسلامي قبل القرن الرابع الهجري، مع الإشارة الى أهم مقالاتها العقدية التي تتبناها، ثم عرفت فيه علم الكلام وبينت موضوعه ومناهجه وغاياته.

وأما القسم الأول فكان ذا طابع نظري في فصلين:

الفصل الأول: علم الكلام ببلاد المغرب الإسلامي بصفة عامة، تحدثت فيه عن حال علم الكلام ببلاد المغرب وعوامل دخوله المتأرجحة بين عوامل داخلية وأخرى

خارجية، ثم أشرت الى مختلف الاتجاهات الكلامية ببلاد المغرب، وشرحت فيه أسباب تأخر الجدل الكلامي عند المغاربة وختمت ذلك بخلاصة جزئية.

أما **الفصل الثاني:** فقد خصصته لعلم الكلام الإباضي ببلاد المغرب، تحدثت فيه عن عوامل نزوع الإباضية الى الكلام ببلاد المغرب، معرجا على الفتن الإباضية التي كانت من الأسباب المباشرة الى هذا النزوع، ثم تطرقت الى طبيعة علم الكلام الإباضي وإبراز أهم خصوصياته، مع الإشارة الى مراحل تطوره، وبعدها تناولت مواقف الإباضية من أهم المسائل الكلامية المعروفة، مبرزا مختلف حججهم في تبرير هذه المواقف مع التركيز على طابع المرحلة التاريخية وأثرها في ذلك.

وأما القسم الثاني فكان تطبيقيا في فصلين الثالث والرابع:

الفصل الثالث: خصصته لحلقة العزابة ودورها في نشر وتطور الكلام الإباضي، تحدثت فيه عن حلقة العزابة ودواعي تأسيسها، وعن دورها في إنزال علم الكلام من برجه العاجي الى الواقع العملي بغية تمكين أفراد المجتمع الإباضي من أساليبه الاستدلالية للمحافظة على استمرار المذهب، تأقلما مع الأوضاع السياسية والفكرية التي آلت اليها جموع الإباضية ببلاد المغرب، وكيف نجح متخرجوها في تحقيق هذا الهدف، وأشرت الى نخبة هؤلاء المتخرجين مع التعريف بمنتجاتهم الكلامية، وختمت الفصل بجدول بياني يختصر ذلك المجهود.

أما الفصل الرابع: فخصصته للمناظرات التي كانت بين الإباضية الوهبية باعتبارها الفرقة الأم ومختلف الفرق الإباضية الأخرى المنشقة عنها أولا، وثانيا بين الإباضية ومختلف التيارات الأخرى كالمالكية والمعتزلة والشيعة وختمت الفصل بخلاصة جزئية.

الخاتمة: تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

مصادر البحث:

إن البحـث فـي التجربـة الدينيـة الإباضـية بـبلاد المغـرب الإسـلامي فـي تطورهـا ومراحلها نجاحاتها واخفقاتها يحتم علينا استثمار المنتجات الفكرية الإباضية والمنتجات الفكرية للمذاهب الأخرى لفترة الدراسة، باعتبار أصحابها كانوا فاعلين في صناعة تاريخ الإباضـية بشـكل مباشـر أو غيـر مباشـر، وتوزعـت هـذه المنتجـات بـين كتـب العقائـد والتفسير وكتب الملل والنحل وكتب السير والطبقات والتاريخ والرحلة والجغرافيا (للبحث عن المعطيات المرتبطة بموضوع الدراسة).

. المصادر الإباضية:

أ . **كتب السير والطبقات:**

تمثل كتب السير والطبقات الإباضية حجر الزاوية للمهتمين بتاريخ الإباضية ببلاد المغرب، إذ لا يمكن لأي باحث الاستغناء عنها في الكتابة عن الإباضية ورجالها حيث مـا وجـدوا ببلاد المغرب، وفـي رصـد مـواقفهم الفكريـة والمذهبيـة ومنـاظراتهم مـع مختلـف المذاهب المخالفة، وإن كانت تمثل وجهة نظر كتّابها في صياغة تاريخها ككتاب "**سير الأئمة وأخبارهم** " لأبي زكرياء يحي بن أبي بكر الورجلاني(474هـ/1078م) الذي أفادني كثيرا في مختلف فصول البحث، خاصـة فيما يتعلق بأوضـاع المجتمعات الإباضية ببلاد المغرب بعد سقوط الدولـة الرستمية، وأشهر مشائخ الإباضية ومختلف نشاطاتهم العلمية في خدمة المذهب الإباضي بعد سقوط دولتهم، وأخبار عن تأسيس نظام العزابة ودورها في بعث النشـاط الفكري بعد سقوط الدولـة الرستمية، كمـا زودنـا هذا المصدر بتفاصيل عـن الفـرق الإباضـية التـي انشـقت عـن الإباضـية الأم(الوهبيـة) ومبادئهـا مثـل النكاريـة والفرثيـة والسـكاكية، ويبـين لنـا طبيعـة الخـلاف بـين هـذه الفـرق وعلاقـة كـل واحـدة منهـا بالفرقة الأم، مع الإشارة الى الجدل الفكري الذي كان بين الإباضية والمعتزلة.

وكتـــاب"**ســـــير الوســـــياني**" لأبـــي الربيـــع ســـليمان بـــن عبـــد الســـلام

الوسياني(حي557هـ/1161م) الذي تحدث فيه بإسهاب عن تراجم أعلام الجريد وورجلان بالقسط الأكبر فكان ترتيبه في ترجمته للأعلام طبقا لمناطقهم، وهو من المصادر الهامة لتاريخ الإباضية ببلاد المغرب الإسلامي في الفترة ما بين السنوات الأخيرة للدولة الرستمية حتى القرن السادس هجري، وأثناء الحديث عن أسماء المشائخ والترجمة لهم نستتشف من هذه التراجم العقائد والآراء الكلامية، ونفس المعاينة لكتاب "**سير مشائخ نفوسة**" لمقرين بن محمد البغطوري(ت599هـ/1202م) الذي ترجم فيه لأكثر من تسعين عالما من جبل نفوسة.

وكتاب "**طبقات المشائخ بالمغرب**" لأبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني(650هـ/1252م) ينقسم كتابه إلى قسمين أدرج في الأول منه ما كتبه أبو زكرياء الورجلاني مع تعليقات وتوضيحات غلب عليه تاريخ الدعوة الإباضية في بلاد المغرب، وأثبت في القسم الثاني مجموع سير رجال الإباضية وشيوخها في طبقات، وقسم تراجمه إلى اثنتي عشرة طبقة، تغطي كل طبقة منها فترة خمسين سنة تغطي هذه التراجم الفترة ما بين القرن الأول الهجري الى غاية منتصف القرن السابع هجري، وجاءت الطبقات الأولى خاصة بعلماء المشرق في القرنين الأول والثاني للهجرة، مقتصرا على ما أورده أبو زكرياء يحيى الورجلاني، بينما أفرد الطبقات الثمانية الموالية لمشائخ الإباضية بالمغرب، مع تسّليط الضوء على الحياة الاجتماعية والعلمية للمجتمعات الإباضية بالمغرب، وفي ثنايا ترجمته يزودنا الدرجيني بمعلومات هامة عن آراء الإباضية من بعض المسائل الكلامية كمسألة القدر ومسألة خلق القرآن، وقد كان لهذا الكتاب فائدة جليلة في تزويد البحث بالعديد المعطيات عن أعلام الإباضية وإنتاجهم الكلامي.

أما كتاب "**الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخل به كتب الطبقات**" لأبي القاسم بن إبراهيم البرادي(ت792هـ/1390م) كان هدفه من خلال هذا الكتاب إتمام **كتاب** "**طبقات المشائخ**" للدرجيني(ت670هـ/1271م)، يكتسي الكتاب أهمية بالغة نظرا لاحتوائه

على عناوين مؤلفات علماء الاباضية المشارقة والمغاربة في العقيدة وعلم الكلام، ولعل من أهم ذلك عرض محتوى رسالة محمد بن أفلح في خلق القرآن كاملة، ما جعل فائدته لهذا البحث ذات قيمة كبيرة، وهو ما جعل إجراء مقارنة بين مختلف الحقب التاريخية من حيث الإنتاج الفكري لعلماء الإباضية ممكنة وسهلة، وتمكننا من الوقوف على خصوبة المردود الفكري لعلماء الإباضية.

وكتاب "**سير الشّماخي**" (ت928هـ/1522م) موسوعة مهمّة في تاريخ إباضية المغرب ابتداء من القرن الأوّل الهجري إلى غاية القرن العاشر، لا يقل أهمية عن كتب السير والطبقات السابقة، بل هو جامع لها بتنسيق جيد خاصة وأنه يعتمد على مصادر آخرى غير إباضية، يزودنا هذا المصدر كذلك بمعلومات دقيقة ومفصلة عن رجال الإباضية وأخبارهم وأدوارهم في خدمة المذهب الإباضي.

إن أهم ما يجمع هذه المصادر:

- الهدف الأساسي من تأليفها مذهبي عقدي، وهو مكّن الاستفادة منها في هذا البحث من خلال تقديمها صورة واضحة عن حركة الجدل والمناظرة وأهم رجالتها في فترة البحث، خاصة ما كان بين الإباضية والمالكية ثم الشيعة والأشاعرة.
- تناولت كلها نفس المادة الخبرية المتمثلة في سير المشايخ والعلماء وتاريخ الإباضية مع تفاوت من حيث الزمن والحجم والمكان.
- تزخر هذه المصادر بمادة فقهية وكلامية ومحاورات علمية، ولقد أفادتني في جميع هذه الجوانب.

ب . كتب العقيدة وعلم الكلام: من أهم كتب الإباضية التي تتناول عقائدهم ما يأتي:

كتاب "أصول الدينونة الصافية" لعمروس بن فتح المساكني(283هـ/896م) أول وثيقة كلامية مغربية لما تضمنه من أراء وردود على الفرق المخالفة، كالرد على شبهات

المعتزلة والصفرية، والدليل على كفر النعمة وما لا يسع الناس جهله[1]، والكتاب في عمومه تناسب مع طور النشأة والتشكل للآراء الكلامية الإباضية ببلاد المغرب، وهو على شاكلة كتاب الملل والنحل للشهرستاني والفرق بين الفرق للبغدادي، يحتوي الكتاب على ردود على مختلف الفرق الإسلامية، والتعريف بمبادئ الإباضية.

وكتاب "**الرد على جميع المخالفين**" لأبي خزر يغلا بن زلتاف(380هـ/990م): يعتبر النتيجة المباشرة لجدل الإباضية مع الإسماعلية في القرن الرابع هجري في بلاد المغرب شرح فيه العقيدة الإباضية، وموقف الإباضية من عدة مسائل كلامية وحدد الخط الفاصل بين الإباضية والمعتزلة في مسألة الصفات والقدر والإستطاعة.

كتاب "**التحف المخزونة في إجماع الأصول الشرعية**" **لأبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي(ت471هـ/1079م)** يمثل هذا الكتاب البداية لمرحلة الذروة لتطور علم الكلام الإباضي، مضمون الكتاب مسائل العقيدة والكلام بأسلوب جدلي يضاهي ما كتب في عصره من علماء المذاهب الأخرى في المغرب والمشرق كابن حزم والباقلاني والجويني[2].

كتاب "**أصول الدّين**" لتبغورين بن عيسى الملشوطي (النصف الأول من ق06هـ) من المراجع الأساسية عند الإباضيّة في علم الكلام، تحدث فيه عن الأصول العشرة بنبرة كلامية كالتوحيد، القدر، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأسماء والصفات، الأمر والنهي، والولاية والبراءة، الأسماء والأحكام، كما وقف على مسائل آخرى كمسألة الكسب وخلق القرآن ورؤية الله، عرض هذه الأصول بشكل مبسط مقرون بتحليل عميق وقوة الحجة.

---

[1]– عمروس بن فتح: أصول الدينونة الصافية، تحقيق حاج أحمد بن حمو كروم، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، ط1، 1999، ص67-83.

[2]– أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي، التحف المخزونة، تحقيق محمود الأندلسي والمبروك المنصوري، مقدمة التصدير، ص2.

كتاب "**الموجز في تحصيل السؤال وتلخيص المقال في الرد على أهل الخلاف**" المعـروف اختصـارا بكتـاب المـوجز لأبــي عمـار عبـد الكـافي(570هـ/1174م) الكتـاب مخصص للرد على المخالفين للعقيدة الإباضية والدفاع عنها، محتويا مناقشات كلامية بأسلوب جدلي، وهو في جزئين أفرد الجزء الأول للتوحيد والجزء الثاني جمع فيه المسائل الكلامية الأخرى.

كتاب "**الدليل لأهل العقول لباغي السبيل بنور الدليل لتحقيق الحق بالبرهان والصدق**" لأبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني(ت570هـ/1174م) في ثلاثة أجزاء المعروف اختصارا بكتاب "**الدليل والبرهان**" وهو في أصول الدين، يعتبر أهم التآليف في علم الكلام الإباضي، وضع نصوصا لتلاميذ الحلقات لتدريبهم على علم الكلام وعلى فن المنـاظرة، يكشف عنوان الكتـاب عن حقيقة المذهب الإباضـي والرد علـى المخـالفين، يتضمن الكتاب أهم المسائل الكلامية وموقف الإباضية منها كمسألة الصفات، وخلق القرآن، ورؤية الله في الأخرة، ومسألة الولاية والبراءة والوقوف والشفاعة ومسألة الجبر والاختيار، كما يناقش فيه مختلف الفرق الأخرى كالمعتزلة والأشاعرة بأسلوب حواري.

وكتاب "**العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والاختلاف**" لأبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني(ت570هـ/1174م) الذي يعتبر من أقدم ما أُلِّف في أصول الفقه عند الإباضية، وقد تناول الوارجلاني المسائل الأصولية بنوع من الشمولية، مركِّزا على العديد من القضايا الكلامية ومحاولا في كثير من المواضع ربط المسائل الأصولية بجذورها العقدية.

كتـاب "**عقيـدة فــي معرفــة التوحيـد والفـرائض**" لأبـي سـهل يحيـى بـن ابـراهيم الوارجلاني(ق6هـ/12م)، وإن كانت مضامين الكتاب مزيجا من المسائل الفقهية والأخلاق إلا أن الموضوع الأساسي للكتاب هو العقيدة والكلام، ومن المسائل الكلامية في الكتاب التوحيـد وصـفات الله ومـا يلـزم عـن ذلـك مـن ردود علـى مختلـف الفـرق

التي تخالف الإباضية.

"**رسالة في فرق النكار الستّ وما زاغت به عن الحق وبعض الفرق الأخرى**" لأبي عمرو عثمان بن خليفة السوفي(ق6هـ/12م) تتضمن الرسالة جملة من المسائل الكلامية الخلافية التي كانت بين الوهبية والفرق الإباضية الأخرى كالنكارية والنفاثية و الخلفية والفرثية والسكاكية، كما تحتوي الرسالة ردودا على فرق آخرى كالمرجئة والجبرية والقدرية والشيعة.

قيمة هذه المصادر في احتوائها على مسائل الخلاف بين الإباضية ومختلف الفرق الأخرى مقرونة بأدلتها، خاصة إذا عرفنا أن مضامين علم الكلام كانت نتيجة حوار بين مذهب ومذاهب أخرى، مما يتيح لنا فرصة الاطلاع على مختلف المقالات الكلامية والوقوف على دقائق أدلتها، خاصة وأن جل محتوى هذه المصادر عرض في شكل مناظرات افتراضية على صيغة "إن قالوا قلنا"، وتعكس هذه المصادر واقع الحياة الفكرية والسجالات العقدية ببلاد المغرب بداية من القرن الرابع هجري الى نهاية القرن السادس هجري، وكان محل استفادتنا من هذه المصادر في الفصل الثاني في ثنايا الحديث عن المسائل الكلامية الإباضية.

المصادر غير الإباضية:

من المصادر المهمة التي اعتمدنا عليها في بحثنا لتاريخ الإباضية ببلاد المغرب كتاب "**أخبار الأئمة الرستميين**" لابن الصغير المالكي الذي توفي قبل سقوط دولة الرستميين بفترة قصيرة فكان شاهد عيان على سيرورة الحياة الفكرية للإباضية ببلاد المغرب، وشارك هو بنفسه في المنافسات الفكرية التي كانت بين المذاهب، وتحدث عن مجالس المناظرة التي كانت تعقد في عاصمة الرستميين تيهرت، وشهد بنفسه بنزاهة علماء الإباضية في هذه المجالس وعدم تعصبهم، وأورد بعض النماذج من المناظرات التي كانت بينهم وبين المعتزلة والمالكية، ومحل استفادتنا من هذا المصدر

كانت في الفصل الأول والفصل الرابع.

واعتمدنا على كتب الطبقات المالكية ككتاب "**طبقات علماء افريقية**" لأبي العرب التميمي(ت333هـ/944م) و"**طبقات علماء إفريقية وتونس**" للخشني (361هـ/972م) وكتاب "**رياض النفوس**" لعبد الله المالكي(453هـ/1061م) وكتاب "**ترتيب المدارك**" للقاضي عياض(544هـ/1114م)، فهي مصادر غنية بمادة تاريخية ترصد مختلف الاتجاهات الفكرية بطريقة غير مباشرة أثناء ترجمتها لعلماء المالكية، رغم تفاوتها من حيث الكم والنوع في الترجمة للأعلام.

وإن كانت لا تؤرخ لتطور علم الكلام مباشرة أو للإباضية بقدر ما تؤرخ في صورتها العامة لنشاط علماء المالكية ببلاد المغرب الإسلامي، ولجهودهم في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، وما يلازم ذلك النشاط من سجالات مع مختلف التيارات الفكرية الأخرى، وذلك في خصم حديثها عن الردود والمناظرات، وإن كانت الإشارة الى أعلام المذاهب المخالفة سطحية وباهتة أحيانا إلا أنها تعطي صورة تقريبية أو إيحائية للمشهد الثقافي والفكري لبلاد المغرب الإسلامي بصفة عامة، وصراع المذاهب والفرق بصفة خاصة، وتكمن أهميتها الأولى في معاصرتها للأحداث مباشرة أو لكونها قريبة من فترة البحث، الاعتماد على كتب الطبقات يصدم بمشكلة التحيز الغالب عليها علاوة على تركيزها أكثر الأحيان على المناطق الحضرية كما على الشخصيات البارزة ذات الثقافة الدينية العالية.

ومن الكتب المذهبية الأخرى كتاب "**الإبانة عن أصول الديانة**" لأبي الحسن الأشعري (ت324هـ/939م)، وكتاب "**فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة**" للقاضي عبد الجبار (ت415هـ/1024م)، وكتاب "**طبقات المعتزلة**" لابن المرتضى الزيدي (ت840هـ/1437م)، التجأت إليها للتعرُف على آراء المعتزلة والأشاعرة أثناء الحديث عن جزئيات كلامية عندما أكون أمام نص إباضي، من أجل المقارنة والنقد خاصة

في الفصل الثاني، كما اعتمدنا على مصادر شيعية أهمها كتب القاضي النعمان(ت 363هـ/974م) ككتاب "**المجاس والمسايرات**" وكتاب "**افتتاح الدعوة**" وكتاب "**دعائم الإسلام**" التي ضمنها عقائدهم وأصولهم وتاريخهم وأهدافهم السياسية والمذهبية لمواجهة أصحاب الاتجاهات المخالفة لهم، وتكمن أهمية هذه المصادر في قربها من الأحداث لفترة البحث وخططهم لنشر عقائدهم ببلاد المغرب.

كتب الملل والنحل:

من جملة المصادر التي اعتمدنا عليها ضمن هذا الحقل المعرفي كتاب "**الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**" لعبد القاهر البغدادي(ت429هـ/1037م)، وكتاب "**الملل والنحل**" للشهرستاني (ت548هـ/1135م) وكتاب "**مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**" لأبي الحسن الأشعري(324هـ/935م) لمعرفة الآراء العقدية والكلامية لمختلف الفرق، إذ تقدم هذه المصادر نصوصا وافية في غاية الأهمية حول الفرق الإسلامية، فكان لمعطيات هذه الكتب فائدة هامة في الفصل الثاني أثناء التعريف بالفرق الإسلامية التي كان لها وجود ببلاد بالمغرب، وأثناء المقارنة بين المقالات الكلامية الإباضية ومختلف الفرق الأخرى.

كتب الرحلات والجغرافيا:

تظهر أهمية كتب الرحلات والجغرافيا في بحثنا هذا في معرفة مواقع الأقاليم الإباضية في بلاد المغرب وفي دورها في استمرار الوجود الإباضي رغم المحن التي مرت بها التجمعات الإباضية بعد سقوط دولة الرستميين، هذا ناهيك عمّا تحتويه من أخبار عن ساكنة هذه الأقاليم وطبائعهم ومللهم وأسماء الأماكن، وفي هذا الصدد اعتمدنا على كتاب "**البلدان**" لليعقوبي(ت284هـ/897م) وكتاب "**المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**" للبكري(ت487م/1094م) وكتاب "**الروض المعطار في خبر الأقطار**"

للحميري محمد بن عبد المنعم(ت726هـ/977م) وكتاب "**نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**" للإدريسي(ت564هـ/1160م) وكتاب "**معجم البلدان**" لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي(ت626هـ/1229م) وكتاب "**رحلة التجاني**" لأبي محمد عبد الله بن أحمد التجاني(ت717هـ/1317م) وكتاب "**وصف افريقيا**" للوزان الحسن بن محمد(ت960هـ/1552م).

الصعوبات: من المستبعد أن يخلو بحث من معوقات وصعوبات، وقد واجهني شيء منها في هذا العمل من ذلك:

- تشابك وتداخل العوامل المحددة للظاهرة الدينية، مما يصعب من عملية فهم قوانينها، إذ تشترك مجموعة من العلوم لفهمها حسب تعدد أبعادها الإنسانية، وهو ما يجعلنا أمام عدد هائل من المعارف يصعب على الباحث الإلمام بها جميعا خصوصا وأنا أتعامل في هذا البحث مع معطيات من مصادر متنوعة من الحقول المعرفية: التاريخية والجغرافية والفقه والمصادر الأصولية وعلم الكلام والتفسير والحديث وفقه اللغة، ليتسنى لنا تمحيص اجتهاداتهم الدينية، مما يتطلب جهدا مضنيا في جمعها وتحليلها بالقدر الكافي، خاصة وأن الحديث عن الجدل الكلامي يقتضي الإلمام بمقالات وخصوصيات هذه الفرقة وتلك وخصومها الأقربين أو الأباعد.

- التعقيد المصاحب في طرح المسائل الكلامية في بعض المصادر، إذ يعجز الباحث أحيانا عن فهم محمولات لغتها فما بالك بأبعاد معانيها، خاصة وأن الخطاب الكلامي عادة ما يكون أقرب للعمل الذهني النظري، وهو ما يصعب من عملية التحليل والتركيب.

- صعوبة تحديد بعض المواقع الجغرافية بدقة، خاصة المحلية المرتبطة برحلات علماء الإباضية ذات الأسماء الأمازيغية كما ذكرت في ثنايا كتب السير الإباضية وقد لا نجد لها أثر في كتب الرحالات والجغرافيا.

- تشابه أسماء أعلام الإباضية الى حد التطابق أحيانا بين الإبن والأب والقبيلة مما يصعب ويطيل عملية الإثبات.
- صعوبة الوصول الى بعض المصادر خاصة المخطوط منها.
- عدم تمكني من التفرغ التام للبحث نظرا للظروف المهنية.

وعلى الرغم من كل ذلك، استعنت بالله وأقدمت على دراسة الموضوع مستنيرا بتوجيهات أستاذي عمر بلبشير منذ بداية المشروع، إلى أن رأى هذا البحث النور واستوى على سوقه، فله مني الشكر الجزيل لما أسدى إليّ من نصح وما أبدى وقدم من إرشادات وما أهدى من فوائد ومعلومات.

الفصل التمهيدي: تحديدات مفاهيمية.

1 -الإباضية التسمية والنشأة

2 -الأصول الكلامية

3 -الإباضية ببلاد المغرب الإسلامي

- مرحلة الدعوة
- مرحلة الثـورة

4 - علم الكلام.

1ـ الإباضية التسمية والنشأة.

تُجمع المصادر التاريخية[1] أن ظهور الإباضية على مسرح الأحداث السياسية والفكرية كان بعد سنة(64هـ/683م)، على أثر الخلاف الذي كان بين عبد الله بن إباض(ت86هـ/705م)[2] والخوارج الأزارقة حول أحكامهم على مخالفيهم من المسلمين، فحكم الأزارقة على جميع مخالفيهم بالكفر وأن يعاملوا معاملة المشركين، ونادوا بضرورة الخروج لقتال الولاة والحكام الظالمين، أما الإباضية فقد رفضوا معاملة مخالفيهم كمشركين ورفضوا الخروج والاستعراض الذي كان ينادي به الأزارقة لقتال الولاة والحكام، فأطلق عليهم الأزارقة إسم "القعدة" لقعودهم عن الخروج في نصرتهم وتعريضا بهم،

---

[1]– محمد بن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط8، 1971، ج5، ص567. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، تحقيق عبد الله أبي الفداء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987، ج3، ص491–492.. عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، تحقيق محمد عثمان، مكتبة ابن سينا، القاهرة، 1995، ص95. الشهرستاني: الملل والنحل، تحقيق صلاح الدين الهواري، مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1998، ج1، ص134. أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق نواف الجراح، دار صادر، بيروت، ط1، 2006، ص67. البرادي: الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخل به كتب الطبقات، طبعة حجرية، ص165.

[2]– عبد الله بن إباض التميمي(ت86هـ/705م) نشأ بالبصرة ، قال غنه الشماخي: "كان إمام أهل التحقيق والعمدة عند شغب أولى التفريق"، عاصر فتنة افتراق المسلمين بعد صفين، شارك مع جماعة المحكمة في الدفاع عن مكة المكرمة مع عبد الله بن الزبير ضد الأمويين، تنسب إليه الإباضية لوجاهته السياسية ومواقفه العلنية من مخالفي الإباضية كمناظراته للخوارج الأزارقة، اشتهر برسائله الى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان عبر فيها عن موقفه من انحراف السلطة الأموية، ينظر، الدرجيني: طبقات المشائخ، تحقيق ابراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، د ت، ج2، ص214. الشماخي: كتاب السير، تحقيق محمد حسن، دار المدار، بيروت، ط1، 2009، ج1، ص189. محمد بابا عمي وآخرون: معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2000، ج2، 263–264.

وقد آثر هؤلاء القعدة الدعوة الى مذهبهم بالطرق السلمية[1]، حتى تحين الفرصة المناسبة لإعلان الإمامة، وكان نتيجة هذا الخلاف أن تبرأ كل منهما من الآخر[2].

ينسب المذهب الإباضي الى عبد الله بن إباض التميمي نسبة غير قياسية، نظرا لدوره السياسي والديني الكبير في التبشير لمبادئ الإباضية والدفاع عنها، كمناظراته للخوارج الأزارقة وجرأته في نقد سياسة الأمويين التي حادت عن نهج الخلفاء الراشدين، فكان يجاهر بتوجهه ويتحدى به حكام بني أمية، وتنقل لنا بعض المصادر نص مراسلاته للخليفة الأموي عبد الملك بن مروان(65-86هـ/684-704م) يخاطبه فيها باسمه ودون تكلف[3].

1- هذا ما سيجعل الإباضية تحول وجهة اهتماماتها الى النشاط الفكري على حساب النشاط العسكري، بفعل انتقالها من العقدي الى الفقهي التشريعي وهو ربما سر بقائها. ينظر، المبروك المنصوري: الفكر الإسلامي في بلاد المغرب تشكله وتطوره وانتشاره، الدار المتوسطية للنشر، تونس، ط1، 2011، ص64.

2- وعن تفاصيل الخلاف بينهما ما ورد في رسالة نافع ابن الأزرق الى عبد الله بن إباض وابن الصفار (عبد الله ابن الصفار أو الأصفر) زعيم الصفرية، يشرح فيها مبادئه ويدعوهما الى تبنيها، ومن أهم هذه المبادئ الحكم على جميع مخالفيهم بالكفر لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف، ولا تحل مناكحتهم وذبائحهم ولا تقبل شهادتهم، وكان جواب عبد الله بن إباض: "قاتله الله أي رأي رأى؟ صدق نافع لو كان القوم مشركين ...ولكنه كذب فيما يقول: إن القوم برآء من الشرك ولكنهم كفار بالنعم والأحكام ولا يحل لنا إلا دماؤهم وما سوى ذلك فهو حرام علينا" وكان موقف الصفرية وسط بين غلو الأزارقة وتسامح الإباضية (استحلال الأموال والدماء مع تفضيل القعود) فبرئ عبد الله بن إباض منهما جميعا، وفي رواية أخرى رفض عبد الله ابن إباض دعوة نافع بن الأزرق للخروج بعد أن سمع دوي القراء يصدح بالقرآن وصوت الأذان يرفع في المساجد فقال: " أ عن هؤلاء أخرج" وقال: "إنا براء الى الله من ابن الأزرق وصنيعه وأتباعه...ولكنه أحدث وارتد وكفر بعد اسلامه، فنبرأ الى الله منه". ينظر: الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص568. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج3، ص491-492. البرادي: الجواهر المنتقاة: ص165. محمد عبد الفتاح عليان: نشأة الحركة الإباضية بالبصرة، دار الهداية، ط1، 1994، ص70، 97. بكير بن سعيد أغشت: دراسات إسلامية في أصول الإباضية، مكتبة وهبة، ط2، 1988، ص94-95.

3- البرّادي: المصدر السابق، ص160. تمثل رسالة عبد الله بن إباض الى عبد الملك بن مروان وما تضمنته من مواقف وأراء اتجاه الفرق الأخرى من جهة ومن جهة أخرى الشارحة لمبادئ المذهب الإباضي الفكرية والسياسية، التي شكلت المنطلق الأول للفكر الإباضي وتطوره في المراحل اللاحقة، "نعيش على ذلك ما عشّنا ونموت عليه إذا متنا ونبعث عليه إذا بعثنا ونحاسب على ذلك عند الله"، هذه الرسالة إذن فاتحة لعلم الكلام الإباضي مع نهاية القرن الأول هجري، وضعت الأسس الأولى للعقيدة الإباضية، عملت الباحثة التونسية لطيفة البكاي على تحقيقها من كتاب

هذه الوجاهة أكسبته سمعة وشهرة سياسية وثقافية جعلته جديرا بأن يحمل أتباعه اسم الإباضية[1].

لم يعترف أنصار المذهب الإباضي بهذا الاسم طيلة القرون الثلاثة الأولى الى غاية الربع الأخير من القرن الثالث هجري، ظهر هذا الإسم لأول مرة في الكتابات الإباضية المغربية في كتاب "الدينونة الصافية" لعمروس بن فتح(283هـ/896م)[2]، وتحت طائلة التكرار المستمر لهذه التسمية تعودوا عليها ورضوا بها، خاصة وأنهم لم يجدوا فيها ما يؤذيهم أو يحط من شأنهم، قال سالم السيابي(1326-1412هـ/1908-1991م): "لما قضى العرف بتخصيص كل أمة باسم، سمّانا مخالفونا بهذا الاسم"[3]، وإن كانوا يفضلون

الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخل به كتب الطبقات لأبي القاسم ابراهيم البرّادي. ينظر، البرادي: المصدر السابق، ص163-165، لطيفة البكاي: قراءة في رسالة ابن إباض، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2002، ص 84-85.
-Wilferd Madelung: the authenticity of the letter of abd allah b. ibad to abd al malik, Revue des mondes musulmans et de la mediteranee, 132, decembre,2012.p39-40.

[1]- البغدادي عبد القاهر: الفرق بين الفرق، ص95. الشهرستاني: الملل والنحل، ص150. الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، 214. البرّادي: الجواهر المنتقاة، ص156، وفي نفس الصفحة نص رسالته الى عبد الملك بن مروان. عوض محمد خليفات: نشأة الحركة الإباضية، دار الحكمة، لندن، ط2، 2013، ص69، 117.عوض محمد خليفات: الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط3، 1994، ص10. بكير بن سعيد أغشت: دراسات إسلامية في أصول الإباضية، ص15.

[2]- عمروس بن فتح المساكني النفوسي(ت283هـ/896م)، من علماء الإباضية ببلاد المغرب، تولى القضاء للدولة الرستمية في فترة حكم أبي حاتم يوسف بن محمد(281-294هـ/894-906م)، من الذين تصدوا لآراء فرج بن النصر النفوسي الشهير بنفاث الإباضي، أول من أصل للفقه الإباضي بالمغرب من خلال كتابه أصول الدينونة الصافية، يرجع له الفضل في حفظ مدونة الفقه لبشر بن غانم الخرساني بعد أن اتلفت النسخة التي كانت بمكتبة المعصومة، كانت وفاته بعد واقعة مانو الشهيرة سنه(283هـ/896م). ينظر: الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص84، 89، ج2، ص293، 306، 314، أبو زكريا يحيى الورجلاني: سير الأئمة وإخبارهم ، تحقيق إسماعيل العربي دار الغرب الإسلامي، ط،2، 1982، ص150. الوسياني أبو الربيع سليمان: سير، تحقيق عمر بوعصبانة، نشر وزارة التراث والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، ط1، 2009 ،ج1، ص260.

[3]- سالم بن حمود السيابي : إزالة الوعثاء عن اتباع أبي الشعثاء، تحقيق سيدة إسماعيل كاشف، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1979، ص4. عمرو خليفة النامي: دراسات عن الإباضية، ترجمة ميخائيل خوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2001، ص46. ويذهب كل من الباحثين صاح بن أحمد الصوافي ومحمد علي دبوز أن الأمويين هم اللذين أطلقوا عليهم هذا الإسم، ينظر كذلك، محمد علي دبوز: تاريخ المغرب

أسماء آخرى غير هذه التسمية، كأهل الدعوة، وجماعة المسلمين، وأهل الحق والاستقامة[1].

وقال نور الدين السالمي(1284-1332هـ/1867-1914م):

إنَّ المُخَالِفِينَ قَدْ سَمّوْنَا ... بِذَلِكَ غَيرَ أَنَنَا رَضَيْنَا

وَأَصْلُهُ أَن فَتَى إبَاضٍ ... كَانَ مُحَاميًا لَنَا ومَاضٍ

مُدَافِعًا أَعْدَائِنَا بالحُجّةِ ... وحَامِيًا إخْوانَنَا بِالشَوْكَةِ[2]

إن ما يُثير الانتباه هو عدم اعترافهم بهذه التسمية التي تنسب الى عبد الله بن إباض(ت86هـ/705م) رغم أنه من رجالاتهم المهمين المؤسسين، ربما يعود ذلك الى ظروف النشأة الأولى، لعلاقة عبد الله بن إباض بالخوارج في عهدها الأول وعلى رأسهم نافع بن الأزرق(ت65هـ/684م)[3] وأتباعه، الذين كانوا من جماعة المُحَكمة[4]، التي سوف

الكبير، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2013، ج3، ص138. صاح بن أحمد الصوافي: الإمام جابر بن زيد العماني وآثاره في الدعوة، وزارة التراث القومي، سلطنة عمان، ص161-162.

[1]- عمروس بن فتح النفوسي: أصول الدينونة الصافية، تحقيق حاج أحمد كروم، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط1، 1999، ص68. عمرو خليفة النامي: دراسات عن الإباضية، ص46. فرحات الجعبيري، البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، نشر جمعية التراث غرداية،1987، ص56. عوض محمد خليفات: نشأة الحركة الإباضية، ص118. عوض محمد خليفات: الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، ص12.

[2]- مجموعة من الباحثين: معجم مصطلحات الإباضية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط1، 2008، ج1، ص4.

[3]- نافع بن الأزرق بن قيس الحنفي أبو راشد: من أهل البصرة إليه تنسب الخوارج الأزارقة ، كان أمير قومه وفقيههم، اختلف مع رفاقه في بعض المسائل الفقهية والعقدية كتكفير المخالفين وجواز سبيهم وغنيمتهم، فضل المواجهة العسكرية المباشرة مع الأمويين على القعود، قتل سنة (65هـ/684م)، ينظر، خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002، ج7، ص351.

[4]- المُحكمة: يطلق هذا الإسم على من رفضوا التحكيم الذي كان بين علي ين أبي طالب كرم الله وجهه ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، واتخذوا من مبدأ " لا حكم إلا الله" شعارا لهم وانسحبوا من جيش علي ابن أبي طالب وعرفوا في تاريخ الإسلام بسبب انفصالهم بالخوارج. ينظر، عبد القاهر البغدادي: الفرق بين الفرق، ص73-74. يوليوس فلهوزن: أحزاب المعارضة السياسية في الدينية في صدر الإسلام الخوارج والشيعة، ترجمة عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط3، 1978، ص32. لطيفة البكاي: حركة الخوارج نشأتها وتطورها الى نهاية العهد الأموي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2001، ص32-35.

تعرف لاحقا بالخوارج[1]، وانعكاس هذه العلاقة التاريخية بين الخوارج والإباضية وارتباطها بالفتنة الكبرى بالمشرق الإسلامي على جماعة الإباضية، أي محاولة إزالة شبهة الخارجية عنهم، فرغم براءتهم العلنية من الخوارج واتجاههم اتجاها مستقلا في الفقه والعقيدة والكلام إلا أن الكثير من الكُتاب يصنفونهم ضمن فرق الخوارج[2].

في مقابل ذلك تُجمع المصادر الإباضية[3] على أن إمامهم الحقيقي هو جابر بن زيد(ت93هـ/711م)[4]، وهو مؤسس دعوتهم وإمام المذهب "وأسه الذي قام عليه نظامه ومنار الدين ومن انتصبت به أعلامه...والمقدم ممن يشار في الفتوى اليه"[5]،

1- إبراهيم بحاز: مشوهات الإباضية–نظرة من الداخل والخارج–، مجلة الحياة، العدد05، ديسمبر 2001، نشر جمعية التراث، غرداية، ص44.

2- إن المبرر عند بعض المصنفين هو اشتراك الإباضية مع الخوارج في إنكار التحكيم، وتجويز الإمامة في غير قريش وجواز الخروج على الحاكم، وللمزيد عن أسباب إلحاق الإباضية بالخوارج ينظر، إبراهيم بحاز: المرجع نفسه، ص35–59.

3- ابن سلام: بدأ الإسلام وشرائع الدين، تحقيق ف. شفارتز وسالم بن يعقوب، النشرات الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمانية، 1986، ص26، 55، 60. الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص82، ج2، ص205–212. الشماخي: السير، ج1، ص182–188.

4- جابر بن زيد أبو الشعثاء(18–93هـ/639–711م): إمام الإباضية الأول بالمشرق، مُنظر الأصول الأولى للإباضية كان إماما في التفسير والحديث، ترك موسوعة علمية في الفقه الإباضي تعرف بإسميه "ديوان جابر" في سبعة أحمال ولكنه مفقود، عاد فرج بن نصر النفوسي(ق3هـ/9م) بنسخة منه من مكتبة بغداد وللأسف ضاعت كذلك بفعل صنيع فرج حين دفن الديوان في حفرة بحيث لا يعلم له موضع، إضافة الى رسائله الى أتباعه في مختلف الأمصار تخص مختلف فتاويه في مسائل فقهية عددها 18 رسالة، قام الدكتور فرحات الجعبيري بتحقيقه، رواياته وآراؤه منتشرة في جل المصادر الإباضية، ينظر: رسائل الإمام جابر بن زيد: تحقيق فرحات الجعبيري، مكتبة الضامري للنشر، سلطنة عمان، ط1، 2013. الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص182–188. الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص82، ج2، ص205–212. معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج2، ص108–109.

5- الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص205.

وما عبدالله بن إباض إلا أحد رجالات المذهب الذين يأتمرون بأمر جابر بن زيد في أفعالهم وأقوالهم[1].

1-الأصول الكلامية:

يُلخص أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي[2](ت471هـ/1078م) الأصول الكلامية التي تتبناه الإباضية وتدافع عنها في كتابه "التحف المخزونة في إجماع الأصول الشرعية فيما يلي:

- تفسيق أهل التأويل- الذين يُؤَوِّلُونَ الآيات بما يوهم التشبيه- وإثبات كفرهم كفر غير شرك.
- تكفير أهل الكبائر من أهل التوحيد، وأن كفرهم غير شرك وهو كفر النفاق.
- إنفاذ الوعد والوعيد وأن الله لا يخلف الميعاد وأنه منجز وعده ووعيده.
- لا منزلة بين المنزلتين بين الكفر والإيمان.
- ندين بأن الله لا يُرى في الدنيا ولا في الأخرة.
- وندين بأن الله ليس كمثله شيء في صفة ولا ذات ولا فعل...وندين بأن الله خالق وما سواه مخلوق، وأنه خالق لوحيه وكلامه وجاعل له ومُحدث له.

---

[1]- عوض محمد خليفات: نشأة الحركة الإباضية، ص123. نفس المؤلف: الأصول التاريخية للفرقة الإباضية، ص9. بكير بن سعيد أغشت: دراسات إسلامية في أصول الإباضية، ص18. محمد عبد الفتاح عليان: نشأة الحركة الإباضية بالبصرة، ص98-99.

[2]- أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي(ت471هـ/1078م): من أنجب تلاميذة مؤسس حلقة العزابة محمد بن بكر الفرسطائي والساعد الأول له رغم أن مولده لم يكن في ورجلان إلا أنه قضى شطرا كبيرا بها عرف بكثرة رحلاته في مواطن الإباضية وكثافة نشاطه التعليمي، من أهم آثاره كتاب "التحف المخزونة في إجماع الأصول الشرعية" وهو كتاب في العقيدة والكلام، وكتاب في طلب العلم وآداب المتعلم، وكان مرجعا أساسيا لعلماء الإباضية بعده كتبغورين بن عيسى الملشوطي وأبو يعقوب الورجلاني، ينظر: أبو زكريا يحيى الورجلاني، سير الأئمة وأخبارهم، ص281. الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص191-195. الشماخي: السير، ج2، ص603-605. معجم أعلام الإباضية، ج2، ص215-216.

– ندين بأن الله على العرش استوى استواء غير معقول، وأنه استوى على جميع خلقه لا على الحلول والتمكن.

– ندين بإثبات القدر خيره وشره، وأن الله خالق لأفعال العباد، والناس ليسوا بمجبولين ولا مجبورين على شيء من أفعالهم.

– ندين بأن أسماء الله وصفاته هو لا غيره ومن زعم أن أسماءه وصفاته ألفاظ العباد ووصفهم وزعم أنها مخلوقة كفر كفر غير شرك[1].

تعرف هذه الأصول عند تبغورين بن عيسى الملشوطي(النصف الأول من ق6هـ/12م)[2] "بأصول الدين العشرة"[3]، وهي: التوحيد والقدر والعدل، والوعد والوعيد،

---

[1]– أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي: التحف المخزونة في إجماع الأصول الشرعية، تحقيق حمزة بن بوسهال بومعقل، دار الخلدونية، نشر جمعية التراث، غرداية، ط1، 2017، ص369–376. ينظر كذلك تحقيق محمود الأندلسي والمبروك المنصوري لنفس المصدر، 2009، ص175–182. ينظر كذلك، مقدمة التوحيد: ترجمها عن البربرية أبو حفص عمر بن جميع(ق8هـ/14م)، شرح أبو العباس أحمد بن سعيد الشماخي وأبو سليمان داود التلاتي، تحقيق إبراهيم اطفيش، دار الحكمة، لندن، ط2، 2016، ص154–165. وكذلك عمر التلاتي: شرح متن الديانات لعامر بن علي الشماخي، طبعة حجرية، كله. وكذلك الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص131-133. أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ص 68–71. محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، 2009، ص82.

[2]– تبغورين بن عيسى بن داوود الملشوطي(ق6هـ/12م): من علماء الكلام الإباضية ببلاد المغرب، نسبة إلى بلدة يُقال لها ملشوطة، لم يحدّدها كتاب السير الإباضية، ويبدو أنّها إندثرت، ومن خلال كتب السير الإباضيّة أنّها تقع قرب مدينة آجلو التي حدّدها الشّيخ علي يحي معمّر بأنّها تقع قرب البلدة التي تسمّى اليوم (بلدة عمر) بالجزائر، تقع على بعد 20 كم جنوب تقرت شرقيّ الجزائر، ترك مجموعة من المؤلفات المهمة في الفقه والعقيدة أهمها كتاب "أصول الدين" وكتاب "الأدلة والبيان" وينسب إليه كتاب "الجهالات" ينظر: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص104، ينسبه بيير كوبرلي الى جبل نفوسة، ينظر: بيير كوبرلي: مدخل الى دراسة الإباضية وعقيدتها، ترجمة عمّار الجلاصي، مكتبة الضامري للنشر، سلطنة عمان، ط1، 2010، ص101، 127. والراجح أن مولده بجبل نفوسة ونشأته بأريغ.

[3]– تيغورين بن عيسى الملشوطي: أصول الدين، تحقيق ونيس عامر، مكتبة الجيل الواعد، مسقط ، سلطنة عمان، ط1، 2005، ص76. ذكرها الشيخ عامر بن علي الشماخي بتسعة أصول، والإختلاف وقع هنا حول عددها فمنهم من يرى أن "أصل لا منزلة بين المنزلتين" لم يقل به المتأخرون من الإباضية خاصة بعد القرن(7هـ/13م)، ينظر: تبغورين ين عيسى الملشوطي: المصدر السابق، ص26، 45، 76.عمر التلاتي أبو حفص: شرح متن الديانات لعامر بن علي الشماخي، ص79.

المنزلة بين المنزلتين وأن لا منزلة بين المنزلتين، والأسماء والصفات، والأمر والنهي، والولاية والبراءة، والأسماء والأحكام، ومسائل أخرى ملحقة بها وهي سبعة:

المسألة الأولى في الحجة.

المسألة الثانية في الإستطاعة.

المسألة الثالثة في العون والعصمة.

المسألة الرابعة في القرآن وكلام الله.

المسألة الخامسة في الرؤية.

المسألة السادسة في الشفاعة.

المسألة السابعة في القبر وعذابه(1).

تظهر هذه الأصول علاقة أصحاب المذهب بمخالفيهم، والتي تتراوح بين الإيمان والكفر وأحيانا آخرى الى الشرك على سبيل التخصيص، كما تظهر هذه المبادئ أثر الاختلافات السياسية والإجتماعية التاريخية بينهم وبين غيرهم كعوامل فاعلة في بلورة علاقتهم بمخالفيهم، من أجل تحقيق أهدافهم المتمثلة في إمامة الظهور(2)، دون إغفال

1- تيغورين بن عيسى الملشوطي: أصول الدين، ص27، وكذلك ملحق متن الديانات لعامر بن علي الشماخي في نفس الكتاب، ص220-224. وكذلك نفس الملحق بكتاب، بيير كوبرلي: مدخل الى دراسة الإباضية وعقيدتها، ص463-466.

2- تعرف مراحل الإمامة عند الإباضية بمسالك الدين وهي أربعة: الظهور والدفاع والشراء والكتمان 1- إمامة الظهور: من مظاهر الإمامة عند الإباضية، وهي الإمامة الكبرى تلي غالبا إمامة الدفاع، يكون أمر المؤمنين فيها ظاهرا، ويسمى الحاكم إماما يعين باختيار أهل الحل والعقد، يمثل لهذه المرحلة بعهد رسول اللهﷺ وعهد الخلافة، وفي المغرب إمامة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري بين (140-144هـ/757-761م) أو أئمة الدولة الرستمية 2- الدفاع أن يدهم أهل الكتمان بدهمة فيولون عليهم من يدفع عنهم العدو كدفاع أهل النهروان في المشرق وفي المغرب كدفاع أبو خزر يغلا بن زلتاف الشيعة، 3- الكتمان ملازمة الأمر سرًا بلا إمام كما هو الحال مع رسول الله بمكة، وكإمامة جابر بن زيد أبو عبيدة بن أبي كريمة، 4- الشراء كحال أبي بلال بن مرداس بن أدية(ت61هـ/670م). ينظر: الوسياني: سير، ج1، ص305-306. الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص364. تاديوس ليفيتسكي: المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000، ص207. معجم مصطلحات الإباضية، ج1، ص377، ج2، ص 658-659. امحمد بن يوسف أطفيش: شرح عقيدة التوحيد، تحقيق مصطفى وينتن، نشر جمعية التراث، غرداية، ط1، 2001، ص195. مصطفى بن صالح باجو: أبو يعقوب الورجلاني أصوليا، ط2، دون دار نشر ولا مكان النشر، 2007، ص40. فرحات الجعبيري:

التأثير المباشر على سلوك الفرد في مجتمعه من خلال علاقة أفراد المجتمع الإباضي ببعضهم البعض المبنية على عقيدة الولاء والبراء، والتي من خلالها تحدد شروط الانتماء الى الجماعة.

3 ـ الإباضية ببلاد المغرب الإسلامي

- مرحلة الدعوة[1]:

إن نشاط الإباضية في بلاد المغرب الإسلامي كان مع نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني للهجرة، بعد عدة حركات تمرد ضد الدولة الأموية في المشرق، والتي كان مآلها الفشل، مما دفع بالقيادة الإباضية بالمشرق الى اعتماد سياسة المهادنة والهدوء من خلال مسلك الكتمان القائم على ممارسة التَّقِيَّة[2] وبث الدعاة، وتركيز الجهود على أطراف البلاد الإسلامية كبلاد المغرب الإسلامي، بعيدا عن أعين السلطة المركزية، كان

التجربة السياسية عند الإباضية، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، ط1، 2015، ص47-49. بكير بلحاج وعلي: الإمامة عند الإباضية بين النظرية والتطبيق، ج1، ص309- 329.

1- قسم المستشرق فارنار شفارتز هذه المرحلة الى خمسة مراحل ثانوية في انتشار الإباضية ببلاد المغرب، المرحلة التمهيدية بين سنتي(95-99هـ/714-718م) وهي مرحلة بداية تسرب الفكر الإباضي الى بلاد المغرب، ثم المرحلة الثانية مرحلة عمر بن يمكتن وابن مغيطر النفوسي بين سنتي(102-105هـ/720-723هـ) والمرحلة الثالثة بين سنتي(105-118هـ/723-736م) وهي مرحلة توسع انتشار الفكر الإباضي خاصة في جبل نفوسة، والمرحلة الرابعة بين سنتي(121-136هـ/793-808م) وهي مرحلة تنظيم رحلة حملة العلم الى البصرة، ثم المرحلة الخامسة وهي المرحلة الحاسمة بعودة حملة العلم وإعلان إمامة الظهور. ينظر، المبروك المنصوري: الفكر الإسلامي في بلاد المغرب الإسلامي تشكله وتطوره وانتشاره، ص190.

2- التَّقِيَّة عند الإباضية في مرحلة الكتمان واجبة خاصة عند الإكراه، من أجل تفادي ظلم الحكام وحفاظا على النفس والدعوة، بنفس المفهوم عند الشيعة نظام سري تحترم فيه تعاليم الإمام المنتظر الى غاية الظهور وهي من الأصول العقدية عندهم. ينظر: عبد الحميد درويش: الإمامة والتقية عند مفكري الإباضية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2007، ص81-82. عمار طالبي: أراء الخوارج الكلامية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، الرغاية، 2013، ج1، ص128.

ذلك مع الفترة التي تسلم فيها أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة(ت145هـ/762م)[1] قيادة الإباضية بالمشرق[2].

تقتضي خطة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة في مرحلتها الأولى ارسال وفود من ذوي الكفاءة الفكرية وتكليفها بنشر الدعوة، مع ترشيح أفراد من المجتمع المحلي تتوفر فيهم صفات القيادة مستقبلا للتكوين النوعي بالبصرة وإعدادهم للقيام بالظهور[3].

تكاد المصادر التاريخية الإباضية[4] تجمع أن سلمة بن سعد الحضرمي(ت بعد135هـ/752م)[5] هو أول من دعا الى الإباضية في بلاد المغرب[6]، بتوجيه من أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة في البصرة بعد سنة(95هـ/713م)، وقد سعى سلمة بن سعد الى تأطير عناصر مغربية يتوسم فيها الثقة والكفاءة والحماس، يستعين بها على نشر المذهب من خلال التكوين العلمي والسياسي، مثل ما كان مع أبي عبد الله محمد بن

1– أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة(ت145هـ/762م): من أعلام الإباضية خلف الإمام جابر بن زيد في إمامة الإباضية بالمشرق اشتهر بالقفاف وعلى يده تخرج حملة العلم المغاربة، عرفت الإباضية في عهده أكبر الإنجازات السياسية في المشرق والمغرب، عرف بمناظراته للمعتزلة، من آثاره "كتاب الزكاة"، "رسائل أبي عبيدة"، ينظر: الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص238–245. الشماخي: السير، ج1، 196–199. معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج2، ص418-419.

2– يرجح أن تسرب الفكر الخارجي الى بلاد المغرب مع حركة الفتح الإسلامي إلا أن ذلك لم يكن في إطار دعوة منظمة، ينظر، لطيفة البكاي: حركة الخوارج نشأتها وتطورها الى نهاية العهد الأموي، ص229.

3– لطيفة البكاي: المرجع نفسه، ص233.

4– أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص40–41. الدرجيني: طبقات المشائخ،ج1، ص11. الشماخي: السير، ج1، ص212.

5– سلمة بن سعد بن علي ين أسد الحضرمي اليمني(ت بعد135هـ/752م): أول من دعى الى المذهب الإباضي ببلاد المغرب في بداية القرن الثاني للهجرة، جاء هو عكرمة مولى ابن عباس(105هـ/723هـ) يتعاقبان جملاً واحدا، كان سلمة يدعو للمذهب الإباضي وعكرمة يدعو للمذهب الصفري، عرف بحماسه الكبير في نشر المذهب، ورد عنه أنه كان يقول: "وددت أن لو ظهر هذا الأمر من أول النهار الى آخره فلا أبالي إن مت بعد ذلك"، ومن نشاطاته الدعائية بعثة حملة العلم المغاربة الى البصرة، ينظر، أبو زكريا: المصدر السابق، ص41–42. الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص11–12، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص212. معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج2، ص189–190.

6– أبو زكريا: المصدر السابق، ص41. الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص11.

عبد الحميد بن مغيطر الجنّاوني(حي بعد160هـ/776م)[1]، الذي نصحه بالتوجه الى المشرق لتعلم مبادئ المذهب الإباضي، قبل وفد حملة العلم[2] سنة(135هـ/752م)، ولمّا عاد الى بلاد المغرب أصبح مقدم الإباضية بجبل نفوسة[3].

مكن هذا النشاط الدعوي المنظم والمحكم من كسب أنصار في الجهة الشرقية من بلاد المغرب الإسلامي، بعد أن استقر محمد بن عبد الحميد بن مغيطر الجنّاوني في قبيلة نفوسة وعكف على التدريس والفتوى بها[4]، وتفرق حملة العلم الى قبائلهم لنشر الدعوة وبث مذهبهم بين شيوخ القبائل (عاصم السدراتي من سدراتة[5] غرب جبال

1– محمد بن عبد الحميد بن مغيطر الجنّاوني: من علماء الإباضية ببلاد المغرب أول من رحل الى البصرة لطلب العلم قبل حملة العلم، أخذ عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة ثم عاد الى موطنه جبل نفوسة وتصدر للفتوى به، ادرك جل الإحداث السياسية والعسكرية الإباضية ببلاد المغرب وتوفي في فترة حكم الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي. ينظر: الشماخي: المصدر السابق، ج2، ص270. معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج2، ص385–386.

2– هي بعثة علمية تتكون من أربعة نفر عبد الرحمن بن رستم، وعاصم السدراتي، وأبو داود القبلي النّفزاوي، وإسماعيل بن درار الغدامسي، وانظم اليهم في البصرة أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني، تتلمذوا مباشرة على زعيم المذهب الإباضي بالبصرة أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، ينظر، الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص19.

3– عوض محمد خليفات: نشأة الحركة الإباضية، ص200. وعن نفوسة: هي قبيلة بربرية ضاربة جذورها في جبل حمل إسمها، يقع في ليبيا شرق مدينة قابس، وفيه ثلاثمائة قرية، وسكانه من البربر أغلبهم إباضية اليوم، وطول هذا الجبل مسيرة ستة أيام من الشرق إلى الغرب، وبين جبل نفوسة وطرابلس ثلاثة أيام، وبينه وبين القيروان ستة أيام، من أهم مدنه شروس وجادو، جميع أهل هذا البلد شراة وهبية، وإباضية متمردون عن طاعة السلاطين، ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت،1977، ج5، ص296–297. ينظر كذلك، أبو عبيد البكري: المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري، دار الغرب الإسلامي، 1992 ج2، ص656. الحسن الوزان: وصف افريقيا، ترجمة عن الفرنسية محمد حاجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983، ج2، ص105.

4– مسعود مزهودي: جبل نفوسة في العصر الإسلامي الوسيط، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، ط1، ط1، 2010، ص75.

5– نسبة الى قبيلة سدراتة الأمازيغية، وهي بجوار ورجلان ومن أقاليمها، خربها بنو غانية سنة(626هـ/1229م)، وقد وقد كانت قبل القرن الخامس هجري من أهم مواطن الإباضية بالمغرب الأوسط، ينظر: ابن خلدون عبد الرحمن(808هـ/1406م): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن والحواشي والفهارس خليل شحاذة ومراجعة سهيل زكار، ط1، دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان ،2000، ج6،

الأوراس، إسماعيل بن درار الغدامسي من غدامس[1] جنوب طرابلس، أبوداود القبلي من نفزاوة[2] جنوب تونس، وعبد الرحمن بن رستم الفارسي من القيروان، وأبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري(ت144هـ/761م)[3].

- مرحلة الثورة:

لما أدرك البربر التناقض بين تعاليم الإسلام الذي كان يدعو إليه الفاتحون وممارسة بعض الولاة في الواقع[4]، من سوء معاملة وسبي وتخميس وإرهاقهم بالضرائب، حتى اعتبر بعضهم بلاد المغرب دار حرب، الأمر الذي ولد نفورا من السلطة العربية الحاكمة وتحيين الفرصة للثورة عليها، وهو ما وفر مناخا مناسبا لاعتناق البربر مبادئ الإباضية والصفرية التي تدعو الى المساواة والثورة على الحكام الجائرين[5].

ص153، تاديوش ليفتسكي: تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم، ترجمة عبد الله زارو، منشورات مؤسسة توالت الثقافية، 2006، ص72.

1- غدامس: قال عنها البكري مدينة لطيفة كثيرة النخيل والمياه وأهلها بربر مسلمون وبينها وبين جبل نفوسة سبعة أيام في الصحراء، ينظر، البكري: المسالك والممالك، ج2، 881. الشماخي: السير، ج2، ص432. ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، ج4، ص187.

2- مدينة من أعمال إفريقية، من بلاد الزاب بالجريد الكبير، بينها وبين القيروان ستة أيام، وبينها وبين قابس ثلاثة أيام، كثيرة النخيل والثمار، بها جامع وحمام وأسواق حافلة وحولها عيون كثيرة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5، ص296. البكري: المسالك والممالك، ص707-708.

3- أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص54، ص68-69، وتختلف الروايات التاريخية في وضعيته عبد الأعلى بن السمح المعافري، بين التحاقه بحملة العلم من بلاد المغرب الإسلامي باعتباره من قواد الجيش العربي بطرابلس، وبين من يعتبر أن التحاقه بحملة العلم كان بأرض المشرق، ينظر حسن حسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، مكتبة المنار، تونس، 1972، ج1، ص426.

4- الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني، القاهرة، ط1، 1994، ص62-66. ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س. كولان و ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983، ج1، ص48، 52. محمود اسماعيل عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط2، 1985، ص33، 36.

5- محمود إسماعيل عبد الرزاق: المرجع نفسه، ص40. علي الشابي: مباحث في علم الكلام والفلسفة، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2002، ص151.

كلل هذا النشاط بتطور الحركة الإباضية ببلاد المغرب وانتقالها من مرحلة الدعوة الى مرحلة الثورة، خاصة أمام ما حققته الثورات الصُفرية[1] بنجاحها في انتصاراتها على الأمويين[2].

نصب الإباضية أول رئيس لهم عبد الله بن مسعود التجيني(126هـ/743م) رغم الاضطراب السياسي الذي كان سائدا ببلاد المغرب، إلا أن السلطة السياسية بالقيروان لم تكن لتغفل عن انتشار الفكر الإباضي بنواحي طرابلس[3] وتنامي قوته المادية، وهو ما يهدد وجودها، فعمد والي طرابلس إلياس ابن حبيب(138هـ/755م) لأخيه عبد الرحمان بن حبيب(ت137هـ/754م) الى قتل عبد الله بن مسعود التجيني سنة(127هـ/745م)[4]، على اثر ذلك ثارت جموع الإباضية بقيادة الحارث بن تليد الحضرمي وعبد الجبار بن

1- تختلف المصادر في نسبتها، فقيل تنسب إلى عبد الله بن صفار التميمي الذي كان مع ابن الأزرق في بداية عهده، ثم انفصل عنه عند وقوع الخلاف بين قادة الخوارج سنة(64هـ/683م)، وقيل نسبة الى زياد بن الأصفر وقيل أنهكتهم العبادة فاصفرّت وجوههم، ظهرت على مسرح الأحداث اثر الخلاف بين الخوارج سنة (64هـ/683م) بعد عودتهم من مكة المكرمة الى البصرة، واختاروا القعود شأنهم شأن الإباضية إلا أنهم اختلفوا معهم في شأن استحلال الأموال والدماء، "وقالت الصفرية بتشريك أهل الكبائر من أهل التوحيد، واستحلوا سبي ذراريهم وغنيمة أمواهم" وبذلك كان موقف الصفرية، وجدت في بلاد المغرب مناخا ملائما لتأليب البربر على بني أمية وبني العباس، أبرز قادتها ميسرة المطغري. وأبو القاسم سمكوا بن وسول قامت لهم دولة في سجلماسة سنة (140هـ/757م)، تدعى دولة بني مدرار، ينظر، عمروس بن فتح: أصول الدينونة الصافية، ص52، 54،59، الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص153. أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ص67. بن الأثير: الكامل في التاريخ، ج3، ص491-492.. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص398. محمد عبد الفتاح عليان: نشأة الحركة الإباضية بالبصرة، ص70، 97.

2- من الأمثلة على ذلك واقعة الأشراف(121هـ/739م) واقعة بقدورة سنة(123هـ/741م). ينظر: ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، د ط، د ت، ص293-295. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج4، ص417-418. ابن خلدون: العبر، ج6، ص145-146.

3- طرابلس: مدينة قديمة جليلة على ساحل البحر عامرة آهلة وأهلها أخلاط من الناس، كانت أخر ما افتتح من المغرب في خلافة عمر بن الخطاب، ومن طرابلس الى نفوسة مسيرة ثلاثة أيام، أنظر، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص25. البكري: المسالك والممالك، ج2، ص654-655. اليعقوبي: البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ص184.

4- ابن عبد الحكم: فتوح إفريقيا والأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964، ص106.

قيس المرادي، وحققوا انتصارات تمكنوا من خلالها السيطرة على منطقة ما بين طرابلس وقابس[1].

أمام هذا التنامي الخطير لقوة الإباضية سار عبد الرحمن بن حبيب بنفسه على رأس جيش لقتال الإباضية، وتمكن من إلحاق الهزيمة بهم وقتل في ثنايا الحرب الحارث بن تليد الحضرمي وعبد الجبار بن قيس المرادي سنة(131هـ/749م)[2].

بقيت الدعوة الإباضية حية في النفوس وبتوجيه ومراقبة ودعم من طرف القيادة الدعوية بالمشرق، ووقع اختيارهم إسماعيل بن زياد النفوسي إماما جديدا للدفاع بطرابلس بين سنتي(131-132هـ/748-749م)، الذي تمكن من للملمة شتات جموع الإباضية بسبب الفرقة الناتجة عن الخلاف حول مسألة الحارث بن تليد وعبد الجبار بن قيس المرادي في أمر ولايتهما أو البراءة منهما[3]، ونجح في استرجاع منطقة نفوذ الإباضية

1- ابن عبد الحكم: المصدر نفسه، ص107. ابن خلدون: العبر، ج6، ص146. وعن قابس: فهي مدينة بين طرابلس والمهدية على الساحل، فيها نخل وبساتين، وهي ذات مياه جارية، وساحلها مرفأ للسفن، وحواليها قبائل من البربر لواتة ونفوسة. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص289.الحسن الوزان: وصف افريقيا، ج2، ص91. التجاني: رحلة التجاني، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1981، ص69-117.

2- الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، ص75. البرادي: الجواهر المنتقاة، ص170.

3- تختلف المصادر التاريخية في رواية مقتلهما، فالمصادر الإباضية تذكر أن الرجلين وجد مقتولين وسيف كل واحد منهما مغروس في الأخر فلم يعلم من المخطئ منهما، ومن هنا كان الاختلاف في ولايتهما أو البراءة منهما أو الوقوف؟ أما المصادر السنية فتذكر أنهما اقتتلا في ثنايا المعارك التي كانت بين الإباضية وجيوش عبد الرحمان بن حبيب(ت162هـ/778م)، فحوى المسألة هو خروج الحارث بن تليد الحضرمي وقاضيه عبد الجبار بن قيس المرادي سنة (132هـ/748م) على والي طرابلس حميد بن عبد الله العكي، ثم اختلف أمرهما فاقتتلا، فقتل كل منهما الأخر، أما المصادر الإباضية فترجع سبب قتلهما الى عبد الرحمن بن حبيب الذي دس إليهما من قتلهما وجعل سيف كل منهما مغمود في الأخر حتى يوهم أتباعهما أنهما تنازعا فاقتتلا فقتل كل منهما صاحبه ينظر، ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص301-302، الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص91. ابن خلدون: العبر، ج6، ص223. أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص61-62. الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص24-25. البرادي: الجواهر المنتقاة، ص170. عمرو خليفة النامي، دراسات عن الإباضية، ص193-194. محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج2، ص413.

من جديد سنة(132هـ/751م)[1]، إلا أنه لم يقو على مجابهة الضربات المتتالية لعبد الرحمن بن حبيب وقتل هو الأخر في نفس السنة، على اثر ذلك مال الإباضية الى السكون والدعة برهة من الزمن لينظموا أنفسهم من جديد ويتحينوا فرصة أخرى لإعلان إمامة الظهور.

ساعدت الظروف السياسية المضطربة ببلاد المغرب على منح فرصة جديدة للإباضية من أجل رص الصفوف وكسب الأنصار، أمام تناحر أفراد الأسرة الفهرية الحاكمة على السلطة ومناوأتها لسلطة الخلافة العباسية في المشرق بعد سقوط دولة الأمويين[2]، وفي هذه الأثناء عادت البعثة العلمية الأولى من البصرة سنة(140هـ/757م)، محملة بتوجيهات جديدة تدعو الى الظهور إن أنسوا من أنفسهم قوة تمكنهم من أعدائهم، فتعجلوا أمرهم وعقدوا الإمامة لأبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري(ت144هـ/761م)[3]، بعد أن اشترط عليهم ترك الخلاف والكف عن ذكر الحارث وعبد الجبار، وتمكنوا فعلا من السيطرة على طرابلس وطرد عاملها عمر بن عثمان

1– ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ص302. لواب ابن سلّام: بدأ الإسلام وشرائع الدين، ص118. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص150.

2– الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، ص76–77. ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص62، 64. ابن خلدون: العبر، ج6، ص146، 150.

3– PREVOST, Virginie.“ Abd al-Rahman ibn Rustum al-Farisi.Une tentative de biographie du premier imam de Tahart”, Un article dans un livre. der islam, zeitschrift fur geschichte und kultur des islamischen orients, herausgeber ,Benjamin Jokisch. BAND 86 HEFT 1. 2009.p46.

القرشي سنة(140هـ/757م) ثم جزيرة جربة[1] وقابس، ثم اتجهت أنظارهم الى القيروان ودخلوها سنة(141هـ/758م)[2].

لم تكن هذه الأحداث لتخفى عن أعين العباسيين السلطة الجديدة في المشرق التي كانت منشغلة بتوطيد حكمها، ولما كان لها ذلك اتجهت الى استرجاع الأقاليم المفتوحة الى حوزة الخلافة العباسية، ومن ضمنها بلاد المغرب فسير أبو جعفر المنصور(136-158هـ/ 754-775م) لها حملة عسكرية سنة(142هـ/759م) بقيادة واليه على مصر محمد بن الأشعث الخزاعي(ت149هـ/766م)، تمكن هذا الأخير من إلحاق الهزيمة بجموع الإباضية سنة (144هـ/762م) بسرت[3]، قُتل فيها أبا الخطاب عبد الأعلى وسار الى القيروان ودخلها في نفس السنة.

بعد مقتل أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري سنة(144هـ/761م) انقسم النشاط الثوري للإباضية ببلاد المغرب الى قسمين: نشاط بالمغرب الأدنى والأخر بالمغرب الأوسط مع التنسيق بينهما[4].

1- جربة: جزيرة بالمغرب من ناحية إفريقية قرب قابس، جنوب شرق البلاد التونسية، فيها بساتين كثيرة، وأهلها خوارج، وهم منقسمون الى فريقين وهبية في الجهة الغربية، ونكار في الجهة الشرقية وكلهما من الإباضية. ينظر، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص118. الحسن الوزان: وصف افريقيا، ج2، ص94. التجاني: رحلة التجاني، ص123.

2- أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص62. الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، ص81. ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص71. ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص146، 151. الشماخي: السير، ج2، ص248-255.

3- ابن سلّام: بدء الإسلام وشرائع الدين، ص127. أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص68-69. ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص82. ابن خلدون: العبر، ج6، ص147. وعن سيرت مدينة على ساحل البحر بين برقة وطرابلس وهي موطن لقبيلة مزاتة البربرية وهم الغالبون عليها، وأهلها كلهم إباضية، ينظر: اليعقوبي: معجم البلدان، وضع حواشيه محمد أمين ضنّاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت، ص182.

4- يظهر هذا التنسيق في ارسال أبي حاتم يعقوب بن حبيب الملزوزي زكاة الأموال الى عبد الرحمن بن رستم الذي كان يعد لإقامة إمامة الظهور بتيهارت، ويظهر كذلك في اشتراكهما في حصار طبنة بالزاب التي كانت تحت أعمال التحصين من طرف عامل العباسيين على القيروان عمرو بن حفص، ينظر، ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص75. الشماخي: السير، ج2، ص263. محمود اسماعيل عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب، ص91.

أ- بالمغرب الأدنى: تمثل في مبايعة أبي حاتم يعقوب بن حبيب الملزوزي(145-155هـ/762-772م) إماما للدفاع، واستطاع هذا الأخير لم شمل إباضية المغرب الأدنى من جديد بعد أربعة سنوات قضاها في ذلك[1]، ولما أنس من نفسه قوة ثار على عامل العباسيين في طرابلس وتمكن منها سنة(150هـ/767م)[2]، ثم حاصر القيروان ودخلها في سنة(153هـ/770م)، ولم يدم هذا النصر طويلا حتى وصلت امدادات عسكرية ضخمة من طرف الخليفة أبي جعفر المنصور على رأسها والي مصر للعباسيين يزيد بن حاتم المهلبي(ت170هـ/787م)، فخرج إليه أبو حاتم الملزوزي واستطاع أن يحقق نصرا في المرحلة الأولى على طلائع جيش يزيد بن حاتم بمغدامس[3]، إلا أن ضخامة جيش يزيد صنعت الفارق، والتقى الجمعان من جديد بجبل نفوسة انهزمت فيها جموع الإباضية وقتل قائدها أبو حاتم في المعركة سنة(155هـ/772م)[4].

ب- بالمغرب الأوسط: لجأ عبد الرحمن بن رستم(حكم ما بين: 160-171هـ/777-788م) وهو صاحب أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح وواليه على القيروان بعد هزيمته بسرت أمام جيوش محمد بن الأشعث(ت149هـ/766م) الى المغرب الأوسط، واتخذ من تيهرت ملجأ[5]، حيث كانت ترابط بعض القبائل التي تدين بالمذهب الإباضي هناك كزناتة ولماية[6] ولواته[1]، وتوافدت عليه جموع الإباضية من المغرب الأدنى[2] بعد أن

1- أبو زكريا: المصدر السابق، ص73.

2- الشماخي: المصدر السابق، ج2، ص259. محمود اسماعيل عبد الرزاق: المرجع السابق، ص89-90.

3- موضع ساحلي بسرت شرقي طرابلس على بعد مرحلة منها، ينظر، البكري: المسالك والممالك، ج2، ص653.

4- أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص77. محمود اسماعيل عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب، ص93.

5- PREVOST Virginie: op .cit, p49.

6- لماية: قبيلة بربرية بترية اباضية استوطنت المغرب الأوسط استنجد بها عبد الرحمن بن رستم لحلف قديم بينهما، بعد فشل الحلف الذي كان بين الإباضية والصفرية حصاره عمر بن حفص المهلبي لطبنة قاعدة إقليم الزاب، وبايعه أهلها وأعانوه على بناء مدينة تيهرت، يقول ابن خلدون أنها كانت بأرض السرسو قبلة منداس وزواغة وفي ناحية الغرب منهم. ينظر: ابن خلدون: العبر، ج4، ص247. ج6، ص158.

أنهكتها تتابع الحملات العسكرية من الولاة العباسيين على القيروان، وتمت مبايعة عبد الرحمن بن رستم إماما للظهور سنة(160هـ/777م)[3]، وهو إيذان بقيام أول دولة إباضية ببلاد المغرب دام حكمها حتى سنة(296هـ/909م).

نجح رجال الإباضية في لعب دور مهما في تاريخ المغرب الإسلامي بداية من القرن الثاني للهجرة دينيا وسياسيا، في غرس بذور مذهبهم بفعل رجال أخلصوا في دعوتهم، وساعدت الظروف السياسية المضطربة ببلاد المغرب الإسلامي بفعل انهيار الدولة الأموية بالمشرق وبداية قيام الدولة العباسية.

وكللت محاولاتهم المتكررة في تأسيس دولة إباضية بنجاح –الدولة الرستمية– بداية من العقد السابع من القرن الثاني للهجرة، كان لها الأثر الواضح في ترسيخ مبادئ المذهب وتوسيع انتشاره على نطاق واسع ببلاد المغرب، إلا أنها لم تتمكن من الصمود أمام المد الشيعي ببلاد المغرب، فكان انهيارها سنة(296هـ/909م) إيذانا بدخولهم في مرحلة الكتمان من جديد، وآلت أوضاعهم الى انحصار تواجدهم في أماكن بعيدة عن السلطة المركزية بجبل نفوسة وجزيرة جربة وبإقليم وورجلان.

---

[1]– لواتة: قبيلة بربرية بترية لها بطون كثيرة موزعة على بلاد المغرب في مواطنهم الأصلي بنواحي برقة، واستوطن فرع منهم جبل الأوراس كان قاعدة لتورة أبو يزيد مخلد بن كيداد، وأخرون ضواحي تيهرت وبجاية ولهم بطون بقابس وصفاقس، ينظر، ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص152–154.

[2]– أبو زكريا: المصدر السابق، ص71، ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص82. ابن خلدون: المصدر نفسه، ج6، ص147. محمود اسماعيل عبد الرزاق: المرجع السابق، ص110.

[3]– الشماخي: السير، ج2، ص265–266.

4- علم الكلام:

تتحدد أي معرفة علمية وتتميز عن غيرها بتحديد المجال الذي تبحث فيه فيبرز موضوع مستقل خاص بها، كما أن العلم لا يستقيم إلا متى تمكن أصحابه من تسطير خطوات منهجية تناسب الموضوع المدروس، ويلزم عن ذلك نتائج دون إغفال للظروف المساعدة على نشوئها وتطورها، ولا يشذ علم الكلام عن ذلك.

-تعريفه:

يقول الفارابي(339هـ/950م) عن علم الكلام "صناعة الكلام ملكة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واضع الملة وتزييف ما خالفها بالأقاويل"[1].

والى معنى غير بعيد عن تعريف الفارابي عرفه عبد الرحمن الإيجي(ت657هـ/1355م) "الكلام علم يُقتدر معه على اثبات العقائد الدينية بإراد الحجج ودفع الشبهة"[2]، وقال عنه ابن خلدون(808هـ/1406م) "هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد عن المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة"[3].

يستنتج من التعريفات السابقة أن علم الكلام هو علم يتخذ من العقائد المرتبطة بالمقدسات موضوعا للبحث والدراسة لأجل اثباتها كما جاء بها الوحي وبيان فساد ما يعتقد أنه انحرافات عند الغير.

1- أبو نصر الفارابي: إحصاء العلوم، تحقيق عثمان أمين، مكتبة أنجلو، القاهرة، ط3، 1968، ص131.

2- عضد الدين عبد الرحمن الإيجي: المواقف في علم الكلام، عالم الكتب، بيروت، د ت، ص7.

3- ابن خلدون: المقدمة، تحقيق حجر عاصي، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1991، ص429.

ومن ثم فهو جهد عقلي مؤداه الدفاع عن العقيدة الإسلامية واثبات قواعدها بالنظر العقلي، وذلك بمواجهة المخالفين لها والمعترضين عليها[1]، عرف بهذا الاسم لاتخاذه كلام الله(القرآن) موضوعا للدراسة من حيث قدمه وحدوثه وفي مُحكمه ومتشابهه، ومن حيث صفاته عز وجل الممكنة والمستحيلة تجسيدا لمبدأ التوحيد[2] ولما كان كلام الله أشهر أجزاء هذا العلم أخذ اسمه منه[3].

-موضوعة:

وضح لنا الجرجاني(816هـ/1413م) حقيقة هذا العلم وموضوعه ومسائله فيقول: "علم باحث عن أمور يعلم منها المعاد وما يتعلق به من الجنة والنار والصراط والميزان والثواب والعقاب وقيل هو العلم بالقواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة من الأدلة"[4].

تتعدد مواضيعه حسب النوازل التي تعترض الأمة فيما يتصل بالعقائد[5]، ومن أهم المواضيع التي كانت محل اجتهاد عند المتكلمين التوحيد والصفات، القضاء والقدر، الوعد والوعيد، والثواب والعقاب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الإمامة، وزاد آخرون حسب مقالاتهم، كالمنزلة بين المنزلتين، والولاية والبراءة.

-غايته:

- معرفة أصول الدين معرفة عميقة ترتقي بإيمان الفرد من البساطة والسذاجة الى الوعي والإدراك الصحيح القائم على الدليل والبرهان.

---

[1]- مصطفى عبد الرزاق، تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، د ط، 2001، ص384.

[2]- سميح دُغيم: موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1998، ج2، ص1084.

[3]- علي الشابي: مباحث في علم الكلام والفلسفة، ص11.

[4]- الجرجاني علي بن محمد(816هـ/1413م): التعريفات، تحقيق محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، 2004، ص 155.

[5]- مصطفى عبد الرزاق: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، ص390.

– ترسيخ العقائد الإيمانية وتثبيتها في نفوس المسلمين بدفع الشبهات والضلالات عنها، يقول أبو حامد الغزالي(ت505هـ/1111م): "المقصود منه حفظ عقيدة أهل السنة وحراستها من تشويش أهل البدعة...فأنشأ الله طائفة المتكلمين وحرك دواعيهم لنصرة السنة بكلام مرتب يكشف تلبيسات أهل البدعة المحدثة على خلاف السنة المأثورة"[1] .

– القدرة على الاعتراض والنقض الترجيح بين الأدلة ومعرفة مآلاتها وتمييز صحيحها من سقيمها.

– الترقي من حضيض المعرفة المبنية على التقليد التي غالبا ما تكون في قوالب جاهزة الى ذروة العلم المبني على اليقين[2].

–منهجه:

– ينطلق المتكلم من مسلمات عقائدية مقررة وضعها الشرع مما أحكمت دلالته يأخذها مأخذ اليقين يسلم بصحتها ثم يلتمس الطرق العقلية المنطقية التي تؤدي الى اثباتها وتأييدها.

– رخصوا لأنفسهم استعمال العقل في النظر الى النصوص إيمانا منهم بقدرته على فهمها وإدراك مغازيها، فأولوا المتشابه من الآيات بتجاوز ظاهر النص عملا بمبدأ عدم التناقض[3] على تفاوت بين المتكلمين بين مغال ومتحفظ باختلاف مدارسهم الكلامية.

1– أبو حامد الغزالي: المنقذ من الضلال والموصل الى ذي العزة والجلال، تحقيق محمد أبو ليلة ونور شريف رفعت، نشر جمعية البحث في القيم والفلسفة، واشنطن، د ت، ص175.

2– عبد الصمد تمورو تجديد الكلام في علم الكلام، ضمن كتاب الاتجاهات الكلامية بالغرب الإسلامي، تنسيق علي الإدريسي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم118، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2005، ص31–32. حمو النقاري: من أجل منطق لعلم الكلام، مقال ضمن نفس الكتاب، ص265.

3– مصطفى عبد الرزاق: تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية، ص371.

- اتخذوا أسلوب المناظرة والجدل وسيلة لمواجهة الخصوم سواء بالمشافهة أو المكاتبة[1].

وعليه يمكن القول أن الاتجاه الكلامي هو اجتهاد فكري لفهم النص العقدي، ترتبط مضامينه بالدرجة بالتوحيد المطلق لله، ورفض جميع التصورات التي تتنافى وهذه الحقيقة الوجودية وبيان تهافتها كالتشبيه والتعدد، وإفراد الله عز وجل بالوحدانية في الذات والأسماء والصفات والأفعال.

تجدر الإشارة هنا الى تحول الغاية من اكتساب فنيات هذا العلم في التعاريف السابقة الى نصرة مذهب على آخر، وترجيح مقالاته بالأدلة العقلية أو النقلية أو التركيب بينهما، فاحتدم الصراع الفكري بين المذاهب والفرق مما أدى الى التعصب في الرأي والمذهب فكل مجادل يهدف الى هدم مقال خصمه سواء كان حقا أو باطلا، واقتناص نقاط الضعف في رأي خصمه، هذا ناهيك عن التوظيف السياسي للبحث الكلامي وتحوله الى أداة سياسية فعالة بيد السلطة أو معاريضها وهو ما يبتعد عن الغرض الشرعي والمعرفي من وضع أسس هذا العلم.

[1]- شكيب الطبلبي: مدخل مناهجي الى علم الكلام، دار المتوسط الجديدة، تونس، ط2، 2012، ص182-183.
حمو النقاري: من أجل منطق لعلم الكلام، ص283.

الفصل الأول: علم الكلام ببلاد المغرب الإسلامي

1. عوامل دخول علم الكلام الى بلاد المغرب الإسلامي.

أ/ العوامل الخارجية: الدور المشرقي في الثقافة المغربية

- التبعية السياسية
- الرحلات العلمية
- دخول المؤلفات الكلامية الى بلاد المغرب

ب/ العوامل الداخلية: الإستقرار السياسي والتسامح المذهبي

- السياسة الثقافية للأغالبة
- السياسة الثقافية للرستميين
- السياسة الثقافية للفاطميين

2. الاتجاهات الكلامية بالمغرب الإسلامي بين الانتشار والانحسار.

- المعتزلة.
- المالكية.
- الشيعة.
- الأشاعرة.

3. أسباب تأخر الجدل الكلامي عند المغاربة.

- ثورات المغاربة
- الانتشار المحدود للغة العربية
- الفارق الزمني بين انتشار الإسلام بين المشرق والمغرب
- احجام المغاربة عن الانخراط في الحراك الفكري
- الرقابة الفكرية
- الإختلاف البيّن في البيئة الإجتماعية والثقافية
- قلة الحواضر العلمية في بلاد المغرب
- اتلاف الكتب والمكتبات

إن من بواكير الإشارة الى المقالات الكلامية ببلاد المغرب الإسلامي ما كان من شأن الرسالة التي حررها فقهاء أهل طنجة بالمغرب الأقصى، بتحريض من الوالي حنظلة بن صفوان(ت130هـ/747م) لأجل تهدئة ثوار البربر ضد الحكم الأموي بعد أن اعتنقوا مبادئ الخوارج الصفرية[1].

فكان مما تعرضت له هذه الرسالة[2] الإشارة الى الآيات المحكمة التي يعمل بها والمتشابهة التي يؤمن بها، إلا أن هذه المسائل لم تكن لتغري المغاربة للخوض فيها، إذ كان اهتمام المغاربة التعرف على الدين الجديد في أوامره ونواهيه، فكانت الغلبة للفقه والحديث لأنهما يمسان حياتهم ومعاملاتهم اليومية والتعبدية، ولم يكن الجدل الكلامي المصاحب للتفاعل الفكري بين الفرق والمذاهب قد أخذ مكانته في بلاد المغرب حتى نهاية القرن الثاني للهجرة.

ومع تشكل الفكر الإسلامي بظهور المذاهب الفقهية والمدارس الكلامية ببلاد المشرق، سعى كل اتجاه فكري الى نشر أفكاره وتصوراته الفقهية والعقدية، وبذل كل اتجاه جهودا معتبرة لتكوين قاعدة اجتماعية كبيرة توسع دائرة تأثيرهم على حساب الاتجاهات الأخرى، تكون له سندا في تحقيق آمالهم، من خلال عدة وسائل أهمها بث الدعاة واستقبال طلبة العلم، ومن البوادر المبكرة لأثر هؤلاء الدعاة في إثارة المسائل الكلامية هو ردة فعل أبي قبيل المعافري(ت128هـ/745م) الذي دخل افريقية مع جيش

1- علي الإدريسي: الجدل الفكري في القيروان من خلال كتاب رياض النفوس للمالكي، ضمن كتاب الاتجاهات الكلامية بالغرب الإسلامي، تنسيق علي الإدريسي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم118، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2005، ص129.

2- ينظر نص الرسالة كاملة في كتاب للمالكي أبو بكر عبد الله: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأخبارهم وأوصافهم، تحقيق بشير بكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1994 ،ج1، ص103.

حسان بن النعمان(ت86هـ/705م) فاتحا، سئل عن القدر فأجاب "لأنا في الإسلام أقدم منه، فدين في الإسلام أنا أقدم منه لا خير فيه"[1].

فكانت بذلك بلاد المغرب الإسلامي شأنها كشأن بقية أقاليم بلاد الإسلام، محلا لوفود مقالات التيارات الفكرية بداية من القرن الثاني للهجرة، ومع نهاية القرن الثالث للهجرة حتى اتضحت الصورة المذهبية بشكل واضح، ونظرا للاختلاف والتبيان في المبادئ والتصورات قامت صراعات مذهبية فيما بينها، تفاعل المغاربة من مختلف الفئات مع هذه الصراعات.

أمام هذا الوضع الفكري ازداد طموح المغاربة الى التعمق أكثر في فهم الدين، فخاضوا في التفسير والتأويل، ولم يعد الإيمان بالدين الإسلامي بسيطا، بل أصبح الإيمان يقوم على بناء الحجج وتركيب القناعات، بعد رواج أفكار هذه الفرق وحصول بعضها على موضع قدم في بلاد المغرب كالإباضية والصفرية والشيعة الزيدية، وما إن استهل القرن الرابع هجري على بلاد المغرب حتى ظهرت أولى المؤلفات التي تهتم بشأن العقيدة والكلام، من شأن ذلك أن يدعونا لطرح السؤال التالي: ما هي العوامل المساعدة على دخول علم الكلام الى بلاد المغرب؟ وماهي الفرق الإسلامية التي كان لها شأن في بلاد المغرب؟ وماهي أهم مقالاتها التي روجت لها؟ ولماذا تأخر المغاربة عن المشارقة في الخوض في مسائل علم الكلام؟

1- المالكي: المصدر السابق، ج1، ص143-144.

1-عوامل دخول علم الكلام الى بلاد المغرب الإسلامي:

1-أ-العوامل الخارجية:

- التبعية السياسية:

واكبت بلاد المغرب الحركة الفكرية التي شهدتها بلاد المشرق باعتبارها من أقاليم الدولة الإسلامية، تفرض هذه التبعية السياسية من جهة المغاربة الالتزام بمرجعية الوحدة الفكرية الإسلامية بين المشرق والمغرب في إطار الحضارة الإسلامية، فكان المشارقة زعماء سياسيين أو علماء حريصين على أن تصل آراؤهم ومذاهبهم إلى مختلف ربوع العالم الإسلامي، من خلال الدعاة[1] والولاة الذين يقومون بشأن الرعية إداريا وقضائيا وعسكريا، فكانت هذه الوظائف من نصيب بعض من كان ينسب الى العراق أمثال القاضي أبي العباس بن عبدون(297هـ/909م) وعبد الله محمد بن الأشج (ت286هـ/899م)[2]، خاصة في العهد العباسي، هذا الأخير المعروف عنه أنه موطن الحراك العقلي في المشرق الإسلامي خاصة حاضرتيه البصرة والكوفة[3].

---

[1]- من أهم هؤلاء الدعاة: بعثة الفقهاء العشر من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز سنة (100هـ/718م) وداعيتي الصفرية والإباضية عكرمة بن عبد الله مولى بن عباس(105هـ/723م) وسلمة بن سعد (135هـ/752م)، وداعية الشيعة عيسى بن محمد النفس الزكية، وداعية واصل بن عطاء المعتزلي عبد الله بن الحارث، تزامن قدوم هؤلاء الدعاة في فترات زمنية متقاربة جدا، يمكن تحديدها بالعقود الأولى للقرن الثاني للهجرة بين سنتي(100-110هـ/718-728م)، ينظر: المالكي: رياض النفوس،ج1، ص99-117. عبد المجيد بن حمدة: المدارس الكلامية بإفريقية الى ظهور الأشعرية، مطبعة دار العرب، تونس، ط1، 1986، ص162. الفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1987، ص97.

[2]- أفرد الخشني محمد بن الحارث في كتابه "طبقات علماء إفريقية" بابا سماه باب "ذكر الرجال العراقيين" الذين تولوا المناصب الإدارية والقضائية وعدد 25 اسما بين قاضي وكاتب وواليا، ينظر، الخشني محمد بن الحارث: طبقات علماء إفريقية، تحقيق محمد زنهم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1994، ص49-59.

[3]- الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص226. ابن خلدون: العبر، ج1، ص564. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، ص440. مبارك بن عبد الله الراشدي: الإمام أبو عبيدة مسلم بن ابي كريمة وفقهه، مطابع الوفاء، المنصورة، ط1، 1994، ص63-64. أحمد أمين: ظهر الإسلام، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004، ج4، ص14. عبد العزيز المجذوب: الصراع المذهبي في إفريقية الى قيام الدولة الزيرية، الدار التونسية للنشر، 1975، ص93.

ولا شك أن هؤلاء قد حملوا معهم من مهجرهم أراءهم الفقهية والكلامية، وكما هو معروف ما لدور هذه الوظائف في نشر الأفكار والمذاهب وتثبيتها، مما أوجد طريقا الى دخول المعارف الدينية فقهية كانت أو عقدية كلامية وطرقها الاستدلالية الى بلاد المغرب، فكان الكلام في القدر وخلق القرآن على النحو الذي كان في بلاد المشرق الإسلامي[1].

اكتفى المغاربة أولا بتقليد المشارقة فيما يصدر عنهم من اجتهادات عقدية أو فقهية خاصة خلال القرنين الأول والثاني للهجرة، فالمقارنة توحي أن الأفكار الفقهية والكلامية التي كانت محل نقاش بين المغاربة هي صدى لما كان في المشرق[2]، حتى الظروف والملابسات، فقد شبه الكثير من كتاب التراجم والسير المالكية محنة الإمام سحنون بن سعيد[3](ت256هـ/869م) بالمغرب حول مسألة خلق القرآن[4] بمحنة الإمام أحمد بن حنبل(ت241هـ/854م) بالمشرق، التي ساير فيها الأمير الأغلبي

1- عبد المجيد بن حمدة: المدارس الكلامية بإفريقية الى ظهور الأشعرية، ص50. عبد العزيز المجدوب: الصراع المذهبي في إفريقية الى قيام الدولة الزيرية، ص135.

2- الفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ص115. علي الإدريسي: الأشعرية والإستقرار المذهبي بالمغرب، ضمن كتاب المذاهب الإسلامية ببلاد المغرب من التعدد الى الوحدة، تنسيق حافظ علوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سلسلة ندوات ومناظرات رقم145، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2008، ص128-130.

3- عبد السلام بن سعيد الملقب بسُحنون: انتهت اليه الرياسة في العلم ببلاد الغرب، شامي الأصل قيرواني المولد اشتهر بشجاعته في الحق، تولى القضاء للأغالبة سنة(234هـ/884م)، تجمع المصادر على دوره في تثبيت وغلبة المذهب المالكي على المذاهب الأخرى، له ترجمات وافية وطويلة في كتب التراجم المالكية، من أهم آثاره كتاب المدونة وهو في الفقه المالكي. ينظر، القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك في لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998، ج1، ص339-362. المالكي: رياض النفوس، 345-375.

4- ينظر تفاصيل المناظرة التي رتبت له في مجلس الأمير الأغلبي، وكان خصمه فيها قاضيه عبد الله ابن أبي الجواد(ت224هـ/838م)، ينظر، المالكي: المصدر نفسه، ج1، ص236.

أحمد بن الأغلب(223-226هـ/839-841م) الخليفة العباسي المأمون(198-218هـ/813-833م) الذي أظهر القول بخلق القرآن[1] سنة(212هـ/827م).

ومع مطلع النصف الثاني من القرن الثاني الهجري فقدت بلاد المغرب الإسلامي انسجام وحدتها السياسية والمذهبية بنشوء دول ذات انتماءات سياسية مختلفة، ومعها أضحت بلاد المغرب فسيفساء من المجموعات السياسية والعقدية المختلفة[2]، لكل منها مرجعيتها الفكرية، هذا بعد أن كانت أرض المغرب ملجأ للفارين من أصحاب النحل وملاذا مفضلا للاجئين من الصراعات السياسية والفتن العقدية لبعده الجغرافي عن بلاد المشرق، خاصة وأن أغلب هؤلاء الفارين والمعارضين كانوا دعاة سياسيين ومن أصحاب الدراية والعلم، فوجدوا في بساطة المغاربة وصدق فطرتهم وانعزالهم وبعد ديارهم سوقا رائجة لأفكارهم[3]، ووجدوا فيهم السند البشري والوعاء الجماهيري لمقارعة السلطة في المشرق[4]، ومن ثم تمهيد الأرضية لظهور فرق واتجاهات كلامية من جهة ومن جهة

1- القاضي عياض: تراجم أغلبية، تحقيق محمد الطالبي، نشر الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1968، ص115. نجم الدين الهنتاتي: المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، تبر الزمان، تونس، 2004، ص 98-99. وإن كانت محنة الإمام سحنون تختلف عن محنة الإمام أحمد في شدتها ومدتها الزمنية، فقد دامت المحنة في بلاد المشرق حاولي ثلاثين سنة، ينظر: نجم الدين الهنتاتي: الصراع المذهبي بالقيروان وتفاعله مع واقعها الإقتصادي والاجتماعي والعمراني الى منتصف القرن(5هـ/11م)، حوليات الجامعة التونسية، العدد44، 2000، ص192.

2- علاوة عمارة: انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب الأوسط، مجلة آفاق الثقافية، نشر جمعية الماجد للثقافة والتراث، العدد56، جانفي2007، ص26.

3- محمد الشرحبيلي: تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية عصر المرابطين، مطبعة فضالة، المملكة المغربية، 2000، ص87.

4- المقري أحمد بن محمّد التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ج3، ص73.

آخرى باعتباره أرضًا خصبة لزراعة أفكارهم وتجسيد أهدافهم السياسية وهو ما كان فعلا[1].

ولعل من أبرز مظاهر ذلك تأسيس دول ذات طابع مذهبي محض، مرجعيتها الفكرية مشرقية واضحة، وهو مؤشر على انتقال جل أفكار المذاهب والفرق الكلامية التي برزت في المشرق إليها، فالآراء الكلامية بالمغرب الإسلامي هي امتداد واستمرارية لما كان في المشرق خاصة قبل منتصف القرن الثاني للهجرة، ولعل في انتشار أفكار الصفرية والإباضية وتيارات التشيع الزيدي والإسماعيلي وتعاليم الإعتزال الواصلي[2] ما يفصح عن متانة الصلات الثقافية والمذهبية بين المشرق والمغرب[3].

- **الرحالات العلمية:**

يتفق معظم الباحثين على الدور الفاعل للرحالات في تشكيل الخريطة المذهبية لبلاد المغرب الإسلامي، كما على كونها رافدا مهمًا من روافد الفكر العقدي ببلاد المغرب، بفعل الإتصال المستمر للمغاربة بالمشرق[4]، ومن أبرز مظاهر ذلك وفود طلبة العلم المغاربة وترددهم في رحلات مستمرة الى المشرق يزورون أرض الحجاز للحج، وللدرس والتحصيل وللتجارة أحيانا[5]، وفي كل هذه الأغراض نقل المغاربة أنماطا كثيرة من صور الجدل الفقهي والعقدي الى بلادهم، فأيما مسألة فكرية نوقشت في المشرق

1- عبد المجيد الصغير: في الحاجة الى تاريخ نقدي لعلم الكلام بالمغرب، ضمن كتاب الاتجاهات الكلامية بالغرب الإسلامي، مرجع سابق، ص18.

2- سيأتي الحديث عن هذه التيارات الفكرية في مبحث الاتجاهات الكلامية.

3- أحمد الطاهري: أصول علم الكلام أو الحلقات المبتورة من تاريخ الفكر بالمغرب والأندلس، ضمن الاتجاهات الكلامية بالغرب الإسلامي، مرجع سابق، ص165.

4- عبد القادر بوعقادة: الحركة الفقهية في المغرب الأوسط بين القرنين7و9هـ/13و15م، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله، (2015/2014)، ص111، 114.

5- يحيى هويدي: تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، مكتبة النهضة، مصر، 1965، ص166. الفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ص115.

إلا ويكون لها صدى في المغرب، وما مناظرات المعتزلة للمالكية والإباضية بالمغرب إلا شاهدا على ذلك[1].

تشترك مجموعة من العوامل وتتداخل في هجرة المغاربة على اختلاف مذاهبهم الى المشرق الإسلامي وتترتب حسب الحاجة والضرورة، منها لأغراض سياسية كالفرار من الاستبداد أو أغراض أخرى تجارية وعلمية ودينية[2]، فكان الحافز الديني المتمثل في الحج فرصة لنقل العلم وملاقاة العلماء، تزامن ذلك مع بروز الملامح الكبرى للمذاهب الفقهية والفرق الإسلامية في المشرق، والتقوا بأئمة المذاهب في المدن الكبرى بالمشرق الإسلامي، كما كان دأب المغاربة للقاء إمام دار الهجرة الإمام مالك(179هـ/795م) وأبي حنيفة(150هـ/767م) أو أصحابهما[3].

كما كان موسم الحج فرصة دينية مناسبة للقاء الحجّاج الإباضية، خاصة وأنهم عرفوا بولعهم الشديد بزيارة بيت الله الحرام، فلم تمنعهم حرارة الصحراء وبعد الطريق وأخطارها من أداء الفريضة[4]، ذكر الوسياني(ق6هـ/12م) في سيره والدرجيني(670هـ/1271م) في طبقاته أن أهل نفوسة ولد لهم في رحلة من رحلات حجهم ثلاثمئة مولود ذكر، بغض النظر عن من ولد لهم من البنات ومن لم يولد لهم[5]، وبغض وبغض النظر عن الرقم المذكور وما يحمله من مبالغة لا شك أن موسم الحج شكل

1- إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية- دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية- نشر جمعية التراث، ط2، 1993، ص398. يحيى هويدي: تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، ص185.

2- عبد القادر خليفي: الرحلات بين المشرق والمغرب وقيمتها التاريخية، مجلة المواقف، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، منشورات جامعة معسكر، العدد04، ديسمبر 2009، ص114-116.

3- فريد بن سليمان: السلطة والمجتمع بإفريقية في القرن الثالث والرابع هجريين، مجلة معهد الآداب العربية، العدد173، سبتمبر 1994، ص131. وعن من لقي من المغاربة الإمام مالك وأخذ عنه مباشرة بالمدينة المنورة، ينظر القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج1، ص144.

4- إبراهيم القادري بوتشيش: التواصل الحضاري بين عمان وبلاد المغرب، منشورات جامعة السلطان قابوس، ط1، مسقط، سلطنة عمان، 2000، ص16.

5- الوسياني: سير، ج1، ص238. الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص325.

فرصة مواتية من أجل تدعيم المذهب ونشره والرد على الاستفسارات والأسئلة وتلقي الفتاوي[1]، وما يصاحب ذلك من مجالس علمية، وهي فرصة كذلك لعقد حلقات العلم والمناظرة وتبادل الكتب والرسائل، إذ كان للحجاج المغاربة أماكن معلومة في موسم الحج يلتقون فيها بإباضية المشرق تسمى بمضارب محبوب[2] بمينًا بمكة المكرمة، وقد عدّ في موسم من المواسم في هذه اللقاءات من العلماء مائة وخمسون عالما منهم خمسة وعشرون من أهل عمان[3].

إلا أنه ما فتئ أن تغير الأمر فحل الحافز العلمي محل الحافز الديني[4]، خاصة من رجالات المذهب المالكي والإباضي من أجل توثيق السند العلمي الرفيع مع علماء المشرق[5].

ومن هنا كانت الرحلات العلمية من الأهمية بمكان باعتبارها تتطلب مدة زمنية طويلة بالمقارنة مع رحلة الحج والعمرة، ولهذا الغرض دامت رحلة حَمَلة العلم المغاربة الى البصرة خمس سنوات(من135هـ/752م الى140هـ/757م) باعتبارها المركز العلمي

---

[1]- عبد الرحمن عثمان حجازي: تطور الفكر التربوي في الشمال الإفريقي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2000، ص108.

[2]– نسبة لأبي سفيان محبوب بن الرحيل(ت أواخر ق2هـ/8م): من أئمة الإباضية بالمشرق آلت إليه زعامة الجماعة بعد الربيع بن حبيب، اعتنى بأخبار شيوخ الإباضية بالبصرة وسيرهم، وكان هذا الكتاب متداولا ببلاد المغرب بتوجيه وعناية الأئمة الرستميين، وكان محتوى الكتاب المادة الأولى لكل من الدرجيني والشماخي في السير والتراجم الإباضية، ينظر: الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص70،7. ج2، ص278–279. الشماخي: السير، ج1، ص234. جوزف فان أس: علم الكلام والمجتمع في القرنين الثاني والثالث للهجرة، ترجمة محي الدين جمال بدر ورضا حامد قطب، منشورات الجمل، ط1، 2016، ج2، ص312–313. محمد ناصر وسلطان بن مبارك الشيباني: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2006، ص368–369.

[3]– ابن سلام: بدء الإسلام وشرائع الدين، ص109.

[4]– محمد آيت حمو: فضاءات الفكر في الغرب الإسلامي، ص157. نفس المؤلف: علم الكلام في الغرب الإسلامي بين الاقتباس والخصوصية، ضمن كتاب الاتجاهات الكلامية بالغرب الإسلامي، مرجع سابق، ص50.

[5]– محمد مسعود جبران: علي بن زياد الطرابلسي ودوره في نشر المذهب المالكي في القرن الثاني للهجرة، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا، ط1، 2010، ص45.

الأول لطلبة العلم الإباضين خلال القرن الثاني للهجرة[1]، ولا شك أن نوعية التكوين الذي تلقاه أفراد البعثة لا يخلو من مواد ومعارف عقدية كلامية تمكنهم من أداء مهامهم على أتم وجه في نشر المذهب والدفاع عنه[2]، خاصة أن البصرة عرفت حينها بعاصمة المذاهب والفرق.

ولا تختلف العاصمة العباسية بغداد عنها كثيرا باعتبارها العاصمة الثقافية الجديدة للدولة الإسلامية، وكانت كذلك من العواصم المقصودة للعلم من طرف طلبة العلم المغاربة خاصة منهم الإباضية والمعتزلة، والشواهد على ذلك كثيرة نذكر منها رحلة فرج بن النصر النفوسي الشهير بنفاث الإباضي(ق3ه/9م)[3] الى بغداد للاستزادة من العلم الذي يمكنه من محاججة الإمام أفلح بن عبد الوهاب(حكم بين208-258ه/823-871ه)[4]، وكعادة طلبة العلم عاد من رحلته الى جبل نفوسة محملا بديوان جابر بن زيد(ت93ه/711م).

ورحلة سليمان بن حفص الفراء[5](ت269ه/882م) الذي ينسب اليه امتداد انتشار الفكر المعتزلي بالمغرب بعد عودته من رحلة الى العراق بالمشرق، أخذ فيها

1- محمد ناصر بوحجام: التواصل الثقافي بين عمان والجزائر، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، ط1، 2003، ص13.

2- مسعود مزهودي: جبل نفوسة في العصر الإسلامي الوسيط، ص77.

3- لقب أطلقه الإمام أفلح بن عبد الوهاب على فرج بن نصر لأنه ينفث في الأسماع بدعته، خرج على الإمام أفلح بن عبد الوهاب، بعد أن حرمه من ولاية قنطرار، وعاب على الإمام في عدة مسائل ينظر: أبو زكريا يحيى الورجلاني: سير الأئمة وإخبارهم، تحقيق إسماعيل العربي دار الغرب الإسلامي، ط2، 1982، ص139، الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص78. إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، ص330. تاديوس ليفيتسكي: المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، ص201. معجم أعلام الإباضية: قسم المغرب الإسلامي، ج2، ص338.

4- محمد ناصر بوحجام: المرجع السابق، ص42. عبد القادر بوعقادة: الحركة الفقهية في المغرب الأوسط بين القرنين7و 9ه/13و15م، ص180.

5- تختلف المصادر في نسبة سليمان بن حفص الفراء(أبو حفص) بين الإباضية والمعتزلة فالشماخي والوسياني يعتبرانه إباضي إلا أنه خالف الإباضية في بعض المسائل، قال الشماخي في سيق حديثه عن أحمد بن الحسين وبراءة الإباضية منه "وكلهم إباضية إلا أحمد بن الحسين "وكلهم تعود على سليمان بن حفص الفراء وأفلح

عن بشر المرسي(ت218هـ/833م) وعن أبي الهذيل العلاف(ت235هـ/850م)، وكانت له مناظرات مع أسد بن الفرات[1](ت214هـ/828م) حول مسائل كلامية كرؤية الله يوم القيامة ومسألة خلق القرآن[2].

ومن الشواهد النموذجية على ذلك اللقاء الذي كان بين عالم الإباضية المغربي عمروس بن فتح (ت283هـ/896م) النفوسي وعالم إباضية المشرق محمد بن محبوب بن الرحيل[3](ت260هـ/873م) بمكة وتبادلا الرأي في قضايا فقهية وعقدية[1]، وتناقشا في عدة

بن عبد الوهاب الرستمي، وقال الوسياني في الشأن نفسه "وكان أحمد بن الحسين وأبو حفص لو لم يكن إلا واحد منهم لتبعته المذاهب، وقد أعطى الله أفلح مالم يعطيهم، وأما الفراء فرجل عالم مخالف من أهل القيروان ودَّعوا أنه رجع الى أهل الحق" أي الى المذهب الإباضي، هذا ونجد نسبته الى المعتزلة صريحة عند كتاب الطبقات المالكية كأبي العرب والمالكي والخشني، مرد هذا الاختلاف الى التشابه الكبير بين الإباضية والمعتزلة في المسائل الكلامية، وقد كانت له مناظرات مع محمد بن سحنون، ينظر: الوسياني أبو الربيع سليمان: سير، ج1، ص328. الشماخي: السير، ج2، ص415. المالكي: رياض النفوس، ج1، ص182، أبو العرب محمد بن أحمد: طبقات علماء افريقية وتونس، تحقيق علي الشابي ونعيم حسن اليافي، الدار التونسية للنشر والتوزيع، ط2، 1985، ص164-165. الخشني: طبقات علماء افريقية، ص219. الهادي روجي إدريس: الهادي روجي ادريس: الدولة الصنهاجية، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992، ج2، ص362. وقال عنه ابن عذاري: "كان جهميا، وكان يقول بخلق القرآن "وكان يدعوا الناس الى ذلك، عرف بقدرته على الجدل والمناظرة، ينظر: ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص119.

[1]- أسد بن فرات(213هـ/828م) تجدر الإشارة هنا الى اختلاف المصادر التاريخية في مذهب بعض العلماء، كما هو الحال مع أسد بن فرات فيذكر أحيانا بإمام العراقيين في القيروان فبعض المصادر تجعل مذهبه حنفيا والأخرى مالكيا ولا يكاد الأمر يقتصر عليه، يفسر ذلك ربما الى تتلمذ بعض المغاربة على الإمام مالك، وعلى أبي حنيفة، وحتى على أئمة آخرين كسفيان والليث، هذا من جهة ومن جهة ثانية اتفاق هؤلاء الشيوخ في المسائل العقدية، فهم في الأصول على مذهب السلف رغم اختلافهم في الاجتهادات الفقهية، تولى القضاء للأغالبة وهو صاحب الأسدية في الفقه، أصل مدونة سحنون بعد تنقيحها واعادة ترتيبها، توفي قائدا للجيش الأغلبي في احدى غزواته لصقلية سنة212هـ، ينظر: أبو العرب: طبقات علماء افريقية وتونس، ص165. المالكي: المصدر السابق، ج1، ص256.

[2]- أبو العرب: المصدر نفسه، ص165. المالكي: المصدر نفسه، ص265.

[3]- أبو عبد الله محمد بن محبوب بن الرحيل(ت260هـ/873م): انتقلت إليه الرئاسة العلمية للإباضية بالمشرق بعد أبيه محبوب بن الرحيل في القرن الثالث هجري، تحتل آراؤه مكانة رفيعة عند إباضية المشرق والمغرب ترك مجموعة من الأعمال أهمها كتاب "مختصرا ابن محبوب"، "سيرة الى أهل المغرب" كما كانت له مراسلات مع إباضية المغرب في مسألة خروج خلف بن السمح على الإمامة بتيهارت. ينظر: الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص357. معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص425-426.

مسائل ولعل أهمها مسألة خلق القرآن التي كانت مسألة عصرهما في المشرق والمغرب، من جهة ومن جهة آخرى لما كانت تثيره المسألة من اختلاف بين إباضية المشرق والمغرب[2]، ووصل حد النقاش بينهما الى حد أن المستمعين المصاحبين لعمروس بن فتح لم يستطيعوا أن يحفظوا حتى نص الأسئلة المطروحة في النقاش فما بالك بإجاباتها، بعد أن ارتقى مستوى النقاش بينهما قال لأصحابه: "احفظوا السؤال واحفظ لكم الجواب، حتى نقدم على اخواننا فنخبرهم بما حفظنا، ففعلوا، فلما قدموا بلادهم قال لهم عمروس: هلم ما تكفلتم به، فقالوا له: لم نحفظ شيئا سوى قولك احفظوا المسائل لنرد بها على اخواننا، ثم أن عمروس أعادها مسألة مسألة"[3].

ومن ذلك ما أورده الوسياني(ق6هـ/12م) والشماخي(928هـ/1522م) أن نصر بن سجميمان النفوسي(ق5هـ/11م)[4] سافر الى الحج مع صاحب له من جبل نفوسة حتى وصلا مكة فصادفا فيها جماعة من أئمة عمان وأهل حضرموت فسألا عن مسألة السخط والرضى أي شيء هما[5]؟ وعن القرآن أهو مخلوق أو غير مخلوق؟ فكانت إجابة العمانيين عن المسألة الأولى: هما أفعال الله، فقال النفوسي صاحب نصر لنصر:

1- الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص324، إبراهيم القادري بوتشيش: التواصل الحضاري بين عمان وبلاد المغرب، ص23. مسلم بن ساعد الوهبي: آراء محمد بن محبوب الكلامية، ضمن أعمال ندوة تطور العلوم الفقهية تحت عنوان " التدوين الفقهي –محمد بن محبوب نموذجا"– تنسيق سلطان الهنائي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط4، 2012، ص143.

2- كانت مسألة خلق القرآن محل خلاف بين إباضية المشرق، بينما حسم المغاربة المسألة بخلق القرآن ولم يحدث بينهم خلاف بفعل التأصيل الجيد للمسألة من طرف الإمام الرستمي أبو اليقظان محمد بن أفلح(ت281هـ)، ينظر نص رسالته في خلق القرآن عند البرادي: الجواهر المنتقاة، ص283–200. بيير كوبرلي: مدخل الى دراسة الإباضية وعقيدتها، ص298–299.

3- الوسياني: سير، ج2، 238– 239. الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص324.

4- فقيه إباضي من جبل نفوسة وورد في معجم أعلام الإباضية باسم آخر عيسى ولعلهما شخص واحد، ينظر: معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب الإسلامي، ج2، ص328. الشماخي: السير، ج3، ص1035.

5- يعني بذلك أهُما من الصفات الذاتية أم من الصفات الفعلية. أنظر تفصيل ذلك في الفصل الثاني في مبحث الصفات.

أمسك أنت، يعني أن أهل عمان وافقوهم على مقولتهم، فقال الشيخ نصر للعماني: ما تقول أنت في القرآن؟ فقال له: غير مخلوق، فقال الشيخ نصر للنفوسي أمسك أنت فشنع عليه أكثر من تشنيعه هو، لأن السخط والرضى اختلفا فيه، والقرآن لم يختلفا عليه بأنه مخلوق، فجاء العماني بخلافهما، فأعلمه أنه مجروح مخالف، لا يكون قوله عليهما حجة[1]. وهي دلالات واضحة على دور الرحلات الإباضية في نقل وتطوير معارفهم الكلامية.

كانت الصلات العلمية بين أقطار المشرق والمغرب قوية إبان القرن الأول والثاني لتتسع فيه دائرة الرحلة فتشمل المشرق كله مع نهاية القرن الرابع الهجري، ومع بداية القرن الخامس عرف منحى الرحلة بداية التراجع بعد أن حصل للمغاربة تراكم معرفي كبير، وأصبحت المادة الفقهية والحديثية والكلامية متوفرة، انهمكوا في دراسة هذا التراث بالشرح والتعليق والتهذيب والتحقيق والنشر، هذا دون الغفلة عن ما كان يصحبهم من نسخ لمؤلفات في سائر العلوم، أثر هذا في الحياة الفكرية بالمغرب الإسلامي.

- دخول المؤلفات الكلامية الى بلاد المغرب:

وهو من الأسباب المهمة في دخول علم الكلام الى بلاد المغرب وتطوره باعتبارها من نتائج النشاط الفكري ومن أهم الوسائل لنشر ونصرة التوجه الفقهي والعقدي[2]، فقد اعتنى الحكام وعلماء المغرب على تقفي ما يصدر منها شراءً ونسخا، فقد كان إبراهيم الأغلبي الثاني(261-289هـ/875-902م) يكلف أعضاء سفارته سنويا الى بغداد عاصمة

1- الوسياني: سير، ج2، 642-643. الشماخي، السير، ج2، ص137. ابراهيم القادري بوتشيش، التواصل الحضاري بين عمان وبلاد المغرب، ص23.

2- عبد القادر بوعقادة: الحركة الفقهية في المغرب الأوسط بين القرنين(7و9هـ/13و15م)، ص186.

العباسيين "باقتناء نفائس ما يوجد في بغداد مما لا نظير له في أنحاء المغرب"[1]، سواء أكانت من تأليف علماء مسلمين أو مترجمة عن لغات أخرى كاليونانية والفارسية[2].

هذا فضلا عن رجال العلم الذين تقتضي مسيرتهم العلمية اقتناء الكتب والمصنفات ونسخها حينما يزورون بلاد المشرق[3]، فتكونت لهم مكتبات خاصة سواء في بيوتهم أو المساجد التي كانوا يشرفون عليها.

ومن الشواهد على ذلك القاضي عيسى بن مسكين(ت295هـ/908م)، قال أبو الحسن الكناسيّ: "أدخلني عيسى بن مسكين الى بيت مملوءة بالكتب ثم قال: كلها رواية وما فيها كلمة عربية الا وأنا أحفظ لها شاهدا من قول العرب"[4]، والحال نفسه مع بكر بن حماد بن سهل بن أبي اسماعيل الزناتي(ت296هـ/908م) سافر الى البصرة سنة(218هـ/833م) للاستزادة من العلم وعاد بعدد هائل من الكتب[5]، ومر بالقيروان وسمع من سحنون بن سعيد(ت240هـ/855م) وعون بن يوسف الخزاعي(ت239هـ/854م)[6].

---

[1]– حسن حسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، مكتبة المنار، تونس، 1972، ق1، ص196.

[2]– ممدوح حسين: افريقية في عصر إبراهيم الثاني الأغلبي، دار عمار للنشر، عمان، ط1، 1997، ص77. الحبيب الجنحاني: القيروان عبر عصور ازدهار ازدهار الحضارة الإسلامية، الدار التونسية للنشر، تونس، 1986، ص58.

[3]– عبد القادر بوعقادة: : الحركة الفقهية في المغرب الأوسط بين القرنين7و9هـ/13و15م، ص143.

[4]– تراجم أغلبية مستخرجة من كتاب ترتيب المدارك للقاضي عياض، تحقيق محمد الطالبي، نشر الجامعة التونسية، 1968، ص234. ابن فرحون: الديباج الذهب في معرفة اعيان المذهب، تح مأمون بن محي الدين الجنان، ط 1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1969 ، ج1، ص401.

[5]– يشكك صاحب كتاب الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية الشيخ سليمان الباروني في مذهب بكر بن حماد بن سهل الزناتي (هو اما إباضي أو صفري على الغالب)، كانت له رحلات مشهورة الى المشرق ووصل الخليفة العباسي المعتصم بمدح، ينظر: سليمان بن عبد الله الباروني، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، تحقيق أحمد كروم وآخرون، ط3، دار البعث، قسنطينة، ص90. إبراهيم القادري بوتشيش، التواصل الحضاري بين عمان وبلاد المغرب، ص20. والراجح أنه مالكي، فقد أخذ عن سحنون بن سعيد وكان محل ثقة عند المالكية.

[6]– عادل النويهض: معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض للثقافة، بيروت، ط3، 1983، 58–59.

كان شغف أهل المغرب بالكتب مدعاة لنشاط تجاري من أهل المشرق لدرايتهم برواجها ببلاد المغرب والأندلس، من ذلك وصول أبي علي اسماعيل بن القاسم البغدادي(ت356هـ/966م) الى بلاد المغرب سنة(329هـ/940م) في رحلة تجارية كانت بضاعتها أحمالا من الكتب المشرقية، فباع جزءا منها في القيروان واتجه بالباقي الى الأندلس[1]، ولا شك أن هذا الكم من المؤلفات كان في ميادين مختلفة ومجالات شتى.

وفي جميع الأحوال يعتبر الكتاب من أهم الوسائل لنشر الأفكار وحفظها واستمرارها عند جميع الفرق والمذاهب، وإن كانت المصادر التاريخية التي وصلتنا وهي في مجملها مالكية لا تسعفنا في ذكر عناوينها ومحتوياتها خاصة منها المخالفة للمذهب حتى لا تروج لها، ومن جهة أخرى موقفهم السلبي من علم الكلام وهو شأن كل الفرق الأخرى.

إلا أن ذلك لا يمنع من تتبع بعض الشواهد الجزئية أثناء حديث الرواة عن الأخبار السياسية، أو الدفاع عن مقالات والرد على أخرى من الوصول الى بعض النماذج، من ذلك أن القاضي النعمان(ت363هـ/974م) ذكر أن المعز لدين الله(341-365هـ/952-975م) ذم الجاحظ (ت255هـ/869م) لمساوئ انتحاله[2]، بعد أن أخبره النعمان باطلاعه على تفسيره لآية في القرآن في كتابه "الحيوان"[3]، وإن كنا لا نعلم زمن دخول هذا الكتاب وشبيهه من كتب المعتزلة الى بلاد المغرب نظرا للأسباب السالفة الذكر.

---

[1]- ابن خير الأشبيلي: فهرسة، تحقيق بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2009.

ص395، 401، 403، 421.

[2]- كان الجاحظ من أرباب الإعتزال بالمشرق الإسلامي. ينظر، أحمد بن يحيى المرتضي: طبقات المعتزلة، تحقيق سوسنة ديفلد، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1961. ص67-70. المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجواهر، موفم للنشر، 1999، ج4، ص138. محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص124.

[3]- القاضي النعمان: المجالس والمسايرات، تحقيق الحبيب الفقي وآخرون، دار المنتظر، بيروت، ط1، 1996، ص263-264.

وفي خضم ذلك ذكر أن الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي(296-322هـ/934-909م) في طريقه الى المغرب تعرض موكبه في برقة[1] لقطاع الطرق وكان مما سلب منه كتب الدعوة، ومن حظه أن هذه الكتب عادت اليه بعد أن استقر في ملكه بالمهدية[2]، صادف ذلك توجه ابنه القائم بأمر الله(322-334هـ/933-945م) الى مصر لغزوها سنة(302هـ/914م)[3]، وفي طريق غزوته تعرف على الذين انتهبوها واسترجع الكتب بعينها، ابتهج المهدي لذلك وقال: "لو لم تكن هذه الغزوة إلا لرد هذه الكتب لكان ذلك فتحا عظيما، وسر باسترجاعها سرورا عجيبا"[4].

وكان قبل ذلك قاضيه أفلح بن هارون الملوسي[5] قد جمع كتب الدعوة قبل وصول عبيد الله المهدي الى المغرب، ونسخ كثيرا من كتب الفقه والأثار والفضائل وخطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه[6]، وان كان الداعي إدريس(ت872هـ/1488م)

---

[1]- برقة: اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وإفريقية، وهي على ساحل البحر لها أقليم كثيرة سكنها من البربر لواتة من العرب أيضا، ينظر، اليعقوبي: البلدان، ص181. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، ص388.

[2]- مدينة ساحلية بالبلاد التونسية تنسب الى عبيد الله المهدي بينها وبين القيروان ستون ميلا(مرحلتان)، شرع المهدي في بنائها سنة(300هـ/912م) وانتقل اليها من القيروان سنة(308هـ/920م)، ينظر، البكري: المسالك والممالك، ج2، ص681-684.

[3]- وجه عبيد الله المهدي عدة حملات الى بلاد مصر وعلى رأس الجيش ابنه القائم بأمر الله منها حملة سنة(302هـ/914م) وأخرى سنة(306هـ/918م). ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص171، 181. ولم يتبين لنا في أي من هذه الحملات تم استرجاع كتب الدعوة المفقودة.

[4]- القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط2، 1986، ص161.

[5]- أحد دعاة الفاطميين، ولاه المهدي الفاطمي القضاء على المهدية ورقادة سنة(303هـ/916م)، عرف ببراعته في الإقناع، أدرك الدعاة الأوائل للشيعة وأخذ عنهم كالحلواني، ينظر: الداعي ادريس عماد الدين: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1985، ص212-213. فرحات الدشراوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1994، ص594.

[6]- إدريس عماد الدين: المصدر السابق، ص211.

لا يذكر عناوين ما جمع أفلح إلا أن هذا الكم من الوثائق لا يخلو في مضامينه من مقالات الشيعة العقدية.

هذا وتؤكد المصادر التاريخية على العلاقة الوثيقة بين إباضية المشرق والمغرب كما سبق ذكرة في مبحث الرحلات العلمية، فقد كان تبادل الأخبار وإرسال الرسائل والكتب والمصنفات، الى المساعدات المالية والتوجيهات السياسية دأبهم منذ العهود الأولى للوجود الإباضي ببلاد المغرب.

من الشواهد على ذلك أن "كتاب التوحيد الكبير" للشيخ عيسى بن علقمة المصري[1](ق2هـ/8م) الذي عارض فيه من يقول أن أسماء الله مخلوقة وصفاته محدثة، كان هذا الكتاب متداولا بين شيوخ الإباضية ببلاد المغرب الإسلامي، وقد كان من مراجع أبي عمار عبد الكافي[2](ت570هـ/1175م) ووصفه بأنه أحد كبار المتكلمين الإباضية[3]، وحسب الباحث في التراث الإباضي عمرو خليفة النامي أن هذا الكتاب رد على كتاب عبد الله بن يزيد الفزاري(ق3هـ/9م)[4]، وفي هذا السياق نجد توظيفا لمحتوى

---

[1]- عيسى بن علقمة المصري(جعله الشماخي من الطبقة الرابعة 150-200هـ) من متكلمي الإباضية وحذاق علمائها، قال عنه أبو عمار عبد الكافي عارض من قال إن أسماء الله مخلوقة وصفاته محدثة في كتاب التوحيد الكبير، من دعاة الإباضية وعلمائها بمصر، اشتهر بتفوقه في الكلام والرد على المخالفين، يعد كتابه "التوحيد الكبير" أقدم تأليف في العقيدة في شمال افريقيا، ينظر: الشماخي: السير، ج1، ص240. معجم أعلام الإباضية: قسم المغرب الإسلامي، ج2، ص329. جوزف فان أس: علم الكلام والمجتمع في القرنين الثاني والثالث للهجرة، ج2، ص1074.

[2]- سيأتي الحديث عنه في الفصل الثالث.

[3]- الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص240.

[4]- عمرو خليفة النامي: دراسات عن الإباضية، ص220. فرحات الجعبيري: البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، ج1، ص109. إلا أن أصحاب معجم أعلام الإباضية بالمغرب يعتبرون ذلك خطأ من عمرو خليفة النامي، ولا يقدمون تفسيرا لذلك، ينظر: معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب الإسلامي، ج2، ص282. وعن عبد الله بن يزيد الفزاري فهو متكلم إباضي أخذ عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة خالف جماعة الإباضية في البصرة يعتبر مرجع الإباضية النكار في العقيدة ومسائل علم الكلام، من أهم مؤلفاته "كتاب التوحيد" كتاب الإستطاعة" وكتاب "الرد على

هذا الكتاب عند علماء الإباضية في القرن السادس الهجري، فقد ذكره أبو عمار عبد الكافي(ت570هـ/1175م) في كتابه "شرح الجهالات" في مسألة السمع، مما يدل على انتشاره عند طلبة العلم الإباضية ببلاد المغرب[1].

وفي نفس السياق كان لعبد الله بن يزيد الفزاري مراسلات متبادلة مع جماعة النكار ببلاد المغرب تظهر العلاقة المذهبية العقدية الوثيقة بين الكوفة مشرقا موطن عبد الله بن يزيد وتيهرت مغربا مستقر يزيد بن ابن فندين(ت188هـ/804م)[2]، تحتوي هذه المراسلات على مسائل عقدية كلامية كالتوحيد والتأويل وأحكام الولاية والبراءة[3].

هذا وقد اشتهر بيت الرستميين ببيت العلوم على تنوعها ومنها الأصول والفروع وعلم اللسان[4]، بل كان منهم العلماء فقد قال الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي(168-208هـ/784-824م) بعد أن اطلع على الديوان العظيم الذي بعث لأجله الأموال الى إخوانه بالمشرق قدرته المصادر بأربعين حملا من الكتب: "الحمد الله

الرافضة"، ينظر: ابن النديم: الفهرست، دار المعرفة، بيروت، د ت، ص258. جوزيف فان أس: علم الكلام والمجتمع، ج1، ص579-580.

[1]- المبروك المنصوري: الفكر العقدي وأسس سيادة الإسلام، الدار المتوسطية للنشر، تونس، ط1، 2011، ص55.

[2]- من الجماعة الستة التي رشحها عبد الرحمن بن رستم لخلافته سنة(171هـ/787م) وأفضي الأمر في الأخير الى ابنه عبد الوهاب بن عبد الرحمن، أنكر يزيد بن فندين خلافة عبد الوهاب إلا على شروط أن لا يقضي أمرا إلا بموافقة مجلس الشورى، ودب الخلاف على اثر ذلك في جماعة الإباضية بالمغرب، فلقب هو من معه بالنكارية، وأصبح لهذه الأخيرة عقائدها واجتهاداتها الخاصة، قتل في مواجهة عسكرية مع الإباضية الوهبية حين أراد اقتحام تيهارت هو وجماعته في غياب عبد الوهاب. ينظر، ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستمين، تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص33، 37، 44، الدرجيني، طبقات المشائخ، ج1، ص47.

[3]- زهير تغلات: فرق الإباضية بين مخطوط "رسالة الفرق" وبعض أهم مؤلفات الإباضية، مجلة الكوفة، العدد7، سنة2014، ص97. فوزي صخراوي: آراء عبد الله بن يزيد الفزاري الكلامية، رسالة ماجيستر في الحضارة، نسخة مرقونة، كلية العلو الإنسانية والإجتماعية، جامعة تونس، 2008/2009، ص29.

[4]- الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص56.

إذ ليس فيه مسألة عزبت عني إلا مسألتان ولو سئلت عنهما لأجبت قياسا على نظائرهما"[1].

ولا شك أن هذا العدد الهائل يتنوع في محتواه بين مختلف العلوم خاصة الفقهية والعقدية والكلامية، وكانت هذه الكتب النواة الأولى لمكتبة المعصومة، وما يدل على هذا التنوع والغنى أن عبد الله الشيعي(ت298هـ/911م) حين دخل تيهرت سنة(296هـ/909م) وجد صومعة مملوءة بالكتب عمد الى هذه المكتبة واقتنى منها ما ينفعه من الكتب، وأحرق البقية التي تتعلق بالمذهب الإباضي[2].

1- أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص99-100، الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص57.

2 - الدرجيني: المصدر نفسه، ج1، ص 94-95. اختلف المؤرخون حول حادثة حرق مكتبة المعصومة بين مشكك فيها ومثبت لها، ومن المشككين في الحادثة الدكتور موسى لقبال لأسباب وجيهة جدا، باعتبار أن رواية الحرق كانت من طرف واحد وهي الروايات الإباضية، ولا تتحدث الروايات السنية أو الشيعية عن الحدث لا من قريب أو بعيد، مما يرجح أن الرواية الإباضية كانت ذاتية مبنية على التعصب للمذهب والرغبة في تشويه سمعة خصومهم الفاطميين، ويسوق الدكتور موسى لقبال الأدلة التالية:1- أن سياسة عبد الله الشيعي كانت تقوم على احترام الأثار الأدبية للأقاليم المفتوحة، فلا تذكر المصادر أن عبد الله الشيعي حين دخل رقادة والقيروان أوسلجماسة أمر بحرق مكتباتها رغم الإختلاف المذهبي ورغم المقاومة العسكرية التي تكون ربما أحد الأسباب التي تدفعه الى الحرق والتدمير، في حين أن دخوله تيهرت كان دون مقاومة عسكرية تذكر. هذا إن حصل الحرق فكان قبل وصول عبد الله الشيعي الى تيهرت بسبب الفتن في أواخر عهدها 2- إن دخول عبد الله الشيعي الى تيهرت كان في طريقه الى سلجماسة من أجل تحرير عبيد الله المهدي، فلا يعقل أن يثقل نفسه بحمل الكتب وهو متأهب لحرب اليسع بن مدرار، وبالتالي فإن ما كانت تزخر به هذه المكتبة قد تلقفته أيدي كثيرة خاصة مع الفارين الى ورجلان مع الإمام يعقوب بن أفلح قبل وصول الشيعي، وما بقي منها استحسنه وأمر بحفظه. في حين يرجح الدكتور محمود اسماعيل عبد الرزاق بحجة الغياب التام للمؤلفات الصفرية ببلاد المغرب، فالمرجح أن عبد الله الشيعي اجهض عليها -أي الكتب الإباضية والصفرية كلها- حين دخل تيهرت ثم سلجماسة، وما بقي من المصنفات الإباضية كان بفعل توزعه على مناطق تواجد الإباضية خاصة في جبل نفوسة، وبفضل لجؤ أفراد البيت الرستمي الى ورجلان، الذين صحبوا معهم ما يمكن أن يحمل الى ورجلان ينظر، موسى لقبال: من قضايا التاريخ الرستمي الكبرى، مكتبة المعصومة بتاهرت، هل أحرقت؟ أو نقلت عيونها الى سدراتة في جوار ورجلان؟ مجلة الأصالة، العدد41، جانفي، الجزائر1977. محمود اسماعيل عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي، ص16.

ومن الشواهد كذلك وفود أبي غانم الخرساني(184-205هـ/765-820)[1] صاحب "المدونة" في الفقه الإباضي على الإمام عبد الوهاب بن رستم[2] وإهدائه نسخة منها، اتلفت مع اتلاف مكتبة المعصومة لما دخل الفاطميون تيهرت، كان حظها البقاء بفعل نسخ عمروس بن فتح(ت283هـ/896م) لها لما لقي أبو غانم الخرساني في طريقه الى تيهرت.

وقد كان أبو سفيان محبوب بن الرحيل(ق2هـ/8م) من المراجع الأساسية لإباضية المغرب الإسلامي لذلك كانت كتبه محل عناية خاصة بوصية من الإمام أفلح بن عبد الوهاب(208-258هـ/823-871م)[3]، قال عنه في هذا الشأن "عليكم بدراسة كتب المسلمين لا سيما هذا الكتاب ـ يعني كتاب أبي سفيان محبوب بن الرحيل"[4]ـ وهو كتاب في تاريخ الإباضية يشتمل على الأخبار والفقه والكلام[5]، وهو من مصادر الدرجيني في كتاب "طبقات المشائخ".

يذكر الدرجيني في موضع آخر أن أبا محمد بن ويسلان[6](حي بعد:431هـ/1039م) كان يقرأ على ابنه مختصر محمد بن محبوب(ت260هـ/873م) بحضرة أبي صالح بكر

---

[1]- أبو غانم بشر بن غانم الخرساني(ت205هـ/820م) من أهل خرسان، درس بالبصرة صاحب كتاب المدونة وهو أول كتاب يضم أقول المؤسسين الأوائل للمذهب الإباضي، تعد مدونته من أهم مصادر الفقه عند الإباضية زار بلاد المغرب في عهد الإمام الرستمي عبد الوهاب بن عبد الرحمن وأهدى له نسخة من مدونته. ينظر: الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص323، البرادي: الجواهر المنتقاة، ص118، معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص68-69.

[2]- الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص323.

[3]- الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص478. تاديوش ليفتسكي: دراسات شمال افريقية، ترجمة أحمد بومزقو، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية، ج1، 2005، ص17-18.

[4]- الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص478.

[5]- عوض محمد خليفات: نشأة الحركة الإباضية، ص28.

[6]- أبو محمد بن ويسلان بن أبي صالح اليراساني، ذكره الدرجيني ضمن الطبقة الثامنة(350-400هـ) نشأ في جربة ينظر، الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص192-193. ج2 ص354-359، الوسياني، سير، ج1، ص307.

بن قاسم[1](ت431هـ/1039م) وهو كتاب في سبعين جزءا ضاعت جل أجزائه ولم يبق منه في عهد القارئ إلا الجزء السادس، فكان أبو صالح يقول: هذا كلام محقق، فقيه أصولي[2]، ولا ندري أهو نفسه ما كان محل عناية من طرف الإمام أفلح بن عبد الوهاب، أم هو كتاب آخر؟

وما يؤكد غزارة التآليف والمصنفات التي دخلت بلاد المغرب ما ذكره الشماخي حين ترجم لأبي العباس أحمد محمد بن بكر(504هـ/1110م)[3] في رحلته في طلب العلم من ورجلان الى جبل نفوسة قال: "وكان بجبل نفوسة ديوان اشتمل على تآليف كثيرة فلازمت الدرس أربعة أشهر لا أنام إلا في ما بين آذان الصبح الى صلاة الفجر، فتأملت ما فيه من تأليف أهل المشرق فإذا هي تقرب من ثلاث وثلاثين ألف جزء كلها لأهل المذهب"[4]، قال عنها الشيخ إبراهيم اطفيش(ت1385/1965م) "أنها أغزر مادة من الأندلس بدون مبالغة"[5] وهو عدد كبير يدل على رابط الصلة الوثيقة بين إباضية المشرق والمغرب.

انعكس ذلك على الوحدة المذهبية والانسجام الكبير بينهما في الإجتهاد والرأي، والأكيد أن هذا العدد الضخم يحوي في طياته سائر العلوم العقلية والنقلية، لا سيما وأن أبا العباس أحمد بن محمد بن بكر(504هـ/1111م) يعد من علماء الكلام الإباضي في بلاد المغرب الإسلامي قد وجد ضالته، ولا شك أن مدة تكوينه في جبل نفوسة التي كان لها الأثر الكبير في انتاجه الفكري الكلامي خاصة في جامعه المعروف "بأبي مسألة"،

1- أبو صالح بكر بن قاسم اليراسني (ت431هـ/1039م) من الطبقة الثامنة أخذ العلم عن أبي الربيع سليمان بن ماطوس، وعن ابي زرقون، كان مرجعا في الفتوى بجربة ودرس بجامعها الكبير، من تلامذته محمد بن بكر مؤسس حلقة العزابة، توفي في حملة المعز بن باديس على جربة، ينظر، الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص353.

2- الوسياني: سير، ج1، ص290. الدرجيني: المصدر نفسه، ج2، ص357.

3- سيأتي الحديث عنه لاحقا في الفصل الثالث.

4- الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص445. الشماخي: السير، ج2، ص617-618.

5- أبو زكريا يحي الجناوني: كتاب الوضع، تحقيق إبراهيم اطفيش، مطبعة فجالة الجديدة، ط1، ب ت، مقدمة التحقيق، ص8-9.

وكتاب "تبين أفعال العباد"، وكتاب "الأصول" في ثلاثة أسفار [1]. وقد كان كتاب "الجامع" لعبد الله بن محمد ابن بركة[2](ت363هـ/973م) معروفا ومتداولا عند علماء الإباضية ببلاد المغرب، فقد ورد عند الدرجيني أن أبا الربيع سليمان بن يخلف(ت471هـ/1079م) كان يستشهد به في أرائه[3].

كما امتد هذا الاهتمام عبر الزمن، فقد قيد البرادي(ق8هـ/14م) في كتابه "الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخل به كتب الطبقات" مجموعة من الكتب المشرقية الإباضية[4] التي كانت متداولة ببلاد المغرب، ككتاب "الدعائم" وهو مجموعة قصائد في العقيدة والأحكام الشرعية لأحمد بن النظر العماني[5](ق06هـ/12م)، ذكر الدرجيني(670هـ/1271م) في ترجمته لأبي عمار عبد الكافي(570م/1174م) أثناء إقامته بتونس كان بحوزته هذا الكتاب، قال الدرجيني "يذكرون أنهم اطلعوا على كتاب معه في علوم مذهبه[6] وكان نظما من القصائد فما هذا الكتاب ؟ فقلت: هو دعائم ابن النظر"[1].

النظر"[1].

1- البرادي: الجواهر المنتقاة، ص220.

2- عبد الله بن محمد ابن بركة(ت363هـ/973م): أصولي وفقيه ومتكلم اباضي، من أعلام الإباضية في عمان، كان مقصدا لطلبة العلم المغاربة، أول من كتب في أصول الفقه الإباضي، اشهر كتبه "الجامع"، ينظر: البرادي: المصدر السابق، ص218. محمد صالح ناصر وسلطان بن مبارك الشيباني، معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص285.

3- الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص479.

4- البرادي: الجواهر المنتقاة، ص218-219، قائمة بجميع الكتب الإباضية المشرقية المتداولة في بلاد المغرب الإسلامي التي اطلع عليها بنفسه أو سمع عنها.

5- أحمد بن سليمان بن عبد الله المكنى بابن النظر العماني(ق5هـ/11م) عرف بكتابه دعائم الإسلام وهو نظم في 2826 بيتا في أصول الدين والفقه، لذلك كان يعرف بشاعر العلماء وعالم الشعراء كان محل عناية كبيرة من طرف علماء الإباضية في المشرق والمغرب منهم الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش، مات مقتولا لجرأته على الحق في أجواء سياسية مضطربة خلال القرن(6هـ/11م) بعمان. ينظر، معجم أعلام الإباضية قسم المشرق، ص54.

6- أي على المذهب الإباضي، والحديث هنا منسوب الى بعض الطلبة النفطين الذين درسوا في تونس على شيوخ صحبوا أبا عمار عبد الكافي لما كان تلميذا بتونس، نقلوا شهادة زملائه فيه بإعجابهم بآدابه وأخلاقه وبقدراته

كان الكتاب في نسخ عدة مما جعله متداولا على نطاق واسع بين جموع الإباضية ببلاد المغرب، فحين يسترسل الدرجيني في حواره مع سائله يخرج له الكتاب ويطلعه على مضمونه "فلما رآه جعل يتعجب منه فنظر منه بعض القصائد وهي الرائية التي في الرد على القدرية"[2].

وكما ذكر الدرجيني سابقا فالكتاب عبارة مجموعة قصائد شعرية من أهمها قصيدة عن الحجة في معرفة الخالق، وأخرى في خلق الأفعال والرد على القدرية، وقصيدة في الرد على من يقول بخلق القرآن[3]، ويتعجب البرادي من عدم وجود شرح لهذا الكتاب المهم في الفكر الإباضي من طرف علماء إباضية المغرب متوجها بكلامه مباشرة للشيخين أبي عمار عبد الكافي(570هـ/1175م) وأبي يعقوب الورجلاني(ت570هـ/1175م) والكلام في شكل عتاب[4]، وما يلفت الانتباه أن ابن النظر

العلمية، وقد كانت تونس حين ذاك مقصدا للعديد من الطلبة العلم الإباضية من بلاد الجريد أو من ورجلان لأجل اتقان اللغة العربية باعتبارها مفتاح العلوم، ومن سياق العام للرواية يظهر أن مناسبته الشهادة لما علم هؤلاء الأساتذة أن مذهب هؤلاء الطلبة إباضي. ينظر، الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص486.

[1]- الدرجيني: المصدر نفسه، ج2، ص486.

[2]- الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص487. أما عن القدرية: هي فرقة اسلامية تؤمن أن الإنسان حر الإرادة سمّاهم بذلك خصومهم لحديث "القدرية مجوس هذه الأمة" -أخرجه أبو داوود(222/4، رقم4691) والحاكم(159/1، رقم286) من أهم زعمائهم مَعبد الجُهني وغيلان الدمشقي، وعلى النقيض من ذلك طائفة الجبرية أو الجهمية نسبة الى جهم بن صفوان التي ترى أن الإنسان مجبر على أفعالة لا قدرة له ولا اختيار، وقالو بنفي الصفات وقالوا بخلق القرآن، والجدير بالملاحظة هنا أن كل من القدرية والجبرية أسلاف للمعتزلة لأنهم وافقوا القدرية في حرية الإرادة، ووفقوا الجبرية في نفي الصفات وخلق القرآن، لذلك لا تفرق بعض المصادر بين المعتزلة والقدرية، ينظر، الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص57. محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية، ص112-118. أحمد أمين: فجر الإسلام، موفم للنشر، 1994، ص464-465.

[3]- مهنا بن راشد السعدي: "كتاب دعائم الإسلام" لابن النظر العماني وشروحه، محاضرة ضمن الأيام الدراسية العلمية من الشيخ عمي سعيد الجربي(ت927هـ/1521م) الى الشيخ حمو بن موسى عمي السعيد(ت1425هـ/2005م)، نشر مؤسسة عمي سعيد، غرداية، بدون ت، ص23.

[4]- المرجع نفسه، ص15.

وأبا عمار عبد الكافي متعاصران، مما يدل على الاتصال الثقافي الوثيق بين إباضية المشرق والمغرب.

هذا وقد كان كتاب "الضياء" لسلمة بن مسلم العوتبي العماني[1](ق6هـ/12م) وهو كتاب في العقيدة والفقه من مصادر الشيخ أبي سهل يحيى بن ابراهيم الورجلاني[2](ق6هـ/12م) في كتابه "عقيدة في معرفة التوحيد والفرائض" أو "العقيدة في علم التوحيد والسير" على اختلاف المصادر في تسميته، الذي يتحدث فيه عن الكثير من المسائل الكلامية كالتوحيد والصفات، خلق القرآن والرؤية والخلود واختلاف الفرق والرد عليها كل ذلك من وجهة نظر اباضية[3].

وتعدى الأمر ذلك الى ابداء الملاحظات والتنقيحات والشروحات والزيادات على بعض الكتب المشرقية كما هو الحال مع كتاب المسند للربيع بن حبيب[4](ت170هـ/786م)، مرجع الإباضية في الحديث الذي قام المتكلم أبو يعقوب يوسف الورجلاني بإعادة ترتيبه على أبواب، وزاد فيه روايات جديدة [5]، خاصة وأن جل محتويات هذا الكتاب في جزئه الثالث تتعلق بالعقيدة وما يترتب عنها من مسائل كلامية

1- من علماء الإباضية بعمان فقيه ولغوي ونسابة من أهم آثاره موسوعته الفقهية المعروفة ب"الضياء" في أربعة وعشرين جزءا. ينظر: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص206.

2- أبي سهل يحيى بن ابراهيم الورجلاني(ط12: 550-600هـ/1155-1203م) سيأتي الحديث عنه في الفصل الثالث.

3- مصطفى بن محمد شريفي: عقيدة في معرفة التوحيد والفرائض لأبي سهل يحيى بن ابراهيم الورجلاني(ق06هـ/12م)، مجلة الحياة، العدد01، جانفي1998، نشر جمعية التراث، غرداية، ص176.

4- الربيع بن حبيب(75-170هـ) (جعله الشماخي من الطبقة الرابعة: 150-200هـ) الإمام الثالث للإباضية بالبصرة بعد جابر بن زيد وأبي عبيدة، اهتم بتدوين الحديث، يعتبر مسنده المرجع الأول للإباضية في الحديث، كما كانت له مجموعة من الفتاوي وردت في مدونة أبي غانم الخرساني، ينظر: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص152-153.

5- عمار طالبي: آراء الخوارج الكلامية، ج1، ص216.

كالتوحيد والقضاء والقدر وفيه احتجاجات الربيع بن حبيب على مخالفيه ويكاد يكون مخصصا لذلك[1].

هذا الإجتهاد من أبي يعقوب الورجلاني جاء بعد أن رأى أن التراث الإباضي يكاد يخلو من عمل نقدي كمنهج الجرح والتعديل في كتب الحديث المالكية، كموطأ الإمام مالك وصحيح البخاري، فعمد الى جمع وترتيب مسند الربيع من جديد، وهو المتداول حاليا[2].

هذا وقد كان لكتب الغزالي أبي حامد(505هـ/1111م) في الأصول رغم أشعريته محل إعجاب من طرف أبي يعقوب الورجلاني، فكثيرا ما يستشهد بآرائه في كتابه "العدل والإنصاف" بما ورد في "الإحياء" أو "الاقتصاد في الاعتقاد" أو "المستصفى من علم الأصول"[3].

---

[1]- مصطفى بن دريسو: الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، عمان، 2013، ص186، 194. محمد ناصر بوحجام: التواصل الحضاري بين عمان والجزائر، ص57-58.

[2]- قام بتحقيقه والاعتناء به عدة مشائخ منهم الشيخ امحمد اطفيش(1332هـ/1914م) بالجزائر والشيخ العماني نورالدين عبد الله السالمي(1332ه/1914م).

[3]- مصطفى بن صالح باجو: أبو يعقوب الورجلاني أصوليا، دون دار النشر، ط2، 2008، ص216-222. والكتاب دراسة مقارنة بين الفكر الأصولي عند الغزالي وأبي يعقوب الورجلاني.

ب- **العوامل الداخلية: الإستقرار السياسي والتسامح المذهبي.**

- **السياسة الثقافية للأغالبة**

إن استقرار الأوضاع السياسية في فترات محددة ببلاد المغرب الإسلامي خاصة في حواضره بعد اكتمال حركة الفتح الإسلامي وانتهاج سياسة التسامح المذهبي من طرف بعض الأمراء، من العوامل المحفزة على إذكاء التنافس الفكري بين مختلف الاتجاهات الفكرية، حول العديد من القضايا الفقهية والكلامية من خلال الجدل الذي كان بين مختلف المذاهب، الأمر الذي يتطلب براعة في طرق الاستدلال والبرهنة العقلية من أجل اقناع الخصوم والتأثير على العامة، فبرزت الردود والمناظرات مما كان له الأثر الإيجابي في تطور الدراسات الكلامية، وإن تحول هذا التنافس في بعض الأحيان الى صراع دموي تغذيه السياسة والحكم انتصارا لموقف ما وخدمة لديمومة السلطة والنفوذ.

فقد اعتمد بعض أمراء الأغالبة طابع التمدن والتحرر الفكري تأسيا بخلفاء بني العباس في المشرق، من خلال تبني كل المذاهب وتشجيع الحوار والجدل الذي كان بين المذاهب والفرق فازدهرت العلوم الدينية والعقلية[1]، وإن كان الفقه الحنفي هو مذهب الدولة فقد حُظي أصحابه بالمكانة عند الأغالبة مثلما مكنوا للفكر الاعتزالي وتبنوا آراءه، وهو ما مكنهم من إحداث ثورة فكرية في بلاد المغرب[2]، هذا وقد كانت لكل فرقة حلقة خاصة بها بجامع القيروان تتذاكر أفكارها وتلتمس لها الحجج للدفاع عنها ونشرها، قبل أن يتولى سحنون بن سعيد(ت240هـ/854م) القضاء للأغالبة سنة (234هـ/849م) ويأمر بتفريقهم.

1- الفرد بيل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ص102.

2- يحيى هويدي: تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، ص185. عبد العزيز المجذوب: الصراع المذهبي في إفريقية الى قيام الدولة الزيرية، ص63، 65. الحبيب الجنحاني: لمحة عن الحياة الفكرية في المجتمع القيرواني القديم، مجلة الفكر، العدد06، مارس1966، تونس، ص25.

وكان ممن يشجع على عقد المجالس العلمية للمناظرة القاضي الأغلبي أبو العباس عبد الله بن أحمد بن طالب(ت276هـ/889م) يجمع في مجلسه المختلفين في الفقه ويغري بينهم[1]، بل وجلب العلماء من المشرق لمناظرة علماء افريقية[2]، من ذلك أن محمد بن سحنون(ت256هـ/870م) استُدعي عند الوزير الأغلبي علي بن حميد التميمي(ت251هـ/865م) ليناظر أبا سليمان النحوي المعتزلي حول مسألة خلق القرآن، وقد ذكر المالكي تفاصيل المناظرة التي كانت بينهما[3].

عمد الأمير إبراهيم بن أحمد(261-289هـ/875-902م) الى تأسيس بيت للحكمة تأسيا بخلفاء بني العباس، وتميزت مناهجها بالاهتمام بالعلوم العقلية كالفلسفة والطب والفلك والترجمة والحساب، وذلك على حساب الفقه والحديث خاصة في فترة حكم هذا الأخير.

ولم تختلف فترة حكم كل من عبد الله الثاني(289-290هـ/902-903م) وزيادة الله الثالث(290-296هـ/903-909م) التي عرفت اهتماما بالعلوم العقلية بعد أن استجلبوا نخبة من علماء المشرق فكان لهم الأثر في تطور الدراسات العقلية كرد فعل على الرقابة التي سلطها علماء المالكية على الحياة الفكرية بإفريقية خلال النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة التاسع ميلادي[4]، وضم هذا البيت العديد من العلماء في مختلف التخصصات العقلية كالطب والفلسفة، منهم الطبيب البغدادي إسحاق بن عمران (ت295هـ/907م) الذي لبّى دعوة الأمير إبراهيم الثاني(261-289هـ/875-902م) فنزل

1- الدباغ أبو زيد عبد الرحمن الأنصاري: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ومحمد ماضوي، مكتبة الخانجي، مصر، د.ت، ج2، ص159.

2- نجم الدين الهنتاتي: المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، ص99.

3- المالكي: رياض النفوس، ج1، ص449.

4- نجم الدين الهنتاتي: المرجع نفسه، ص99.

إفريقية سنة(264هـ/878م) واستقر بها، وبه عرف الطب والفلسفة في المغرب الأدنى[1]، وتلميذه أبو يعقوب إسحاق بن سليمان(ت320هـ/932م) عرف كذلك بالطب والفلسفة وفد على افريقية من بغداد سنة(291هـ/903م) بطلب من الأمير زيادة الله الثالث[2].

هذا وكانت له مجالس للمناظرة يشارك هو بإدلاء رأيه فيها، كما هو الحال مع المناظرة التي كانت بين أبي عثمان سعيد ابن الحدّاد(ت بعد 302هـ/914م)[3] وأحد وجوه المعتزلة عبد الله بن الأشج (ت286هـ/899م)، أفحمه فيها ابن الحداد حول مسألة خلق القرآن، مما اضطر تدخل الأمير إبراهيم بن أحمد وأكمل مناظرة ابن الحداد وانتهى الأمر في الأخير بينهما الى قول الأمير لابن الحداد: أنت لا تضطرني الى مذهبك وأنا لا أضطرك الى مذهبي، وهي دلالة واضحة لانتشار المسائل الكلامية ببلاد المغرب، وروح التسامح المذهبي الذي كان عليه بعض امراء الأغالبة[4].

- السياسة الثقافية للرستميين:

انعكس استقرار الأوضاع السياسية في تيهرت الرستمية على مختلف مناحي الحياة الاقتصاد والإجتماعية والفكرية من خلال توفير جو من التسامح، فكانت محل جذب لمختلف الفئات، وكانت عاصمة لمختلف المذاهب والفرق كالمالكية والأحناف والمعتزلة،

---

[1]- محمد عابد الجابري: نحن والتراث، مركز دراسات الوحدة العربي، بيروت، ط1، 2006، ص225.

[2]- ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص141.

[3]- سعيد ابن الحدّاد (217-302هـ/832-915م): سمع من سحنون وكان يخالفه، عرف بالجدل والمناظرة وقوة الحجة، اشتهر بمناظراته للشيعة وجرأته، كان الإباضية يعتبرونه منهم، ربما لشجاعته في مناقشة المذاهب الحنفي والشيعي، كانت له ردود على أراء عبد الله بن يزيد مرجع النكارية في العقائد، وكان يسمي مدونة سحنون بالمدودة، مما جعله محل نقمة من طرف المالكية، ولعله سبب آخر يدعم ما ذهب اليه بعص الإباضية، وان كانت المصادر القديمة لا تسعفنا في ذلك، له عدة كتب أهمها "كتاب المقالات" رد فيه على أهل المذاهب أجمعين، و"كتاب الاستواء"، ينظر، الدباغ: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج2، ص295. الخشني: طبقات علماء إفريقية، ص61-62، الهادي روجي ادريس: الدولة الصنهاجية، ج2، ص362 الهامش رقم3. ويستبعد محمد حسن محقق كتاب السير للشماخي أنه شخص آخر غير سعيد بن محمد بن الحداد، ينظر: الشماخي، السير، ج3، ص940.

[4]- عبد المجيد بن حمدة: المدارس الكلامية بإفريقية الى ظهور الأشعرية، ص52.

وهو ما أفرز مجتمع تتنوع فيه المشارب العقدية والفقهية، هذا المناخ ساعد على قيام جدل بين مختلف التيارات المشكلة للمجتمع الرستمي[1]، وقد عبر ابن الصغير عن هذا الجو قائلا: "إلا أن الفقهاء تناجت المسائل فيما بينهم وتناظرت واشتهت كل فرقة أن تعلم ما خلفتها فيه عاقبة، ومن أتى الى حلق اباضية قربوه وناظروه ألطف مناظرة"[2].

ولم يكن هذا غريبا على أئمة الدولة الرستمية باعتبارهم أئمة علماء، فقد ورد عن الإمام أبي اليقظان محمد بن أفلح(261-281هـ/874-894م)، أنه بلغ في العلم مبلغا عظيما، ووضع أربعين كتابا في الاستطاعة، أما والده أفلح بن عبد الوهاب(208-258هـ/823-871م) لم يبلغ الحلم إلا وقد قعدت عليه ثلاث حلق: واحدة في الكلام وأخرى في اللغة والثالثة في الفقه[3].

إن سياسة التسامح المذهبي المنتهجة من طرف الرستميين مع مختلف المذاهب خاصة الأحناف[4] الذين استمر وجودهم في العهد الرستمي، ويبدو أن عددهم لم يكن قليلا بدليل بناء مسجد خاص بهم بتيهرت عرف باسمهم[5]، وهو ما كان مع جميع

---

[1]- الفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ص149-150. عبد القادر بوعقادة: الحركة الفقهية في المغرب الأوسط بين القرنين7و 9هـ/13و15م. ص187، 190.

[2]- ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، ص117.

[3]- الوسياني: سير، ج1، ص327.

[4]- يعتمد الفقه الحنفي كثيرا على الفرضيات على نحو(فإن كان كذا) في شكل سلسلة من الأسئلة المتتابعة وهذا ما جعل الإمام مالك بن أنس يوجه أسد بن فرات لما أكثر هذا النوع من الأسئلة الافتراضية الى العراق، والغاية من ذلك الاستعداد لوقوع النوازل، وهو ما نجد له أثرًا بارزًا في المصنفات الفقهية والكلامية الإباضية المغربية على نحو إن "سأل سائل، قلنا"، ما يوحي بتأثر رجال الإباضية بفقهاء الحنفية في استدلالاتهم، خاصة وأن الأحناف في بلاد المغرب الإسلامي كانوا يحسبون على المعتزلة، ولا يخفى على الباحث في المذاهب والفرق الاشتراك في الكثير من الأصول. ينظر، نجم الدين الهنتالي: المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، ص35.

[5]- جودت عبد الكريم يوسف: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص95.

المذاهب والفرق الأخرى، فقد تمتع المالكية بحرية تامة في ممارسة الشعائر الدينية وفق مذهب الإمام مالك ما عدا المسجد الجامع[1].

وكان أصحاب الإعتزال بالرغم من تمردهم على السلطة السياسة الرستمية يعقدون مناظراتهم مع الإباضية على ضفاف نهر مينا[2]، هذا وإن لم تذكر المصادر أي نشاط للشيعة في تيهرت الا أنهم كانوا مع وجوه القوم من المذاهب الأخرى في استقبال أبي عبد الله الشيعي حين دخل تيهرت سنة(296هـ/909م)، مما يوحي بروح التسامح المذهبي العالي الذي كان يسود الحياة الفكرية بالدولة الرستمية لذلك عُدت تيهرت من المراكز الثقافية الكبرى في بلاد المغرب الإسلامي.

- السياسة الثقافية للفاطميين:

سعى الفاطميون من الوهلة الأولى في تأسيس دولتهم ونشر دعوتهم الى امتلاك وسائل تثبيت عقيدتهم وترسيخ مذهبهم في بلاد المغرب بامتلاك أدوات الاستدلال الكلامي من خلال الانفتاح على مختلف العلوم خاصة العقلية، وشجعوا على الخوض في مختلف أصنافها كالفلسفة والجدل من أجل تبرير اختياراتهم السياسية والعقدية[3]، واستعانوا في ذلك خاصة بالفلسفة اليونانية في بلاد المشرق[4] وبمناهج المعتزلة في تثبيت العقائد، خاصة وأنهم يتفقون معهم في الكثير من المسائل الكلامية كمسألة خلق القرآن وعدم الرؤية في الآخرة[5]، لذلك يلمس في التراث العقدي الكلامي الفاطمي مسحة

1- ابن الصغير : أخبار الإئمة الرستميين، ص77.

2- المصدر نفسه: ص82-83.

3- نجم الدين الهنتاتي: المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، ص157.

4- محمد جديدي: الحكم الفاطمي من البحث عن الحرية الى ممارسة السلطة، ضمن كتاب من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي، تنسيق بوبة مجاني، منشورات مخبر البحوث والدراسات في حضارة المغرب الإسلامي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، ط 1، قسنطينة، 2007، ص 114-115.

5- عبد المجيد بن حمدة: المدارس الكلامية بإفريقية الى ظهور الأشعرية، ص243.

مسحة فلسفية واضحة، وهو ما يتوافق مع عقيدتهم القائمة على التأويل الباطني للنصوص من القرآن والسنة. ومن ثم فقد ساهموا بشكل مباشر في إثراء الحياة الفكرية بمقالات جديدة كانت محفزا لازدهار الجدل الكلامي في بلاد المغرب الإسلامي.

لم تكن فترة وجود الفاطميين بالمغرب كلها فترة صراع عسكري وسياسي، بل تخلل ذلك فترات من التسامح المذهبي خاصة مع البدايات الأولى لتأسيس الدولة حتى ولو اتخذ منه وسيلة لتحقيق أهداف سياسية، إذ حرص الفاطميون في أول عهودهم بالمغرب الظهور بمظهر التّسامح الذي لا يفرّق بين المذاهب حتى وإن كان ذلك من منطلق سياسي لا منطلق المذهب والعقيدة.

حافظ داعيتهم أبوعبد الله الشيعي(ت298هـ/911م) عند دخوله القيروان سنة(296هـ/909م) على سُنة التناظر بين الفرق والمذاهب ببيت الحكمة الأغلبي، وشجع على المناظرات وجلس لسماعها والمشاركة فيها، فقد كان هو نفسه بارعا في الجدل فصيح اللسان، مثال للرجل المتعقل الذي يعرف كيف يدافع عن مذهبه بالحجة المقنعة أو بالسفسطة[1] وحسن التخلص[2]، وقد أحصى حسن حسني عبد الوهاب ما دار من مناظرات بين دعاة الاسماعلية وأهل السنة نحو أربعين مجلسا[3]، وبلغ عدد المتكلمين خلال القرن الثالث هجري نحو ثلاثين متكلما حسب نفس المؤرخ[4].

[1]–هي ممارسة الإقناع بالقدرة على توظيف اللغة في فصاحتها وبلاغياتها الكلامية، بإنتاج قياس مقدمات صحيحة تفيد الحق في ظاهرها وباطنها باطل، مما ينتج أشباه حقائق في قوالب المعاني والحقائق الواضحة واليقينية. والغرض من ذلك تغليط الخصم واسكاته. ينظر، جميل صليبا: المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، د ط، 1994، ج1، ص658–660. الجرجاني، التعريفات، تحقيق محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، 2004، ص287.

[2]– ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص124. موسى لقبال: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها الى منتصف القرن الخامس هجري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص418.

[3]– حسن حسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، ق1، ص259.

[4]– المرجع نفسه، ق1، ص219.

وكان لأخيه أبي العباس المخطوم(ت298هـ/911م) مجلس زاخرا بالمناظرات التي كثرت وتواترت بين دعاتهم وعلماء المذاهب الأخرى خاصة مع المالكية، رغم ما عرف عن هذا الأخير من التعصب لمذهبه والعجلة وكثرة الكلام وضعف العقل[1]، وهو ما حمل أخيه أبوعبد الله توجيه خطاب له في شكل عتاب "لقد أفسدت علينا من أمر البلد وأهله ما كانت بنا حاجة الى اصلاحه"[2] ورفض مقترح أخية بنفي فقهاء المالكية من القيروان وقال "إن دولتنا دولة بيان وحجة وليست دولة قهر فترك الناس على مذاهبهم"، وتكون هذه المناظرات أحيانا بإشراف الحكام الفاطميين الشخصي عليها بحضور أبي عبد الله وعبيد الله المهدي(297-322هـ/934-909م).

ومن المسائل الكلامية التي كانت محل نقاش في هذه المناظرات مسألة الإمامة والنبوة مع سعيد ابن الحداد(ت302هـ/915م) ذكر تفاصيلها الدباغ(696هـ/1297م) في "معالم الإيمان"[3] ولم تتوقف هذه المناظرات إلا بعد أن تعرض أبوعبد الله الشيعي للاغتيال.

ساهم الفاطميون ببلاد المغرب بشكل مباشر في رفع الرقابة التي كان يفرضها علماء المالكية على الحياة الفكرية خاصة الخوض في المسائل الكلامية، كالإجراء الذي اتخذه سحنون بن سعيد(240هـ/855م) سنة(234هـ/849م) بتفريق حلق أصحاب الاتجاهات الخالفة وتواصل ذلك الى نهاية العهد الأغلبي[4].

1- ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص150.

2- المصدر نفسه، ج1، ص155.

3- الدباغ: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج2، ص298- 308.

4- نجم الدين الهنتالي: المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، ص146.

هذا وقد كان الخليفة المنصور الفاطمي(334-341هـ/945-952م) ما تشده اللذات إلا لذة الحكمة[1]، وكان لآخر خلفائهم في بلاد المغرب المعز لدين الله الفاطمي (341-365هـ/952-975م) بلاط للمجالس الفقهية والمناظرات العقدية بين مختلف المذاهب والفرق، يثير بينهم المسائل للتناظر وقرب منه العلماء وأشركهم في مجالس العلم والحكمة كما يسميها القاضي النعمان(363هـ/973م)، ويخصص لها أوقاتا في سائر أيامه، وينكب في ليله ينظر في الكتب والعلوم ويؤلف الكتب أكثر ليله[2]، خاصة بعدما شعروا بخطورة النتائج المترتبة على سياسة التعصب المذهبي فلجؤوا الى اللطف والملاينة مع أتباع المذاهب الأخرى خاصة الإباضية، حتى ولو كانت تُقية.

1- القاضي النعمان: المجالس والمسايرات، ص442.

2- المصدر نفسه، ص442.

2- الاتجاهات الكلامية بالمغرب الإسلامي بين الانتشار والانحسار:

إن النظر في تاريخ الأفكار الكلامية ببلاد المغرب يقتضي التعرض لمختلف الاتجاهات الكلامية التي كان لها وجود بأرضه، بغية فهم الحركة العامة للجدل الفكري بين هذه الاتجاهات، والاقتصار على اتجاه واحد فقط هو إهمال كبير لمتغيرات وظروف نشوء الأفكار وتطورها، وهو المعبر عنه في المنطق فهم الجزء لا يتم الا بالكل.

إلا أن ما يلاحظ في تاريخ بعض الاتجاهات هو ضياع مؤلفات أعلامها، وما وصلنا من أخبار عنها يكاد يكون شذرات في مؤلفات خصومها خاصيته الاقتضاب المخل في التفاصيل[1]، إذ تعرضت الى نوع من التعتيم والتغييب الى جانب الاندفاع في إصدار الأحكام والوقوع تحت رهينة الأحكام المسبقة، كما هو الحال مع المعتزلة في بلاد المغرب الإسلامي، والفرق الإباضية المنشقة عن الفرقة الأم الوهبية، لقلة وضياع ما كتبوه، وما وصلنا منها كان من مخاليفها سنية أو إباضية، والمعروف أن المذاهب تعرف من أهلها لا من خصومها[2].

1- رمضان بن رمضان: مدرسة الإعتزال في القيروان ما بين القرن(2هـ/8م) الى القرن (3هـ/9م) من الظهور الى الأفول، مجلة الحياة الثقافية، العدد رقم 201، مارس 2009، تونس، ص98.

2- محمد أيت حمو: علم الكلام في الغرب الإسلامي بين الاقتباس والخصوصية، ضمن كتاب الاتجاهات الكلامية بالغرب الإسلامي، ص58.

- **المعتزلة**[1]:

سجّل الفكر الاعتزالي ممثلا في الواصلية حضورا هاما في بلاد المغرب أثرى الخريطة المذهبية المغاربية آنذاك، وقد استوعبت الذهنية المغاربية الوسيطة هذا الفكر العقلاني الذي أثّر بصورة جليّة في بلاد المغرب وتأثّرت به عدّة جماعات خصوصا الجماعة الإباضية الوهبية.

يرتبط ظهور المعتزلة ببلاد المغرب بمبعوث واصل بن عطاء(131هـ/749م)[1] عبد الله بن الحارث كغيره من الرسل الى مختلف بقاع العالم الإسلامي بداية من القرن

1- تعود هذه التسمية الى الخلاف الفكري الذي كان بين الحسن البصري و تلميذه واصل بن عطاء حول مسألة مرتكب الكبيرة، فكان موقف الأستاذ من مرتكب الكبيرة أنه منافق بينما كان موقف التلميذ " أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا، ولا كافر مطلقا، بل هو في منزلة بين منزلتين" هذا التباين بينهما جعل التلميذ يؤسس حلقة درس جديدة، فقال الحسن البصري: اعتزل عنا واصل، فسمي هو ومن وافقه الرأي معتزلة ويطلق عليهم أهل العدل والتوحيد ـ أنظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج1، ص59-62. " قال عنهم الملطي: "هم أرباب الكلام وأصحاب الجدل والتميز والنظر والاستنباط، والحجج على من خالفهم وأنواع الكلام". ينظر: ابن عبد الرحمن الملطي: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تحقيق محمد زنهم ومحمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1993، ص29. وأصول هذا المذهب خمسة هي: 1- التوحيد: ويندرج تحت هذا الأصل، تنزيه الله عن التجسيم والتشبيه، صفات الله هي عين ذاته، تأويل الصفات التي ورد بها الخبر من القرآن والسنة، نفي رؤية الله، القرآن مخلوق، 2- العدل: ويندرج تحت هذا الأصل ما يلي، العبد خالق لأفعاله خيرها وشرها، لا يصدر عن الله قبح، معرفة الحسن والقبح عقلية، 3- الوعد والوعيد، 4- المنزلة بين المنزلتين، 5- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تعتمد على التأويل والعقل في استنباط الأحكام من أدلتها الشرعية، من أعلامها: النظام والجاحظ والزمخشري والقاضي عبد الجبار. ينظر، البغدادي: الفرق بين الفرق، ص106، أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ص99 وما بعدها. مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب، نشر الدار المصرية اللبنانية، ط11، 1996، ص249. أحمد أمين: فجر الإسلام، ص467-481. ولم تعرف الأصول الأربعة الأخيرة روجا في بلاد المغرب الإسلامي إلا ما كان من تفرعات الأصل الأول "التوحيد "كمسالة الصفات، وخلق القرآن، والجبر والاختيار خاصة قبل القرن الرابع هجري. تجدر الإشارة هنا إلى أن هدف المعتزلة لم يكن سياسيا- أي إقامة كيان سياسي- بقدر ما كان دعويًا لأجل نصرة الإسلام والرد على الملل المخالفة له، إذ لم يعرف عنها أنها سلت سيفا على أحد الحكام، وهو ما يجعلها منفردة مقارنة مع الفرق الأخرى التي غلبت نزعة إقامة كيان سياسي في صراعها المذهبي على نشر الدعوة، يعود ذلك ربما الى ظروف النشأة الأولى في بلاد المشرق فهي على غير الفرق الأخرى التي كانت الأسباب السياسية من الأسباب القوية في نشأتها، فقد ارتبط ظهورها الأول بالتحديات الفكرية التي كانت تمرُّ بها بلاد المشرق الإسلامي من صراع فكري بين مختلف الملل المخالفة للإسلام.

الهجري الثاني، "ففرق رسله في الآفاق يدعون الى دين الله، فأنفذ الى المغرب عبد الله بن الحارث فأجابه الخلق، وهناك بلدة تدعى البيضاء يقال فيها مائة ألف يحملون السلاح ويعرف أهلها بالواصلية"[2]، إلا أن المصادر التاريخية تسكت عن الترجمة لرسول واصل وعن أسلوبه في الدعوة ومجال تحركه، وإن كانت المصادر تتحدث عن انتشار المذهب في جهات كثيرة من بلاد المغرب.

لقد تواجد المعتزلة بالقيروان باعتبارها العاصمة السياسية والثقافية لبلاد المغرب خلال القرنين الأول والثاني الهجري، وتدعم وجدهم بها بمرافقة بعض المتأثرين بالفكر الاعتزالي للكثير من الولاة المُعَينين بالمغرب، وقيامهم بوظائف مهمة في الجهاز الإداري كالقضاء، الى أن أصبح مذهبا لبعض الأمراء الأغالبة في المغرب الأدنى فصار لهم شأن ونفوذ بالقيروان[3].

وهذا ما جعل الخشني(ت361هـ/972م) يفرد في كتابه "طبقات علماء افريقية" بابا سماه تسمية أهل المناظرة والجدل من طبقة العراقيين[4]، هذا وقد عددت المصادر

---

[1]- واصل بن عطاء(80 131هـ/699 749م) زعيم المعتزلة نشأ بالبصرة وتتلمذ على الحسن البصري، من كبار المتكلمين، اختلف مع أستاذه حول مرتكب الكبيرة، فاعتزل مجلس الحسن البصري هو وزميله عمرو بن عبيد، فقيل لهما المعتزلون، من أهم أثاره، "أصناف المرجئة"، كتاب "المنزلة بين المنزلتين"، كتاب "معاني القرآن"، "طبقات أهل العلم والجهل"، ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1977، ج6، ص6–11، أحمد بن يحيى المرتضي: طبقات المعتزلة، ص28-35.

[2]- القاضي عبد الجبار: فضل الإعتزال وطبقات المعتزلة، الدار التونسية للنشر، 1976، ص237.

[3]- محمد بن معمر: المعتزلة في المغرب الأوسط بين السجال الفكري والمواجهة العسكرية، مجلة العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، العدد11، ديسمبر 2016. عبد العزيز المجذوب: الصراع المذهبي في إفريقية الى قيام الدولة الزيرية، ص93.

[4]- الخشني: طبقات علماء إفريقية، ص75–77.

المالكية والإباضية العديد من المناظرات الكلامية التي كانت بين المعتزلة والمالكية وبينها وبين الإباضية[1].

أما في المغرب الأقصى فقد كان أبو ليلى إسحاق بن محمد بن عبد الحميد رأس قبيلة أوربة معتزليا وهو الذي كان في استقبال إدريس الأول(إدريس بن عبد الله)(172-177هـ/788-793م) سنة(172هـ/788م) ومكنه من الخطوة الأولى في تأسيس دولته بالمغرب الأقصى[2]، ومن ثم كان معتزلة المغرب الأقصى عصب الدولة الإدريسية إبان تأسيسها الأول[3][4].

وأما بالمغرب الأوسط فقد كان المعتزلة من جملة رعايا الدولة الرستمية، فقد ذكر البكري(487هـ/1094م) في حديثه عن تيهرت ووصف إمامها أنه "رأس الإباضية وإمامهم وإمام الصفرية والواصلية، وكان يسلم عليه بالخلافة، وكان مجمع الواصلية قريبا من تيهرت وكان عددهم نحو ثلاثين ألفا"[5]، هذا وقد أطنبت المصادر التاريخية

1- ينظر الفصل الرابع من الرسالة.

2- الشماخي: السير، ج1، ص63. وذلك من منطلق أن المذهب الزيدي عند الأدارسة يتقاطع مع المعتزلة في الكثير من المقالات كنفي الصفات وحرية الإرادة، فلربما كان ذلك من تأثير واصل بن عطاء رأس المعتزلة في تلميذه زيد بن علي رئيس المذهب الزيدي، ينظر: حنا الفاخوري وخليل الجر: تاريخ الفلسفة العربية، دار الجيل، بيروت، ط2، 1994، ج1، ص139.

3- ابن خلدون: العبر، ج6، ص194. محمود اسماعيل: الأدارسة حقائق جديدة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص58.

4- وذلك من منطلق أن المذهب الزيدي عند الأدارسة يتقاطع مع المعتزلة في الكثير من المقالات كنفي الصفات وحرية الإرادة، فلربما كان ذلك من تأثير واصل بن عطاء رأس المعتزلة في تلميذه زيد بن علي رئيس المذهب الزيدي، ينظر: حنا الفاخوري وخليل الجر، المرجع السابق، ج1، ص139.

5- البكري: المسالك والممالك، ج2، ص735.

الإباضية في الحديث عن المناظرات التي كانت بين الإباضية والمعتزلة على ضفاف نهر مينا قرب تيهرت[1].

تشترك الإباضية مع المعتزلة في مسائل عدة وتكاد العقيدتان تتطابقان في الأصول التالية: مسألة التوحيد والصفات، والوعد والوعيد، ونفي الرؤية، والقول بخلق القرآن، وتأويل كل ما يوحي بالتشبيه، ومرتكب الكبيرة إذا لم يتدارك الأمر قبل وفاته بالتوبة من ذنبه لا يغفر الله له ذنبه وهو مخلد في النار لا تنفعه شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام[2].

يرجع بعض الباحثين هذا التشابه في حسم هذه المسائل الكلامية الى انحدار شيوخ الإباضية والمعتزلة من وسط اجتماعي وفكري واحد(البصرة) مما يوحي بالتأثر الواضح بينهما[3]، وقد اختلف الفريقان في مسائل أخرى كالقدر والاستطاعة، فوظف المعتزلة مصطلح الخلق بالنسبة لأفعال الإنسان، أما الإباضية فوظفوا مصطلح الكسب، ومنزلة مرتكب الكبيرة، ورفضوا حجة الله العقلية السابقة للشرائع[4](أولية العقل على النقل)، معرفة الله لا ترتكز على العقل كما عند المعتزلة بل على الشرع. نجد صدى هذا التباين في مناظرات إمام المذهب الإباضي بالبصرة أبي عبيدة مسلم بن أبي

1- أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص102-107. الدرجيني: طبقات المشائخ: ج1، ص57. ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، ص82. الشماخي: السير، ج2، ص362. إبراهيم بحاز: الميزابيون المعتزلة- قراءة جديدة لنصوص قديمة-، مجلة الحياة، العدد01، جانفي1998، نشر جمعية التراث، غرداية، ص129.

2- عبد الرحمان بدوي: التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية مقال: نيلنو الصلة بين مذهب المعتزلة ومذهب الإباضية المقيمين في إفريقيا الشمالية، القاهرة، دار النهضة العربية، ط3، 1965، ص204-206. عبد المجيد بن حمدة: المدارس الكلامية بإفريقية الى ظهور الأشعرية، ص84، 154. محمد الشيخ: علم الكلام الإباضي بشمال إفريقيا- نموذجان: أبو عمار عبد الكافي وأبو يعقوب الورجلاني، مجلة التفاهم، العدد40، ربيع 2013، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، سلطنة عمان، ص193.

3- Tadeusz Lewicki: les subdivIisions de l'ibadiyya. Studia Islamica, No. 9. (1958).p76.

4- بيير كوبرلي: مدخل الى دراسة الإباضية وعقيدتها، ص435. إبراهيم بحاز: الميزابيون المعتزلة(قراءة جديدة لنصوص قديمة)، ص132.

كريمة(ت145هـ/762م) لواصل بن عطاء(ت181هـ/748م)[1] بمكة في مسألة القدر، هذا وقد كانت المناظرات بينهما يصل صداها بلاد المغرب[2].

- **المالكية[3]:**

كان دخول المذاهب الفقهية الى بلاد المغرب الإسلامي بفعل رحلة طلبة العلم المغاربة الى بلاد المشرق والتقائهم بأئمة المذاهب في مدنه الكبرى، من أهمها مكة والمدينة لما تمثلان من الرمزية باعتبارهما مهبط الوحي، وكانت شهرة مالك في الفقه والحديث تملأ المدينة فكانت مقصدا لطلبة العلم المغاربة[4]، من أشهر هؤلاء المغاربة الذين التقوا بمالك عبد الله ابن فروخ(ت185هـ/801م) وعلي ابن زياد(ت183هـ/799م) والبهلول بن راشد (183هـ/799م) وعبد الله ابن غانم(ت190م/805هـ) وأسد بن فرات(213هـ/828م)[5].

تعلق المغاربة بالفقه المالكي وبصاحبه إمام دار الهجرة مالك بن أنس(179هـ/795م) الذي كان له موقف واضح متميز من الاختلاف في فهم القضايا العقدية، يتسم بالابتعاد عما يشوش عقيدة المسلم الصافية، واجتناب الجدل الكلامي في

1- ينظر تفاصيل المناظرة في الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص246. وقد ذكرتها في الفصل الرابع من الرسالة.

2- المنصف قوجة: تاريخ الإباضية الديني والسياسي، الدار التونسية للكتاب، تونس، ط1، 2014، ص83.

3- يلخص المالكي موقف سحنون بن سعيد العقدي ومن ورائه المالكية حين دخل على ابن القصار في مرضه فقال له: يا بن القصار ما هذا القلق الذي انت فيه؟ قال: الموت والقدوم على الله، فقال له سحنون: ألست مصدقا بالرسل والبعث والحساب والجنة والنار؟ وأن أفضل لهذه الأمه بعد نبيها صلى الله عليه وسلم أبوبكر ثم عمر، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن الله تعالى يرى يوم القيامة، وأنه على العرش استوى، ولا تخرج على الأئمة بالسيف وإن جاروا، قال: إي والله الذي لا اله الا هو، قال سحنون: مت اذا شئت، مت اذا شئت ثم خرج عنه. ينظر: المالكي: رياض النفوس، ج1، ص367-368.

4- لتفصيل أكثر في أسباب انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب والتمكين له، ينظر كل من: نجم الدين الهنتالي: المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي الى منتصف القرن الخامس هجري، ص61-96. إبراهيم القادري بوتشيش: حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2006، 82-103.

5- القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج1، ص144.

الذات الإلهية وصفاتها، وهو الذي اشتهرت عنه المقولة "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة".

لقد وجد علماء المالكية أنفسهم مضطرين للرد على المخالفين انتصارا للمذهب والدفاع عنه، بسبب تزايد الفرق وقوة تأثيرها في مجتمع المغرب الإسلامي، لذلك أخذ علماء المالكية بزمام المبادرة باكتساب فنيات الجدل والمناظرة، ودخلوا جو المنافسة الفكرية، فانتقلوا من موقف الاستنكار والتنديد الى موقف استخدام اسلوب الجدل والمناظرة[1]، حتى نبغ فيهم رجال كانت لهم مواقف تاريخية ضد المخالفين.

يمكن أن نميز مرحلتين أساسيتين مرت المدرسة المالكية بهما، **أولها:** تبدأ من عودة الجيل الأول ممن رحلوا الى بلاد المشرق إلى أواسط القرن(02هـ/08م)، ويمكن وصفها بمرحلة الرواية والنقل في الحديث والفقه، أحجمت عن الكلام والخوض في المسائل العقدية اتباعا لمسلك السلف، والوقوف في وجه الخالفين واستنكار مقالاتهم والتنديد بمذاهبهم.

إن أهم مميزات هذه المرحلة حركة التعريب والعناية بالفقه في الدين غاية ذلك سد الضرورات في فتاوى العبادات والمعاملات ودرء الاختلاف على مستوى العقيدة[2]، وهي مرحلة تتسم في عمومها بالحيطة والحذر والاكتفاء بالدفاع عن أصول العقيدة في الظروف التي تمليها ردودهم على الخصوم، ثم رأت نفسها مضطرة للمشاركة في الجدل الكلامي بعد أن أصبح الفقه المالكي لا يستجيب الاستجابة الكافية للتطورات العقدية الجديدة.

---

[1]– رمضان بن رمضان: مدرسة الإعتزال في القيروان ما بين القرن(2هـ/8م) الى القرن (3هـ/9م) من الظهور الى الأفول، ص99.

[2]– سالم يفوت: المناخ الفكري بالأندلس ودور المالكية في تشكيله، ضمن كتاب الاتجاهات الكلامية بالغرب الإسلامي، مرجع سابق، ص82.

لتبدأ المرحلة **الثانية:** من منتصف القرن الثاني هجري الى دخول الأشاعرة الى بلاد المغرب الإسلامي(النصف الأول من ق4هـ/10م)، اهتم علماء المالكية بالعلوم العقلية وبفن الجدل[1]، وفي مقدمة هؤلاء أبي عثمان سعيد بن الحداد(ت320هـ/932م)، تدعم هذا الاتجاه بظهور جيل من المالكية تشربوا مبادئ المذهب الأشعري، هي مرحلة مشاركة علماء المالكية في الجدل ومناظرة المخالفين من شتى الفرق، وفي مختلف المسائل المثارة.

وألفوا في ذلك رسائل ردوا بها على الخصوم، من ذلك الردود الكثيرة ليحيى بن عمر بن يوسف الكناني(ت289هـ/901م) على الفرق والمذاهب المخالفة للمذهب المالكي، منها كتاب "الرد على الشكوكية" وكتاب "الرد على المرجئة"[2]، وألف محمد بن سحنون(256هـ/870م) إضافة إلى براعته في المناظرة كتاب "الحجة على القدرية" وكتاب "الإمامة"، وكتاب "الحجة على النصارى" و"كتاب الإيمان والرد على أهل الشرك"، وكتاب "الرد على أهل البدع" وهو في ثلاثة كتب[3].

وألف أحمد بن يزيد القرشي(ت284هـ/897م) كتاب "السنة" وهو كتاب في الرد على القدرية مستندا إلى النصوص الشرعية، بعد أن حذر من البدع وندد بأصحابها، وكتب

1- الحبيب الجنحاني: لمحة عن الحياة الفكرية في المجتمع القيرواني، مجلة الفكر، العدد06، مارس1966، تونس، ص26،29.

2- تراجم أغلبية، مستخرج من كتاب ترتيب المدارك للقاضي عياض، ص263-265. وكأن المالكية اضطروا الى تجميد رسالة الإمام مالك في الرد على أهل البدع. وأكد المتأخرون منهم أن مالك كان يستعمل الرأي في الفقه وقالوا أنه إمام في الحديث والرأي، ينظر، المبروك المنصوري: الفكر التشريعي وأسس استمرار الإسلام، الدار المتوسطية للنشر، تونس، ط1، 2011، ص19.

3- القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج1، ص425. وأنظر في نفس المصدر ونفس الصفحة بقية كتب محمد بن سحنون الأخرى.

أبو زكريا يحيى بن عون الخزاعي(ت298هـ/911م) كتاب "الحجة" هو كذلك في الرد على القدرية، وهو ذو صبغة كلامية، ناقش فيه المعتزلة مناقشة عقلية[1].

وألف سعيد ابن الحداد(302هـ/915م) عدة كتب في الكلام والجدل والفقه[2] منها كتاب "الاستواء" قال فيه "وإن كان قصدنا في هذا الكتاب الى الرد على النافية لله بنفيهم لصفاته"[3]، يرد فيه على من يقول بخلق القرآن، ردا على كتاب سليمان الفراء في خلق القرآن، وكتب إبراهيم ابن البرذون (299هـ/911م) كتابا للرد على محمد بن الكلاعي في مسألة خلق القرآن كذلك، وكان هذا الرد سببا في وشاية ابن الكلاعي به عند الأمير عبيد الله المهدي(296-322هـ/934-909م) الذي أمر بقتله[4].

وكتاب "الرد على الروافض" لأبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله الزبيري المعروف بالقلانسي(ت359هـ/969م) الذي كان السبب في محنته وسجنه من قبل الفاطميين[5]، بعد أن امتحن من طرف الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله(322-334هـ/934-946م).

[1]- عبد المجيد بن حمده: المدارس الكلامية بإفريقية الى ظهور الأشعرية: ص 164-165. كتاب "الحجة" ليحيى بن عون(ت298هـ/910م) هو كتاب في الانتصار الأهل السنة والرد على أهل الأهواء والبدع، قام محمد الطالبي بتحقيقه وإخراجه مع كتاب "أحاديث في السنة والنهي عن البدعة" رواية أحمد بن يزيد المعلم (ت284هـ/897م) من ضمن مخطوطات جامع القيروان بتونس، وهما كتابان من أقدم الكتب في فن الرد والتأريخ للمقالات الأصولية رغم أنهما الأول في الفقه والثاني في الحديث، وكان تحقيق الكتابين ضمن كتابه الصراع اللاهوتي في القيروان أيام الأغالبة لمحمد الطالبي، منشورات سوتيميديا، تونس، ط1، 2017.

[2]- الخشني: طبقات علماء إفريقية، ص150.

[3]- إبراهيم التهامي: جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، دار الرسالة، الجزائر، ط1، 2002، ص229.

[4]- السيد محمد أبو العزم داود: الأثر السياسي والحضاري للمالكية في شمال إفريقيا حتى قيام دولة المرابطين، المكتبة الفيصلية، مكة، 1405هـ، ص263.

[5]- عبد العزيز المجذوب: الصراع المذهبي في إفريقية الى قيام الدولة الزيرية، ص348

وكَتب ابن أبي زيد القيرواني(ت386ه/996م) رسالة سماها "الرد على القدرية ومناقضة رسالة البغدادي المعتزلي"[1] ردا على رسالة علي بن إسماعيل البغدادي المعتزلي الذي بعث برسالة إلى علماء القيروان يدعوهم فيها إلى طرح المذهب الأشعري السني والأخذ بالاعتزال، وكتاب "الاقتداء بأهل السنة" ورسالة في "أصول التوحيد"، ودبج كتابه الشهير "الرسالة" بمقدمة صدر بها رسالته توضح بشكل واضح الخط العقدي الذي سار فيه أتباع المذهب المالكي.

كما مكن المذهب الأشعري علماء المالكية ببلاد المغرب الإسلامي من نظرية متكاملة الجوانب للدفاع عن مذهبهم من الناحية العقدية، ووجدوا في نهجهم الاستدلالي الذي يجمع بين الأثر السني والنظر العقلي فاستحسنوا هذا الأسلوب ووجدوا فيه السند في مقاومة مخالفيهم، ساهم ذلك في ترسيخ المذهب المالكي وانتصاره النهائي ببلاد المغرب[2].

- المرجئة[3]:

لم يكن للمرجئة شأن كبير في الحياة الفكرية والمذهبية في بلاد المغرب، باعتبار أن جل المصادر التاريخية لبلاد المغرب الإسلامي لا تتحدث عن هذا التيار الفكري العقدي إلا كتهمة، ولا نجد من الأعلام من يتبنى أراءهم ويدافع عنها كما هو الشأن عند بقية الفرق والمذاهب الأخرى، مما يؤكد الرفض التام لأفكار هذا الاتجاه عند جميع

1- القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج2، ص143. ينظر في نفس المصدر ونفس الصفحة بقية كتب بن أبي زيد القيرواني الأخرى.

2- نجم الدين الهنتاتي: المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، ص186. علاوة عمارة: انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب الأوسط قراءة سوسيولوجية، ص27.

3- يجعلون مدار الإيمان على معرفة الله ومحبته، والإقرار وحدانيته مرتبطاً بالّنية، ولا يجعلون الإيمان مرتبطاً بالعمل، ويرون أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، كما لا تنفع مع الكفر طاعة ولا تضر مع الإيمان معصية. ينظر، الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص139، 257.

أصحاب المذاهب والفرق في بلاد المغرب، وإن كان هذا لا ينفي وصول أفكارهم ومعتقداتهم الى بلاد المغرب ولكن بقيت في حالة كمون يُرجع اليها عند البعض في إثارة المسائل الكلامية كمسألة الإيمان ومرتكب الكبيرة لأغراض متعددة سياسية واجتماعية[1].

كان الكلام في المسائل التي يثيرها الإرجاء في نهاية القرن الثاني للهجرة على أشده من أهم هذه المسائل مسألة الإيمان[2]، التي اتهم بسببها يحيى بن سلام المفسر(200هـ/815م) بالإرجاء رغم أنه كان يبرأ منه[3]، وبسبب الرقابة الردعية التي كان يمارسها علماء المالكية على انتشار المقالات الكلامية خاصة الإمام سحنون بن سعيد كما سلف ذكره، بقيت مقالاتها في حالة كامنة الى حين وفاته مباشرة ليظهر اختلاف علماء المالكية في المسألة من جديد.

وانقسم أهل القيروان حول مسألة الاستثناء في الإيمان الى فريقين، أتباع محمد بن سحنون(ت256هـ/870م) وأتباع ابن عبدوس(ت260هـ/873م)، فسُميت الفئة الأولى بالسحنونية وكانت لا تستثني في الإيمان، وتقول نحن مؤمنون عند الله دون استثناء، وسميت الفئة الثانية بالعبدوسية أو الشكوكية وكانت تقول بالاستثناء في الإيمان، بحجة عدم معرفة الغيب. فلما سئل ابن عبدوس عن هذه المسألة قال: أنا مؤمن عند الله

1- يوسف احنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2003، ص37.

2- محمد الطالبي: الصراع اللاهوتي في القيروان أيام الأغالبة، ص137.

3- أبو العرب: طبقات علماء افريقية وتونس، ص112. يحيى هويدي: تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية، ص158. يعتبر تفسير يحيى بن سلام أقدم تفسير بالمأثور وصل الينا، ثم انتقل بالرواية الى الأندلس واهتم به أبو عبد الله محمد بن زمنين وجعله مختصرا، وقام كذلك باختصاره من علماء الإباضية هود بن محكم الهواري الإباضي(ق3هـ/9م) على أصول المذهب الإباضي، ينظر: هود بن محكم الهواري: تفسير كتاب الله العزيز، تحقيق بالحاج بن سعيد شريفي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990، ج1، ص24، 34.

وسكت، قيل له أعند الله، قال: فأما عند الله فلا أدري بما يختم لي"[1] ولهذا اتُهم هو وأصحابه بالشكوكية، واتهموا أصحاب بن سحنون بالإرجاء.

ولعل في استجواب الأمير الأغلبي إبراهيم بن أحمد(261-289هـ/874-902م) لمحمد بن سحنون بعد ان اتهم بالإرجاء حول حال يزيد بن معاوية(64هـ/647م) قال: "لا أقول ما قالت الإباضية ولا ما قالت المرجئة، قال: وما قالتا، قال: قالت الإباضية: إن من أذنب ذنبا فهو من أهل النار. وقالت المرجئة: لا تضر الذنوب مع التوحيد، أتى يزيد عظيما جسيما، ويفعل الله في خلقه ما أحب"[2]، هذا بعد أن تناهى الى مسامع الأمير اختلاف علماء المالكية في المسألة الاستثناء في الإيمان.

وما يؤكد قوة النقاش ومركزيه هذه المقالة في الجدل الكلامي ببلاد المغرب وصول صدى هذا الجدل الى بلاد المشرق، فهذا محمد بن غافق التونسي(ت275هـ/888م) حين سافر الى المشرق لقي محمد بن الحكم(ت275هـ/888م) صاحب كتاب "فتوح مصر وإفريقية" بمصر فسأله عما وقع من اختلافات في مسألة الإيمان وموقف ابن سحنون من ذلك[3].

كما تجدد الجدل حول المسألة بين علماء المالكية تحت تأثير الأشعرية بداية من القرن الرابع للهجرة بين ابن التبان(371هـ/981م) وابن أبي زيد القيرواني(ت386هـ/996م)

---

[1]- القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج1، ص431. الدباغ: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج1، ص436. المالكي: رياض النفوس، ج1، ص462. وقد أورد يحيى بن عون(ت298هـ/910م) فصلا سماه " فيما يقوله الشكوكية وفي رفضهم" في كتابه الموسوم ب "الحجة" وهو كتاب في الانتصار لأهل السنة والرد على أهل الأهواء والبدع، قام محمد الطالبي بتحقيقه وإخراجه مع كتاب "أحاديث في السنة والنهي عن البدعة" رواية أحمد بن يزيد المعلم (ت284هـ/897م) ينظر، محمد الطالبي: الصراع اللاهوتي في القيروان أيام الأغالبة، ص125،124 من نص التحقيق.

[2]- تراجم أغلبية مستخرجة من ترتيب المدارك للقاضي عياض، مصدر سابق، ص181.

[3]- عبد المجيد بن حمده: المدارس الكلامية بإفريقية الى ظهور الأشعرية، ص46.

ليمتد الى مسائل أخرى متفرعة عنها حتى تمنى ابن التبان الموت ليتخلص من جدل خصومه[1].

وللمسألة امتداد الى بلاد المشرق، فقد اثيرت بنفس الكيفية منذ النصف الثاني من القرن الأول هجري، وكانت من أسباب انقسام صفوف أهل السنة أنفسهم[2]، هذا بعد ما عمدت السلطة السياسية في بلاد المشرق على تشجيع الفكر الإرجائي وجد الأمويون في أفكار المرجئة ما يبرر سياستهم في تدبير شؤون الدولة، ويبعد عنهم تهمة الكفر، فالإنسان مهما ارتكب من الكبائر يبقى مؤمنا[3]، تأخر ظهور هذه المسألة ببلاد المغرب الى غاية القرن الثالث الهجري.

- الشيعة:

يعود دخول المذهب الشيعي بلاد المغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الثاني للهجرة مع رسل جعفر بن محمد الصادق(ت148هـ/765م) بناء على زعم بعض المصادر وهما عبد الله بن علي بن أحمد المعروف بالحلواني وأبو سفيان الحسن بن القاسم[4]، ووجدت دعوتهما أذانا صاغية خاصة من قبائل كتامة[5]، وكان عملهما تمهيدا لدخول أبي عبد الله الشيعي(ت298هـ/910م) الذي باشر مرحلة جديدة من حياة الدعوة، وهي مرحلة التنفيذ بعد أن وجد الأرضية مهيأة لمباشرة تنظيم جهاز الدعوة عسكريا وتحويله الى قوة ثورية تمكنه من القضاء على مختلف الدويلات المغربية التي تأسست على أنقاضها الدولة الفاطمية[6].

1- الهادي روجي ادريس: الدولة الصنهاجية، ج2، ص315-316.

2- محمد الطالبي: الصراع اللاهوتي في القيروان أيام الأغالبة، ص145.

3- يوسف احنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص13.

4- القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص26. ابن خلدون: العبر، ج4، ص41.

5- هي قبيلة أمازيغية من البرانس، عصب الدولة الفاطمية ببلاد المغرب وأصحاب دولتهم، مجالها بين قسنطينة الى تخوم بجاية غربا الى جبل الأوراس. ينظر، ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص195-196.

6- ابن عذراي: البيان المغرب، ج1، ص125، موسى لقبال: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، ص234.

تكاد الأفكار العقدية الشيعية تنحصر في العناصر الأربعة التالية: الوصية، والعصمة للأئمة، ومجيئ المهدي المنتظر، وشفاعة النبي والأئمة، تختصر هذه المقالات كلها في مسألة الإمامة التي تعتبر أصلا من أصول الدين عند أصحاب هذه النحلة وأحد أركان الإيمان وعليها مقام التشريع، فالسعادة في الطاعة المطلقة للأئمة والشقاوة في عصيانهم والتنكر لهم[1]، أما ما تعلق بالمسائل الكلامية الأخرى كمسألة الصفات وخلق القرآن ورؤية الله في الأخرة فهي في المقام الثاني وإن كانوا في ذلك يأخذون برأي المعتزلة[2].

إن مقالات الشيعة المتعلقة بالإمامة والولاية مقالات جديدة مغايرة عما اعتاد المغاربة النقاش فيه سواء من قبل الإباضية أو المالكية، مدعمة بنظام سياسي على رأسه حاكم مقدس وصاحب صلاحيات مطلقة مبررة مذهبيا[3]، مما فرض عليهم التكيف مع هذا الوضع الفكري الجديد بتطوير مقالاتهم وأساليب الاستدلال والرد، خاصة بعد أن نظّر القاضي النعمان(363هـ/973م) لأصول المذهب الشيعي ببلاد المغرب في الفقه والأصول من خلال مجموعة من الكتب والرسائل[4] أشرف عليها المعز الفاطمي(342-365هـ/ 953-975م) شخصيا، تستجيب للصراع المذهبي ببلاد المغرب.

1- القاضي النعمان: آداب اتباع الأئمة، تحقيق مصطفى غالب، مكتبة الهلال، بيروت، 1985، ص20 وما بعدها.

2- جولد تسيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون، دار الكتب الحديثة، مصر، ط2، ص222. حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، بيروت، ط14، 1996، ج1، ص343-344. علي سامي النشار: نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، ط8، 1996. ص220.

3- قادة سبع: الصراع المذهبي العقدي بالغرب الإسلامي، أسسه، مجالاته وانعكاساته، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة وهران، (2015/2014)، ص223.

4- هذا وتمثل كتب القاضي النعمان "المجالس والمسايرات، "أساس التأويل" و"دعائم الإسلام"، و"تأويل دعائم الإسلام" الإسلام" تراث الإسماعلية العقدي في طوره المغربي. ينظر: عبد المجيد بن حمدة: المدارس الكلامية بإفريقية الى ظهور الأشعرية، ص215.

أعطى هذا النشاط دفعة جديدة للكلام الإباضي والمالكي خاصة مع أبي نوح سعيد بن زنغيل[1](أوائل ق4هـ/10م) وأبي خزر يغلا بن زلتاف[2](ت380هـ-990م) وكان نتيجة هذا التطور كتاب "الرد على جميع المخالفين" لأبي خزر يغلا بن زلتاف[3].

انعكس هذا الاختلاف البين في الأصول على طبيعة العلاقة السياسية بين الشيعة والإباضية ببلاد المغرب إذ يغلب عليها الحذر والمهادنة[4] خاصة وأن جموع الإباضية كانت تعيش مرحلة الكتمان، وهي مسوغ ديني سياسي يسمح بالتعامل مع الآخر في حدود ما تسمح به المصلحة، حتى ولو كانت تقيةً، والأمر نفسه متبع عند الشيعة حتى تضمن الإستقرار السياسي لدولتها الناشئة وتتفرغ لجبهات اخرى[5]، تتخلل هذه العلاقة الثورة والمقاطعة عند تباين المصالح السياسية والاقتصادية.

---

[1]- أبو نوح سعيد بن زنغيل(ق4هـ/10م): من الفاعلين في الحركة العلمية بورجلان، مولده بالجريد إلا أنه استوطن ورجلان وهو أحد أعلام الإباضية في بلاد المغرب، إذ يعد حلقة بارزة في سلسلة نسب الدين- رواية العلم في المذهب الإباضي من عالم إلى أخر- قال عنه الدرجيني "كان شهم الجنان فصيح اللسان كثير البيان" لبراعته بفنون الرد على المخالفين، ينظر: الدرجيني: طبقات المشائخ، ص133، 136.

[2]- أبو خرز يعلى بن زلتاف(ت380هـ/990م): من كبار علماء الإباضية، فقيه ومتكلم قاد ثورة ضد الفاطميين، انتقاما لمقتل صديقه ابي القاسم يزيد بن مخلد، ترك كتابا "الرد على جميع المخالفين" اشتهر بقدرته على المناظرة، رافق المعز الخليفة الفاطمي إلى القاهرة ليأمن جانبه وتوفي بها. أنظر، الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص126-137. ينظر: الشماخي، السير، ج3، ص916. معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب الإسلامي، ج2، ص478.

[3]- المبروك المنصوري: الفكر الإسلامي في بلاد المغرب تشكله وتطوره وانتشاره، ص262.

[4]- مسعود مزهودي: جبل نفوسة في العصر الإسلامي الوسيط، ص243.

[5]- أما عن المالكية فمرت علاقتها بالسلطة الفاطمية بثلاثة مراحل المناظرة والمقاطعة والثورة، ينظر، المبروك المنصوري: المرجع السابق، ص269.

- الأشاعرة[1]:

كان لكل من إبراهيم بن عبد الله الزبيدي المعروف بالقلانسي(ت359هـ/971م) ودراس بن إسماعيل الفاسي(ت357هـ/967م)[2] الشأن في دخول أفكار الأشاعرة الجديدة بعد عودتهم من رحلتهم المشرقية، فقد كانا من المعاصرين لأبي الحسن الأشعري(324هـ/935م) مؤسس هذا الاتجاه الكلامي ومن المتحمسين لنصرة مذهبه، وقد كان لدرّاس تأليف في الدفاع عن الأشعرية[3]، إلا أن جهودهم في نشر أفكاره تميزت بالطابع الفردي لا يتجاوزون مجالهم الخاص ومن ثم كان انتشار أفكار الأشاعرة في بلاد المغرب الى نهاية القرن الرابع هجري لا يزال محدودا جدًا[4].

ومع تطور الفكر الأشعري في بلاد المشرق على يد مجموعة من العلماء وتبنيه من قبل السلطة السياسية، عرف هذا الفكر مسارا جديدا أيضا في بلاد المغرب بفعل أثر هؤلاء العلماء في طلبتهم المغاربة خاصة أبا بكر الباقلاني(ت403هـ/1012م) وأبا المعالي الجويني(ت478هـ/1085م) وأبا حامد الغزالي(ت505هـ/1111م) الذين كانت تشد إليهم الرحال للمبررات التالية:

1- أتباع أبي الحسن الأشعري(ت324هـ/935م)، تتلمذ لأبي علي الجبائي(ت303هـ/915م) المعتزلي، ترك مذهب المعتزلة وأسس مذهبا جديدا يمثل الوسطية في العقيدة بين التشبيه والتعطيل، وأهم مبادئهم: 1- الصفات الإلهية قائمة بذاته تعالى، 2- العبد لا يستطيع احداث شيء ولكنه قادر على الكسب، والله خالق أفعال العباد، 3- رؤية الله في الأخرة ممكنة، 4- القرآن كلام الله غير مخلوق، 5- مرتكب الكبيرة من المؤمنين وهو في مشيئة الله، الإمامة ثابتة للأئمة الخلفاء ويتبرأ ممن ينتقصهم، ينظر، الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق، ط1، 1990، ص 14-17، 241، 251، 260.

2- ينظر ترجمته في المدارك للقاضي عياض: ج2، ص78-79.

3- الهادي روجي ادريس: الدولة الصنهاجية، ج2، ص317،330.

4- يوسف احنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، مقدمة الكتاب ص06. ابراهيم التهامي: الأشعرية في المغرب، دار قرطبة، ط1، 2006، ص11.

أولا: لكون أولهم (أبي بكر الباقلاني) جمع بين الإمامة في الفقه المالكي والريادة في الكلام الأشعري[1]، "وقد كان ظهور الباقلاني رائد المذهب الأشعري عنصراً مهماً في إقبال أهل المغرب على تعلم الأشعرية ونقلها إلى بلدانهم، وذلك لأن الباقلاني كما كان رأس الأشعرية، كان أيضاً رأس المالكية بالمشرق، وهو ما كان حافزاً للمتعلمين المغاربة كي يشدوا إليه الرحال لطلب فقهه، وكانوا يأخذون مع ذلك منهجه الأشعري في العقيدة"، فقد تتلمذ على يديه العديد من طلبة العلم المغاربة وكان مقصدهم في رحلاتهم العلمية كأبي الحسن القابسي(ت403هـ/1012م) الذي كان من كبار أنصار المذهب الأشعري في بلاد المغرب، وله رسالة في ذلك "كشف المقال" يعرض فيها أراء أبي الحسن الأشعري[2]، وأبي عمران الفاسي(ت430هـ/1039م) الذي يعتبر من أوائل الذين أدخلوا كتب الباقلاني الى بلاد المغرب الإسلامي[3]، خاصة كتاب "التمهيد".

وباعتباره من أعلام المذهب المالكي في المشرق فكانت تشد اليه الرحال من المغرب، يأخذ عنه الطلبة المغاربة المذهب المالكي والطريقة الأشعرية[4]، هذا ولم يكن الباقلاني غافلا عما كان يموج من أفكار واتجاهات فكرية في العالم الإسلامي، فكان

1- خالد زهري: مستويات الإبداع في علم الكلام الأشعري لدى المغاربة: ضمن كتاب جهود علماء المغاربة في خدمة المذهب الأشعري، كلية أصول الدين بتطوان، تنسيق مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات والبحوث العقدية، الرابطة المحمدية للعلماء، نشر دار أبي الرقراق، الرباط، ط1، 2012، ص107. عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت حياته وآراؤه وثورته الفكرية والإجتماعية وأثره بالمغرب، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1983، ص435.

2- الهادي روجي ادريس: الدولة الصنهاجية، ج2، ص317، 338-339.

3- محمد نصير: دور الباقلاني في تلقين الأسانيد الأشعرية ببلاد المغرب، مقال ضمن أعمال الملتقى الدولي الأول حول الفكر الأشعري بالمغرب خلال مرحلتي التأسيس والترسيم، تيطوان، تنسيق جمال علال البختي، المغرب، الرابطة المحمدية للعلماء، ص76.

4- ابراهيم التهامي: الأشعرية في المغرب، ص13.

كغيره قد أرسل رسله الى أقطار العالم الإسلامي وكان حظ بلاد المغرب عبد الله بن الأزدي(ت423هـ/1023م)، وأبو الطاهر محمد بن علي البغدادي(ت448هـ/1056م)[1].

ثانيا: الرواج المنقطع النظير لكتاب " الإرشاد الى قوطع الأدلة في أصول الاعتقاد" لأبي المعالي الجويني(ت1085/478م) ببلاد المغرب من خلال كثرة الشروح عليه والنظم والاختصارات لمبادئ هذه العقيدة، كان لها دور كبير في رسوخ العقيدة الأشعرية ببلاد المغرب[2].

ثالثا: نجاح بعض التلاميذ في تأسيس كيانات سياسية كما هو الحال مع المهدي بن تومرت(471-524هـ/471-524م) التي تزعم الرواية الموحدية أنه تتلمذ على أبي حامد الغزالي(ت505هـ/1111م).

تكللت هذا المجهود بفعل الطابع الجماعي المميز لها بالنجاح في فرض وجود أفكار الأشاعرة ببلاد المغرب، بعد أن اقتنع المغاربة بجودة أفكارهم في الدفاع عن مذهب أهل السنة، وإن كان ذلك بعد تردد علماء المالكية في قبول منهج الأشاعرة في تناول المسائل العقدية، فكان قبول المالكية للمقالات الأشعرية لا بوصفها جدلا وإنما كقضايا ايمانية يسلم بها، وبتبني علماء المالكية المقالات الأشعرية[3] أصبحوا يمتلكون قاعدة كلامية متناسقة تمكنهم من الرد على خصومهم ردا منظما بعد أن كانت هذه الردود قبل تبني منهج الأشاعرة عفوية ولا تستند الى مبادئ نظرية متماسكة[4].

1- ابن عساكر الدمشقي: تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الإمام أبي الحسن الأشعري، دار الفكر، دمشق، ط2،1399هـ، ص120-121. يوسف احنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص55.

2- ينظر الشروح مع عرض لبعض مضامينها لكتاب الإرشاد للجويني، يوسف احنانة: تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، مرجع السابق، ص136-146. ابراهيم التهامي: الأشعرية في المغرب، ص21.

3- تبنى علماء المالكية مقالات الأشعرية بعد تردد وفحص وهي تعبر عن انخراط أهل السنة في الكلام لضرورة المنافحة عن مقالاتهم هذا القبول لا يعبر عن تحول في الرؤية أو تعديل في المعتقد.

4- المبروك المنصوري: الفكر الإسلامي في بلاد المغرب الإسلامي تشكله وتطوره وانتشاره، ص282-285.

تـزامن ذلـك مـع اكتمـال المقـالات الإباضـية واتضـاحها بفعـل المجهـود التعليمـي والتربوي المنظم لحلقات العزابة، فأخذ الجدل الكلامي صورة جديدة من الصراع الفكري بين المدرستين ببلاد المغرب الإسلامي، تجسد ذلك في خاصة في أعمال أبي يعقوب الورجلاني وأبي عمار عبد الكافي.

3- أسباب تأخر الجدل الكلامي عند المغاربة:

- **ثورات المغاربة:** أثرت ثورات المغاربة على ظلم بعض ولاة بني أمية وتعسفهم سلبا على تأخر الجدل الكلامي ذاك لأن شيوع الجدل والمناظرة هو نتيجة لاستقرار الأوضاع السياسية وتوفير جو من التسامح المذهبي، لم يكن ذلك متاحا في بلاد المغرب خاصة قبل القرن الثاني للهجرة هو من الأسباب الرئيسية في التفاوت بين المشارقة والمغاربة، وان تمكنت بعض الدعوات المذهبية من تأسيس كيانات سياسية إلا أن الاختلاف المذهبي أخذ طابع استعمال العنف أكثر منه الى الحوار والجدل، مما يجعلنا نقول إن الهدف الأول كان إقامة دولة بدل نشر الدعوة[1].

- **الإنتشار المحدود للغة العربية:** بين السكان المغرب الإسلامي الأمازيغ، والمعروف عند علماء الكلام أهمية اللغة في شحذ المصطلحات الدقيقة وتأويل المعنى البعيد للمصطلح وهو ما يتطلب معرفة فائقة بقواعد وفنون اللغة[2].

-**الفارق الزمني بين انتشار الإسلام في المشرق والمغرب:** ففي الوقت الذي كان في المشرق متكلمون وأصحاب مذاهب كان في المغرب دعاة لتهيئة الأذهان وتمهيد الأرض لإقامة دول، ومن ثم كان حظ السياسة والدولة أكثر من حظ النظر والفكر في هذه الديار[3]، حتى وإن تدارك المغاربة تأخرهم في مواكبة الحركة الفكرية في بلاد المشرق إلا أن الزمن كان دائما في غير صالحهم ففي الوقت الذي كان المشارقة يتكلمون في القدر والوعد والوعيد سأل عبد الله بن محمد بن الأشج(ت286هـ/899م)[4]

1- علي الإدريسي: الأشعرية والإستقرار المذهبي بالمغرب، ضمن كتاب المذاهب الإسلامية ببلاد المغرب من التعدد الى الوحدة، ص122.

2- علي الإدريسي: الجدل الفكري في القيروان من خلال كتاب رياض النفوس للمالكي، ضمن كتاب الاتجاهات الكلامية بالغرب الإسلامي، ص130.

3- علي الإدريسي: المرجع نفسه، ص140.

4- عبد الله بن محمد بن الأشج: أحد متكلمي المعتزلة ينظر، الخشني: طبقات علماء إفريقية، ص56.

سؤالا أثناء عودته من رحلته الى المشرق عما يتكلم فيه أهل المغرب، فقيل له إنهم يتكلمون في الأسماء والصفات، قال: تركت العراقيين يتكلمون في القدر والوعد والوعيد[1].

بقي الحال على ما هو عليه حتى منتصف القرن الخامس الهجري يقول أبو عمران الفاسي(ت430هـ/1039م) "رحلت الى بغداد وكنت قد تفقهت بالمغرب والأندلس عند أبي الحسن القابسي(403هـ/1012م) وأبي محمد الأصيلي(392هـ/1001م) وكانا عالمين بالأصول، فلما حضرت مجلس القاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني(402هـ/1012م) ورأيت كلامه في الأصول والفقه على المؤالف والمخالف حقرت نفسي وقلت لا أعلم من العلم شيئا ورجعت عنده كالمبتدئ"[2].

ومن ذلك أيضا أبو بكر بن العربي(ت543هـ/1148م) الذي رحل مع أبيه الى المشرق سنة(475هـ/1082م) في رحلة علمية تجارية، تخلف عن أبيه منكبا على الدرس في مدن المشرق[3]، حتى نال المبتغى مفتخرا بما حصل عليه من العلم وطرائقه فقال عن نفسه: "كل من رحل لم يأت بمثل ما أتيت به من العلم إلا الباجي(474هـ/1082مـ)"[4] يقصد بذلك علم الجدل والمناظرة، فقد كان غيرهما يقتصر طلبه على الفقه والحديث وهي دلالة واضحة على أن الجدل الكلامي في بلاد المغرب حتى القرن الخامس هجري لم يبلغ المستوى الذي كان في المشرق العربي.

-**إحجام المغاربة عن الانخراط في الحراك الفكري:** الذي أنتجته مسيرة الإسلام في عهوده الأولى لحداثة إسلامهم من جهة، ومن جهة أخرى طابع البداوة الذي كان يغلب على القبائل البربرية، ومن جهة أخرى بعد عقلية البربر من التدقيقات العقدية والتأويلات

1- الخشني: طبقات علماء إفريقية، ص75.

2- القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج2، ص204.

3- المقري: النفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج2، ص28.

4- المقري: نفسه، ج2، ص29.

النظرية المتكلفة والجدل الفلسفي[1]، التي يصعب ادراكها حتى عند النخبة فما بالك بالعامة، ومن ثم ابتعدوا عن أصحاب الرأي وهو ما يفسر فشل الإعتزال بإفريقية[2]، هذا في مقابل نجاح المذهب المالكي الذي يناسب هذه الذهنية، فهو مذهب عملي يعتمد الواقع ويراعي عاداتهم وأعرافهم، بسيط في مبادئه واضح في استدلالاته بعيد عن التنظير الذي اعتبر ترفا فكريا[3]، قال أبو العرب في سياق التعريف بالبهلول بن راشد(799/183م) عن أبي عثمان سعيد بن محمد قال: سمعت أبي يقول: "جزت بسقيفة العراقي وهم يتناظرون في الإعتزال، فوقفت أسمع منهم، فبلغ ذلك بهلول فلما جئته أقبل عليّ وجعل يقول: يا محمد بلغني أنك مررت بسقيفة العراقي وهم يتناظرون في القدر فوقفت إليهم تستمع منهم، وأغلظ علي"[4].

-**الرقابة الفكرية:** سيطرة المذهب المالكي على الحياة المذهبية ببلاد المغرب الإسلامي، وكما هو معروف عن المالكية نفورهم من الكلام والتحذير من الخوض فيه واعتبار أصحابه أَصحاب بدعة، مقتدين في ذلك بالإمام مالك الذي عرف عنه كرهه للجدل في مسائل الكلام قال الإمام مالك: "الجدل والمراء في العلم يذهب بنور العلم من قلب العبد"[5] وقد سئل عن الرجل الذي له علم بالسُنة أيجادل عنها، قال: لا، ولكن يخبر بالسنة، فإن قبل منه وإلا سكت[6]، وقد أورد المالكي في كتابه "رياض النفوس" موقف الإمام مالك من الجدل الكلامي من خلال مشورة ابن فروخ(185هـ/801م) في الرد على أهل الأهواء "أشفق مالك أن يكون ذلك سببا لإظهار طريقة الجدل بإفريقية، فيؤدي ذلك

[1]- الفرد بل: الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي، ص 146.

[2]- نجم الدين الهنتاتي: المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، ص101.

[3]- عمر الجيدي: مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 1993، ص36.

[4]- أبو العرب: طبقات علماء افريقية وتونس، ص129.

[5]- ابن فرحون: الديباج الذهب في معرفة أعيان المذهب، ج1، ص115. القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج1، ص87.

[6]- ابن فرحون : المصدر نفسه، ونفس الصفحة.

إلى أسباب يخاف من غوائلها ولا يؤمن شرها فأراد حسم الباب"[1]، باعتباره ترفا فكريا، مبررا ذلك بقوله: "الكلام في الدين أكرهه، ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل"[2]، وتدعم هذا الموقف في الفترة التي تولى فيها سحنون القضاء للأغالبة بين(234-240هـ/848-858م) فكان أهم تحول للمذهب المالكي من الانتشار إلى السيادة، فعزل أصحاب الفرق المبتدعة عن الناس من خلال تفريق حلقاتهم التي كانت تقام بالجامع وطرد أهل الأهواء والبدع منه وكانوا فيه حلقا من الصفرية والإباضية والمعتزلة[3].

وكان خاتمتها قرار المعز بن باديس(407-454هـ/1016-1062م) سنة(440هـ/1048م) قطع "خطبة بني عبيد، وقطع بنودهم وأحرقها بالنار...وحمل الناس على مذهب الإمام مالك، وقطع ما عداه، وكانت بإفريقية مذاهب الصفرية والشيعة والإباضية والنكارية، والمعتزلة، ومن مذاهب أهل السنة الحنفية والمالكية، فلم يبق في أيامه إلا مذهب الإمام مالك"[4]، وهو مناخ فكري مناوئ وحاجز للخصوبة الفكرية التي تساعد على تطور الدراسات الكلامية.

-الإختلاف البيّن في البيئة الإجتماعية والثقافية للمشرق عن المغرب: فهي مبعث الإسلام الأول قريب من مهد الديانات والثقافات المشرقية كالمسيحية واليهودية، والثقافات الشرقية الأخرى كالمجوسية عرف حاملوها بالحضارة والفلسفة، وهو ما يشجع على الانفتاح على ثقافات أخرى، يذكر أحمد بن يحيى **الضبي** في حديثه عن رجالات

1- المالكي: رياض النفوس،ج1، ص177.

2- عبد المجيد الصغير: الفكر الأصولي وإشكالية السلطة في الإسلام، دار المنتخب العربي، بيروت، ط1، 1994، ص43.

3- القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج1، ص347-348.

4- ابن أبي دينار القيرواني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، منشورات دار المسيرة، لبنان، ومؤسسة سعيدان، تونس، ط3، 1993، ص 103-104.

الأندلس، أبوعمر أحمد بن محمد السعدي[1] الذي حضر بعض حلقات الجدل "أول مجلس حضرته: فرأيت مجلسا قد جمع الفرق كلها، المسلمين من أهل السنة، وأهل البدعة والكفار...ولكل فرقة رئيس يتكلم عن مذهبه ويجادل عنه، فإذا جاء رئيس أي فرقة كانت قامت الجماعة اليه قياما على أقدامهم، حتى يجلس فيجلسون...يتناظرون بحجج العقل وما يتحمله النظر والقياس"[2]، الأمر الذي سيخلق تفاعلا وتناظرا بين هذه الثقافات، ومن ثم نشاط الحركة العلمية والفلسفية والكلامية، ومن هنا كان الصدام الحضاري عنيفا بين الإسلام ومختلف الديانات الأخرى، وهو ما يستدعي التسلح بأدوات الخصوم للدفاع عن العقيدة الإسلامية.

-**قلة الحواضر العلمية في بلاد المغرب**[3]: وضعفها، مقارنة بمثيلتها في المشرق كالبصرة والكوفة وبغداد التي عرفت بكثرة النحل والملل، الأمر الذي يختلف تماما عن حالة المغرب الإسلامي، إذ اكتفى أئمة الدول الناشئة بعواصم دولهم كمراكز ثقافية تحتضن النخب الفكرية، ما عدا ذلك لا توجد مدن منافسة لهذه العواصم في حراكها الفكري، وأكثر ما تكون العلاقة بينهما علاقة تابع بمتبوع، وهو أمر يساعد على ضعف التفاعل الفكري والجدل الكلامي الذي يعتبر مولدا للمعرفة.

-**إتلاف الكتب والمكتبات:** بسبب الصرعات السياسية والعسكرية الكثيرة ببلاد المغرب الإسلامي، فعناوين المؤلفات التي وصلت إلينا ضمن تراجم المتكلمين المنتسبين لمختلف الفرق كثير، إلا أن معظم ما كتب من طرف المتكلمين المغاربة في حكم المفقود ضاع، ولم يبق منها إلا النزر اليسير، من ذلك حرق مكتبة المعصومة بتيهرت

---

[1]- ينظر ترجمته عند، القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج2، ص228. الضبي أحمد بن يحيى: بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1976، ص155-157.

[2]- الضبي أحمد بن يحيى: المصدر نفسه، ص156.

[3]- ابن خلدون: المقدمة، ص225، 276.

من طرف الشيعة، من أسباب ذلك سيطرة الشيعة الإسماعيلية على كل مؤسسات البلاد وإتلافهم تراث مخالفيهم ثم ما كان من دخول الهلاليين الذين لم يتركوا من حضارة القيروان شيئا[1].

مما سبق يمكن القول أن بلاد المغرب الإسلامي كغيرها من أقاليم العالم الإسلامي عرفت وفود مختلف المقالات سواء التشريعية أو العقدية في القرون الهجرية الثلاثة الأولى، ويمثل النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة البداية الفعلية للحديث عن المعارف والمناهج الكلامية في بلاد المغرب الإسلامي، وما إن انتهى القرن الثالث هجري حتى برزت مؤلفات تعتني بالأصول والكلام وإن كانت في عموم محتوياتها لا تفرق بين مختلف العلوم الدينية كالفقه وأصوله، ومع بلوغ القرن الرابع هجري تأصلت وتعمقت هذه المعارف خاصة مع الحضور الشيعي والأشعري الذي نشط الجدل الثلاثي الإباضي والمالكي والشيعي، ومع مطلع القرن الخامس هجري لم يعد المغاربة في حاجة الى الرحلة الى المشرق من أجل امتلاك المعرفة الكلامية، وأصبح للمغاربة رصيد ثقافي مهما بلغوا فيه الإجتهاد والإبداع خاصة مع أبي خزر يغلا بن زلتاف(380هـ/990م) والقاضي النعمان(363هـ/973م) وأبي عمار عبد الكافي(570م/1174م) وأبي يعقوب الورجلاني (570م/1174م) والسلالجي(ت574هـ/1178م) وابن رشد(595هـ/1198م).

1- عبد المجيد بن حمده: المدارس الكلامية بإفريقية الى ظهور الأشعرية، ص31.

الفصل الثاني: علم الكلام الإباضي.

1- عوامل النزوع الى الكلام.

أ- الدعوة تعلم فن الكلام

ب- الفتن الإباضية

النكارية، الخلفية، النفاثية، الحسينية والعمرية، الفرثية، السكاكية

2- طبيعة الكلام الإباضي.

- التمسك بالنقل والإنفتاح على العقل
- تأويل المتشابه
- الإختزال والوضوح
- الحركية والوعي بطبيعة المرحلة

3- مراحل تطور علم الكلام الإباضي.

- المرحلة الأولى
- المرحلة الثانية
- المرحلة الثالثة

4-الجدل الكلامي في الأصول.

أ- التوحيد.

- الأسماء والصفات.
- خلق القرآن.
- رؤية الله .
- القدر والعدل فيه.
- الوعد والوعيد.
- الإيمان والكفر: لا منزلة بين المنزلتين.

أ-1- البعد السياسي والاجتماعي للتوحيد عند الإباضية: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

- الإمامة .
- الولاية والبراءة.

يعود اختلاف الناس في فنون الرأي الى ثلاثة أجوه، الأول النظر في النوازل والأحكام وهو مأمور به يأجر صاحبه، والثاني مباح لا أجر فيه ولا وزر، والثالث كل رأي صادم فيه الشرع صاحبه آثم غير مأجور، "والى هذه الفنون رجع اختلاف الناس في الكفر والإيمان والشرك والإسلام والطاعة والمعصية والفسوق والنفاق والقول في أسماء الله عز وجل وأمثالها والقرآن"[1]، وهو ما ولد جدلا عقديا بين مختلف الفرق والمذاهب تدعي كل منها امتلاك الحق الذي يضمن الثواب والنجاة في الأخرة- الفرقة الناجية-، انطلاقا من نصوص تؤسس لفهمها وتدعمه، من أجل أن تكون مقالاتها العقدية مناسبة ومتوافقة مع حاجات البيئة السياسية الاجتماعية والثقافية، وهو ما يولد الطاقة الوجدانية اللازمة لحشد الأتباع لضمان استمرارية وجود الفرقة.

ولم تشذ الإباضية عن ذلك، وقد بذلوا جهودا معتبرة، خاصة بعد تحول مركز الثقل العلمي والثقافي الإباضي من بلاد المشرق الى بلاد المغرب، فخاضوا في مختلف المسائل الكلامية تبعا لمنحى بروزها وتداولها أو تجددها في بعض الأحوال، باحثين عن تدعيم الذات بالنظريات الكلامية التي تدعم وجودها في التاريخ[2]، خاصة بعد سقوط الدولة الرستمية ودخولهم مرحلة الكتمان التي يطغى على مظهرها الجانب العلمي والتربوي، ولهذا نجد أن بروز أهم المؤلفات الكلامية الإباضية ببلاد المغرب كانت بعد سقوط دولة الرستمين.

---

[1]- أبو يعقوب الورجلاني: الدليل والبرهان، تحقيق سالم بن حمد الحارثي، وزارة التراث والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، ط2، 2006، ج2، ص95.

[2]- أحمد الإسماعيلي: النص والأرض وجدليات العلائق-علم الكلام الإباضي نموذجا- مجلة التفاهم، العدد40، ربيع 2013، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ص364.

ولم يرد عنهم أنهم بدعوا من يشتغل بعلم الكلام كما هو الحال عند المالكية، بل رغبوا وأثنوا على أصحابه[1]، وشجعوا على اكتساب طرقه الاستدلالية وفنياته، وجعلوا منْ أتقنها من نخبتهم، انطلاقا مما سبق يحق لنا أن نطرح السؤال التالي: ماهي أسس ومنطلقات هذا الفكر؟ وما هي معالم خصوصياته؟ وبم يتميز عن غيره؟

1- عوامل النزوع الى الكلام

تعود دوافع نزوع الإباضية ببلاد المغرب الإسلامي الى اكتساب علم الكلام واتقان طرقه الاستدلالية لجملة من العوامل الذاتية داخلية تتعلق بمواقفها العقدية المرتبطة بالتأويل في مختلف المسائل الكلامية، وأخرى موضوعية متعلقة بعلاقتها ببقية الفرق والمذاهب الأخرى، وسنرجئ الحديث عن هذه الأخيرة في ثنايا الحديث عن الجدل الكلامي في الأصول.

أ- الدعوة الى تعلم فن الكلام:

اهتم الإباضيون بعلم الكلام وجعلوه من اختصاص النخبة، قال ابن الصغير: "ومن أتى الى حلق الإباضية من غيرهم قربوه وناظروه ألطف مناظرة، وكذلك من أتى من الإباضية الى حلق غيرهم كان سبيله كذلك"[2]، في هذا تعبير عن الوضع الثقافي في بلاد الرستميين بتيهرت وقد أُطلق عليها عراق المغرب، وقد كان هذا المناخ الفكري باعثا على تطور فن الجدل والمناظرة واكتساب مهارة الرد، ومن ثم كان التكوين وإعداد الطلبة

---

[1]- ينظر نص رسالة أبو اليقظان محمد بن أفلح(ت281هـ/894م) في خلق القرآن فيها دعوة صريحة في استحسان الخوض في مسائل الكلام واعتراض واضح على من ينكر ذلك ويحرمه ويسوق في ذلك أدلة وحججا. البرّادي: الجواهر المنتقاة، ص199.

[2]- ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، ص102.

يقتضي اكتساب مهارة الجدل الكلامي بعد استيعابه العلوم المساعدة على ذلك، كإتقان اللغة والتفسير والفقه، لأن التنافس الفكري كان شديدا بين الفرق والمذاهب[1].

لقد كان تعلم الكلام تتويجا للمشوار الدراسي، إذ يعبر عن المستوى العالي لمن اكتسب طرائقه، وما زاد في هذا التنافس أيضا الافتراقات الإباضية وما كان بينها وبين الفرقة الأم الوهبية[2] من أخذ ورد، جعل تاريخ المذهب الإباضي في المغرب الإسلامي يتسم بالجدل والمناظرة[3].

ومن الشواهد على ذلك ما ورد في سيرة الشيخ أبو هارون موسى الجلالمي[4](حي بعد 283هـ/898م) مع أستاذه أبي القاسم سدرات البغطوري[5](ت313هـ/925م) حين لازمه ثلاثين سنة يتعلم الأصول والحجة والمناظرة، و"يقولون للفقه علم العجائز"[6]، نظرا لما يرافق إدراك مفاهيم ومناهج علم الأصول والكلام من جهد عقلي.

1- إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية- دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية-، ص294-295.

2- الوهبية: الإباضية الوهبية هي جماعة الإباضية الأم التي تفرعت عنها بقية الفرق الأخرى بعد الفتن الإباضية، وقد اختلف المؤرخون حول أصل هذه التسمية بين من ينسبها للإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم بحجة ظهور هذه التسمية بعد فتنة النكار، وما تحوير الإسم من الوهابية الى الوهبية إلا تناسبا وتسهيلا للنطق بها عند الأمازيغ، وذهب آخرون الى نسبتها لعبد الله بن وهب الراسبي، بحجة أنها لو كانت النسبة تعود الى عبد الوهاب بن عبد الرحمن لكانت الوهابية لا الوهبية، أطلقت هذه التسمية على الإباضية الأم حتى يتميزوا عن الفرق الأخرى المنشقة عنها، ينظر، الوسياني: سير، ج1، ص280. ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، ص37. البرادي: الجواهر المنتقاة، ص174. تاديوش ليفتسكي: دراسات شمال افريقية، ، ج1، ص71. عمرو خليفة النامي: دراسات عن الإباضية، ص195-169 .

3- إبراهيم بحاز: المرجع السابق، ص331.

4- أبو هارون موسى الجلالمي(حي بعد 283هـ/898م): من علماء الإباضية بجبل نفوسة، وهو من تلامذة أبي القاسم سدرات البغطوري، ينظر: معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج2، ص432.

5- أبو القاسم سدرات البغطوري(ت313هـ/925م): هو حلقة في سلسلة نسب الدين، (رواية العلم في المذهب الإباضي من عالم إلى أخر)، من بقايا العلماء بعد واقعة مانو سنة283هـ/896م) ضد الأغالبة مع عبد الله بن الخير، ينظر: معجم أعلام الإباضية: قسم المغرب، ج2، ص169.

6- الشماخي: السير، ج2، ص 436.

استمر هذا التوجه في التربية والتعليم بحدة أشد بعد سقوط دولة الرستميين، خاصة وأن الظروف الطارئة بدخول الفاطميين كانت توجب الحزم لتحقيق الهدف المنشود، فقد ذكر الشماخي أثناء الحديث عن أبي القاسم يزيد بن مخلد(ت358هـ/968م)[1] وأبي خزر يغلا بن زلتاف (ت380هـ/990م) أنهما تعلما الكلام عند حسنون بن أيوب[2]، وهي دلالة واضحة على انتشار فن الكلام والسعي الى اكتسابه، تأقلما مع الواقع الفكري في إفريقية، وكان الشيخ ويسلان بن يعقوب المزاتي[3](من ق4هـ/10م) ممن يتعلم الكلام والأصول عند أبي القاسم مخلد(ت358هـ/968م)، فلما استوفى حقه من الكلام شاقت نفسه لتعمق في الفروع استأذن أمه في السفر الى جبل نفوسة[4].

وقد ورد عن الشيخ ماكسن بن الخير(ت491هـ/1097م)[5] من أخبار عبد الله بن مانوج اللمائي(ق5هـ/11م)[6] الهواري أنه جاز عليه في مسيره الى جربة قال: فسأله ابنه:

1- من علماء الكلام الإباضية، كانت له مكانة بين قومه وهو المقدم عندهم، وكان من المقربين عند الخليفة المعز الفاطمي(ت365هـ/975م) قال في حقه المعز: "أما يزيد فلم تلد العرب مثله"، تكدرت العلاقة بينها بسبب اتهامه بالتحضير للخروج على الفاطميين، وأمر المعز واليه على الحامة بقتله، فثارت جموع الإباضية ببلاد المغرب في طلب ثأره في واقعة بغاي، ينظر، معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج2، ص467-468.

2- الشماخي: السير، ج2، ص523.

3- أبو محمد ويسلان بن يعقوب المزاتي: جعله الدرجيني من الطبقة الثامنة(350-400هـ/961-1009م) من تلامذة أبو القاسم يزيد بن مخلد في الأصول والكلام، سجنه الفطميون لعلاقته بأبي القاسم، ينظر: معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج2، ص449.

4- الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص370-371

5- أبو محمد ماكسن بن الخير بن محمد الجرامي(ت491هـ/1097م) متكلم إباضي نشأ بالقيروان، أخذ الأصول عن عن محمد بن ويسلان بجربة، استقر في واد ريغ بورجلان، اشتهر بكثافة رحلاته الى مواطن الإباضية بين المغرب الأدنى والأوسط للدعوة والإصلاح، اعتمد عليه أبو الربيع الوسياني في رواياته على كتاب "السير"، وكذلك أبو زكريا في كتابه "سير الأئمة"، ينظر: الشماخي، السير، ج3، ص1016، معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج2، ص352.

6- عبد الله بن مانوج اللمائي(ق5هـ/11م) جعله الدرجيني من الطبقة التاسعة(400-450هـ) من فقهاء الإباضية السبعة الذين شاركوا في التأليف الجماعي(موسوعة فقهية) بغار أمجماج بجربة والمعروف بدوان العزابة، ينظر، الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص400، معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج2، ص271.

في أي باب من العلم أنظر فيه الكلام أم الفقه؟ فقال لي أنظر في الكل، أي بني، فإنك محتاج الى ذلك كله، قال: فقلت له: إن لم يحتمل ذهني ذلك كله، فقال له: دينك إذا، أي بني"[1]، وفي رواية الدرجيني والشماخي اقرأ الجميع، قلت: فإن قصر فهمي، قال: فدينك علم الفروع[2].

وذكر أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي(ت471هـ/1079م) أن أبا عبد الله محمد بن بكر(345-440هـ/956-1049م)[3] كان يحرض تلاميذه على الاجتهاد والعزم، ويقول: أنظروا في هذه المسائل، يعني التوحيد والكلام والحجة، لئلا تعبدوا غير الله وأنتم تصومون وتصلون[4]، فهي دعوة الى عبادة الله على بصيرة.

وكان هو(أبو الربيع) ممن تعلم الأصول على أبي عبد الله محمد بن بكر(ت440هـ/1049م)، ثم سافر الى جربة يريد التعمق في الفقه هو ومجموعة أخرى من تلاميذة محمد بن بكر عند الشيخ أبي محمد ويسلان بن بكر(حي بعد431هـ/1039م)[5]، فكانت مشائخ بني يهراسن[6] يجتمعون اليهم ويؤيدونهم على عزمهم تعلم علم الكلام، وأرسلوا في طلب تلاميذة محمد بن بكر ممن جاء لطلب الفقه يرغبونهم في تعليم فتيانهم علم الكلام[7]، فكانت حلقتان: حلقة أبي محمد ويسلان في الفقه وحلقة أصحاب الحجة والكلام، وقد تفوقت الأخيرة على الأولى قال أبو زكريا: "فلما رأى الشيخ أبو محمد كثرة

1- الوسياني: سير، ج2، ص771.

2- الشماخي: السير، ج2، ص585. الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص402.

3- سيأتي الحديث عنه في الفصل الثالث.

4- الوسياني: المصدر السابق، ج2، ص915-916.

5- كانت له حلقة علم بجربة له كتاب "الوصايا والبيوع"، جمعه تلامذته من الدروس التي كان يمليها في الحلقة، ينظر: معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج2، ص448.

6- يهراسن: قبيلة إباضية شمال طرابلس، كانت لهم هجرات الى جزيرة جربه بتونس حاليا وهي من مراكز الوهبية في الجزيرة في القرن الرابع هجري، ينظر: الشماخي، السير، ج3، ص882.

7- أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص282، الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص192.

أصحاب الكلام وقلة أصحابه، انتقل بمن يتعلم عنده الفقه الى بيت قبالة المسجد الكبير"[1]، بل جعلوا الكلام قبل التخصص في الفقه.

وما كانت رحلة تلاميذ محمد بن بكر(ت440هـ/1049م) الى جربة للتعمق في الفقه إلا بعد أن استوفوا حقهم من الكلام عند شيخهم، ولعل ذلك من أساليب التحصين التربوي والعلمي للمحافظة على روح المذهب وتماسك الجماعة.

إن سقوط دولة الرستميين الإباضية بالمغرب ودخولهم مرحلة الكتمان لم يكن يعني زوال المذهب الإباضي، بل على العكس من ذلك زادهم الحدث عزيمة بالتشبث بعقيدتهم بفعل نظام العزابة[2] ومنهجه في التربية والتعليم[3].

ب-الفتن الإباضية:

عرف تاريخ الإباضية ببلاد المغرب موجة من الفتن كان لها وقعها على انقسامها الى مجموعة من الاتجاهات سماها أبو زكريا يحيى الورجلاني(471هـ/1078م) الإفتراقات الإباضية، أحصاها في خمسة افتراقات، فبقدر ما كانت عاملا من عوامل ضعفها كانت كذلك عاملا من عوامل تطور علم الكلام عند الإباضية بفعل حاجة الصراع الفكري إليه.

1- الدرجيني: طبقات المشائخ، ص183.

2- سيأتي الحديث عنه في الفصل الثالث

3- عبد العزيز المجذوب: الصراع المذهبي في إفريقية الى قيام الدولة الزيرية، ص213.

النكارية[1]:

من فرق الإباضية، اتبعوا في الكلام عبد الله بن يزيد الفيزاري[2]، ويأخذون في الفقه بقول عبد الله بن عبد العزيز[3]، وأبي المؤرج عمرو بن محمد السدوسي[4]، وحاتم بن منصور[5]، وشعيب بن المعرف[6]، وخلافهم إنكار إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن

1- تذكر المصادر لها أسماء أخرى: مستاوة (نسبة الى اسم قبيلة بربرية)، يزيدية نسبة الى زعيمهم أبو قدامة يزيد بن فندين، النكاثية لنكثهم بيعة الإمام عبد الوهاب وثورتهم عليه سنة (171هـ/787م)، ونكاريه لإنكارهم كذلك بيعة عبد الوهاب والنجوية لإكثارهم الاجتماع والنجوى، والشغبية لإكثارهم الشغب وقيل نسبة الى شعيب بن المعرف، كانوا يطلقون على أنفسهم إسم المحبوبين. ينظر: أبو زكريا يحي الجناوني: عقيدة، تحقيق روبيرتو روبيانشي، ترجمة لميس الشجني، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية سلسلة رقم8، 2007، ص76. الدرجيني: طبقات المشائخ: ج1، ص51، الشماخي: السير، ج1، ص55-56. محمد بن حسن، القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، دار الرياح الأربع، 1986، ص105-106، تاديوس ليفيتسكي، المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، ص207،201.
-AllAouA AmArA: La structuration des ibadites-wahbites au Maghreb (xie-xve siècle)،annales islamologiques. Institut francais d archeologie orientale. 42 :2008.p260-261.

2- سبق التعريف به في الفصل الأول.

3- أبو سعيد عبد الله بن عبد العزيز البصري: من تلاميذ أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، أبرز عالم في مدونة أبي غانم الخرساني الفقهية اشتهر بكثرة استخدامه للقياس، كانت له اجتهادات خالف فيها استاذه أبو عبيدة ومن بعدة الربيع بن حبيب، فكان محل هجران من جموع الإباضية، توفي العقد الثامن من القرن الأول هجري، ينظر، ابن سلّام: بدأ الإسلام وشرائع الدين، ص114. الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص233. الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص236-237..

4- عمر بن محمد القُدَمي أبو المؤرج: الطبقة الرابعة(150هـ-200هـ) طبقة الربيع بن حبيب(ت170هـ/786م) من تلاميذ أبي عبيدة مسلم الذين خالفوه في بعض المسائل الكلامية كالقول بخلق الأفعال شأنه في ذلك شأن ابن عبد العزيز وشعيب بن المعروف، ينظر، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص219، 236. معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص328.

5- حاتم بن منصور الخرساني(ق2هـ/8م): كان فقيها عالما من تلامذة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، وممن دون عنهم أبو غانم الخرساني مدونته، وهو من العلماء اللذين اعتمد عليهم النكار في عقائدهم، ينظر، ابن سلام: المصدر السابق، 114.

6- أبو المعروف شعيب بن المعروف الأسدي: الطبقة الرابعة(150هـ-200هـ) من علماء الإباضية بالمشرق أخذ عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة كانت له كذلك اجتهادات خالف فيها الإباضية فهجر بسببها، منها تشريكه للمتأولين من أهل القبلة، تاب من فتواه ثم عاد الى خلافه بعد وفاة أبي عبيدة فتبرئ منه مرة أخرى، رحل بعدها الى مصر واستقر بها الى غاية خروج ابن فندين على الإمام عبد الوهاب فرحل الى تيهرت وناصر ابن فندين، فكان محل البراءة من طرف علماء المذهب، ينظر، الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص49. الشماخي، ج1، ص219، 236. معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص235.

الرستمي(171-208هـ/788-824م)[1]، تمثل أول افتراق للإباضية ببلاد المغرب حسب أبي زكريا في كتاب السير[2]، وبذور هذا الانشقاق سياسية بالدرجة الأولى، تعود إلى إقصاء عبد الوهاب بن عبد الرحمن منافسه يزيد بن فندين(ت188هـ/804م) من أي منصب سياسي، قال أنصار بن فندين: "حابى بعض الناس علينا وولاهم الأمور دوننا، ونحن أولى ممن ولاه على الناس"[3]، وجعل هذا الأخير يشيع في العامة أن بيعة الإمام الجديد باطلة لسببين:

1ـ لا تجوز ولاية الرجل إن كان في جماعة المسلمين من هو أعلم منه[4].

2ـ الولاية على شرط[5]- أي لا يمكن للإمام أن يتخذ قرارا بمفرده إلا بموافقة أهل الحل والعقد- وقد كان يزيد بن فندين من الجماعة التي اختارها عبد الرحمن بن رستم(ت171هـ/788م) للتشاور في من يخلفه.

كان لهذا الخلاف السياسي مبررات دينية من الطرفين، ما يؤشر على ظهور الجدل مبكرا بين أتباع المذهب الإباضي ببلاد المغرب[6]، التجأ الطرفان الى التحكيم عند شيوخ

1- الشماخي: السير، ج2، ص439.

2- أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص88.

3- أبو زكريا: المصدر نفسه، ص89. وكانت لهم مسائل فقهية وعقدية أخرى خالفوا فيها الإباضية الوهبية منها: أن ولاية الله وعداوته تتقلب بالأحوال، أسماء الله مخلوقة، عدم جواز صلاة الجمعة خلف أئمة الجور، لا يجوز أخذ عطايا الملوك، الحرام المجهول حلال، عدم تكفير المرأة التي أتت بشبه زنى، قالوا بالوقوف في الحارث وعبد الجبار ، حجة الله لا تقوم إلا بالسماع، ينظر، أبو خزر يغلا بن زلتاف: الرد على جميع المخالفين، تحقيق عمرو خليفة النامي، قدم له وعلق عليه الحاج سعيد مسعود وكروم الحاج أحد، نص مرقون ص14-16. أبو يعقوب الورجلاني: الدليل والبرهان، ج1، ص47-49، ج3، ص333-341. البرادي: الجواهر المنتقاة، ص171-172. أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي: رسالة في فرق النكار الست وما زاغت به عن الحق وبعض الفرق الأخرى، تحقيق عامر ونيس، نص مرقون، المكتبة البارونية، 2001، ص59-72. زهير تغلات: فرق الإباضية بين مخطوط "رسالة الفرق" وبعض أهم مؤلفات الإباضية، مجلة الكوفة، العدد7، 2014، ص96.

4- أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي: المصدر نفسه، ص70-71.

5- الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص48.

6- Tadeusz Lewicki: les subdivisions de l'ibadiyya, Studia Islamica, No. 9. (1958).p78.

شيوخ الإباضية ببلاد المشرق، وكان على رأسهم الربيع بن حبيب(ت170هـ/786م)، فكان جوابهم إبطال الشرط وتخطئة من أوجبه[1]، بحجة التعذر على الإمام الرجوع في كل مسألة الى الجماعة كإقامة الحدود على السبب الأول، أما الرد على السبب الثاني فقد ولى أبوبكر الصديقﷺ زيد بن ثابتﷺ وعلي بن أبي طالبﷺ أقضى منه، ومعاذ بن جبلﷺ أعلم منه[2].

وكان لهم مسائل عقدية أخرى خالفوا فيها الإباضية منها: أسماء الله مخلوقة وأن الإسم غير المسمى، ولاية الله للمسلمين متقلبة حسب الأحوال وكذلك الحب والبغض والرضى والسخط[3]، وتشريك من يُهم تأويله التشبيه من أهل التوحيد، الوقوف في الأطفال[4].

الخلفية:

الافتراق الثاني للإباضية حسب أبي زكريا الورجلاني[5]، بذوره كذلك سياسية محضة، فبعد عودة الإمام عبد الوهاب من رحلته الى جبل نفوسة، ترك وزيره السمح بن عبد الأعلى المعافري[6](ت بعد 204هـ/819م) واليا على نفوسة بطلب منهم وإلحاح، استجاب عبد الوهاب لهم، وأحسن السمح السيرة فيهم إلى وفاته، وبدا لبعضهم تولية ابنه

1- أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص92.

2- ينظر نص رسالة الربيع بن حبيب الى جماعة المغرب في، الشماخي: السير، ج1، ص91-92.

3- أبو يعقوب الورجلاني: الدليل والبرهان، ج1، ص35.

4- أبو يعقوب الورجلاني: المصدر نفسه، ج1، ص47–48. عمرو خليفة النامي: دراسات عن الإباضية، ص201–207.

5- أبو زكريا: المصدر السابق، ص118.

6- السمح بن عبد الأعلى أبي الخطاب المعافري(ق3هـ/9م): ابن أحد حملة العلم أبو الخطاب عبد الأعلى وصاحب وصاحب أول إمامة الظهور بالمغرب، عينه الإمام عبد الوهاب مدة نزوله بجبل نفوسة وزيرا له وقاضيا، ولما هم الإمام عبد الوهاب بالعودة الى تيهارت عينه واليا على الجبل برغبة أهله، ينظر، الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، 67–69، معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج2، ص218.

خلف بن السمح(221هـ/826م)[1]، ظانين بذلك أنه أرفق بالمسلمين وأوفق بأمير المؤمنين، وكاتبوا الإمام في ذلك دون مشورته، فكان جواب الإمام سلبيا "فإن من ولى خلفاً بغير رضى إمامه فقد أخطأ السيرة"[2]، فكاتبوه مرة أخرى في شأن تولية خلف، أمام هذا الإصرار كتب لهم جوابين وجها إلى الخاصة من جماعة المسلمين يتضمن الأول عزله وطلب منهم أن يسلموه الجواب، فإن سلم بمحتواه سلم له الجواب الثاني الذي يتضمن توليته، فلما تسلم الجواب الأول تمسك بموقفه وأبى اعتزال الولاية.

أمام هذه المعضلة وعلى عادة إباضية المغرب، راسل المؤيدون والمعارضون جماعة المشرق التي كان على رأسها أبي سفيان محبوب بن الرحيل(ق2هـ/8م) يستفتونهم في أمرهم، وكان الرد كذلك سلبيا بتخطئة من ولى خلفا وإصابة من لم يولّه، فكابروا على أنفسهم ورفضوا الحكم وخلعوا طاعة الإمام[3].

---

[1]- ربما كان يرى في نفسه ندا للإمام عبد الوهاب باعتبار أنهما يشتركان في النسب الى حملة العلم، فجده عبد الأعلى بن السمح المعافري، أحد حملة العلم الخمس، وأول من بويع لإمارة الظهور، التي كان فيها عبد الرحمان بن رسم واليا على القيروان، ووالده السمح كان وزيرا للإمام عبد الوهاب ثم واليا له على جبل نفوسة، وربما كذلك تأثره بأفكار يزيد بن فندين الذي رفض إمامة عبد الوهاب، ومن المحتمل أنه انكر على الرستميين توريث الإمامة، وان كان كذلك فهو أحق أن يكون اماما تبعا لمنطق الرستميين، وإن كانت المصادر لا تصرح بذلك ويمكن أن نستنبط ذلك من مبايعة أفلح خلفا لأبيه "فلما بلغ خلفا وفاة الإمام وتولية أفلح أنف واستكبر ولم يقر بإمامته"، ولا يستبعد حسب الباحث محمد بن حسن محاولة خلف إحياء امارة جده عبد الأعلى بن السمح المعافري بهذه الجهة، ويشير سعد زغلول عبد الحميد الى احتمال أن يكون اسم خلف ليس اسمه الحقيقي بل لقب أطلق عليه من خصومه كما سيطلقون عليه لقب الخبيث بن الطيب، ينظر: الدرجيني، طبقات المشائخ: ج1، ص72. محمد بن حسن: القبائل والأرياف المغربية، ص116. سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، الإسكندرية، د ط، 1993، ج2، ص333-334.

[2]- أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص120، ينظر نص رسالة الإمام عبد الوهاب الى نفوسة في نفس الصفحة. الشماخي: السير، ج2، ص311-312. الدرجيني، المصدر السابق، ج1، ص68.

[3]-. الدرجيني: المصدر نفسه، ج1، ص69-70. أبو زكريا: المصدر السابق: ص119-122، الشماخي: المصدر السابق، ج2، ص312. يبرر الدكتور محمود اسماعيل عبد الرزاق رفض الإمام عبد الوهاب طلب بعض رعيته في جبل نفوسة تولية خلف بن السمح الى خشيته من نفوذ عائلة المعافري على المنطقة بما تمثله من ثقل تاريخي في

مرد هذه المسألة إلى سياسة الإمام عبد الوهاب غير الواضحة في تعين عماله على الأقاليم التابعة للدولة الرستمية، التي كانت تجمع بين التعيين المباشر وإقرار ساكنة الإقليم، مما انعكس سلبا على استقرار دولته، فقد وافق عبد الوهاب رعيته في تولية السمح بن عبد الأعلى المعافري(ت بعد204هـ/819م) بعد أن رغبت فيه الرعية ورفض تولية ابنه خلف بن السمح(حي بعد221هـ/826م) بعد أن رغبت فيه الرعية كذلك، ربما خشية من استبداده بالسلطة وانفصاله عن الدولة.

وللمسألة امتداد ديني عقدي مخرجاته تعود الى أمرين:

أولا: شرعية وجود إمامين في وقت واحد كان مخرجا لجماعة خلف، أعطاه الشرعية الفقهية، فالإباضية يجوزون نصب إمامين في وقت واحد في إقليمين مختلفين على أن يسعوا إلى إمامة جامعة[1]، كما كان الأمر مع إمامة المشرق وإمامة المغرب، واعتراف كل منهما بالأخر، فهم في حوزة، وهو في حوزة أخرى بدعوى بعد المسافة بين الجبل وعاصمة الإمامة تفصل بينهما مناطق كبيرة يحكمها الأغالبة، فمن حق نفوسة أن تكون لها إمامة مستقلة عن إمامة تيهرت[2]، ورد في مقدمة التوحيد وشروحها لأبي حفص عمرو بن جميع(ق8هـ/14م) "وذهبت الخلفية من الإباضية الى أن كل إقليم أو حوزة يستقل بها إمامها فلا يجوز لإمام أن يجمع بين حوزتين"[3].

منافسته على الإمارة من خلال بقاء الولاية في أفراد عائلة المعافري، فأنكر عليهم ما استباحه هو باعتماد طريقة التوريث، ينظر، محمود عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب الإسلامي، ص163.

1- تاديوس ليفيتسكي: المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، ص207. إبراهيم فرغل محمد: الخلفية وحركتهم الإنفصالية في طرابلس الغرب وجبل نفوسة(196-294هـ/811-907م)، مجلة المؤرخ العربي، العدد19، أكتوبر 2011، ص68.

2- الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص70. ابراهيم بحاز: الدولة الرستمية، ص330. عمرو خليفة النامي: دراسات عن الإباضية، ص209.

3- عمار طالبي: آراء الخوارج الكلامية، ج1، ص122 في الهامش.

ثانيا: حق الرعية في تعيين عمالها[1].

انتهى أمر الإمام عبد الوهاب الى تعيين أبي عبيدة عبد الحميد الجناوني[2](ت بعد211هـ/826م) واليا على جبل نفوسة، فلما سمع خلف بن السمح بتعين أبي عبيدة دخل في حرب معه حتى وفاة عبد الوهاب ثم ابنه أفلح(حكم ما بين: 208-258هـ/823-871م)، وانتهت هذه الحرب لصالح أبي عبيدة عبد الحميد سنة(221هـ/836م)[3]، استمر وجود أتباع الخلفية حتى القرن السادس هجري.

النفاثية:

الافتراق الثالث للإباضية في بداية القرن الثالث هجري كان سببه سياسيا أيضا- التنافس على الولاية- ذلك أن فرج بن نصر النفوسي الشهير بنفاث(ق3هـ/9م)[4] تلميذ الإمام أفلح بن عبد الوهاب والمعروف كذلك بفرج بن نصر الويغوري كان يرى في نفسه جدارته بمنصب الولاية على قنطرار[5] من صديقه

1- عبد الرحمن حجازي: تطور الفكر التربوي في الشمال الإفريقي، ص50. محمود عيد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب، ص164.

2- عبد الحميد الجناوني أبو عبيدة(ت بعد211هـ/826م): من علماء جبل نفوسة كان واليا للإمام عبد الوهاب على الجبل وحيز طرابلس، ينظر، معجم أعلام الإباضية: قسم المغرب، ج2، ص244.

3- الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص73.

4- من علماء جبل نفوسة كان تلميذا للإمام أفلح بن عبد الوهاب بتهارت، لما عاد الى جبل نفوسة اختلف مع الإمام أفلح وعاب عليه في مسائل، سافر الى بغداد بعدما جد الإمام في طلبه، وناظر علماءها بحضرة الخليفة العباسي بعدما تناهى الى مسامعه أن الخليفة يطلب حلا لمسألة ومن يجيبه له ما سأل "وقد اجتمعت وجوه بغداد وفقهاؤها وعلماؤها، فطفقوا يسألونه من العلم حتى عيوا، فلم يقدروا على شيء"، وقد أجاب الخليفة المأمون على مسألته، فلما انتهت مناظراته سأله الخليفة عن حاجته، قال له نفاث: حاجتي أن تهب لي ديوان جابر بن زيد(ت93هـ/710م) أنسخه، وأجابه الخليفة الى ذلك، والغريب أنه لما عاد الى المغرب وخوفا من وصول الديوان الى خصومه(الوهبية) "انتخب موضعا فحفر له فيه ودفنه ولم يعرف موضعه الى يومنا هذا". ينظر، أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص 142-145. الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص81-82. الشماخي: السير، ج2، ص352.

5- قنطرار: من أقاليم بلاد الجريد قرب نفطة وشرق درجين جنوب تونس الحالية، جاءت في المصادر الإباضية مختلفة الرسم والنُطق، قنطرارة عند أبو زكريا وقنطارة ثم قنطرار عند الدرجيني، هي ربض جديد من أرباض نفطة في الجنوب الغربي لتونس في منطقة واحات الجريد حملت اسم قنطرار القديمة بجبل نفوسة نظرا لهجرة أهل هذه الأخيرة

سعد بن وسيم(ت بعد283هـ/896م)[1]، فأظهر الطعن في الإمام ومخالفته "وقال فيه أضاع أمر المسلمين، ويزيد في الخلقة ويلبس الطرطور ويخرج الى الصيد ويصلي بالأشابر"[2]، وعاب نفاث بن نصر على الإمام أفلح بن عبد الوهاب عدم محاربته للمسودة(الأغالبة) وبذخه[3] الذي تجلى في لباسه الفاخر وخروجه للصيد ومن ثم فهو غير جدير بالإمامة.

عرف فرج بن نصر بغزارة علمه وبلغ مبلغا عظيما في ذلك، شهد له بذلك خصومه فقد "أعطي في العلم منزلة عظيمة ولكنه أفسد ذلك كله بالحسد وحب الأمور"[4]، ساعده تكوينه العلمي الجيد على التمكين لأفكاره وأهَلَهُ هذا المستوى الى أن يلقي على سكان جبل نفوسة من المسائل العويصة ما لا يفهمونه[5]، فرأى من نفسه قوة وعلوا علميا على

من جبل نفوسة الى بلاد الجريد بعد واقعة مانو سنة(283هـ/896م)، كانت عاصمة الجريد زمن الرستميين، وهي من مراكز الدعوة الإباضية، فقدت ثقلها السياسي والثقافي بعد سقوط الدولة الرستمية لصالح أقاليم أخرى كدرجين وجربة، ينظر، أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، 138، الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص 352،482. الشماخي: السير، ج3، ص866. صالح باجي: الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، دار بوسلامة للطباعة والنشر، تونس، 1976، ص12. النوري نور الدين: أرباض واحة نفطة خلال العصر الوسيط، مجلة الحوار المتوسطي، مج 12، ع 13، ديسمبر 2017، ص94-95.

[1]- سعد بن وسيم أبي يونس بن نصر الويغوري(ت بعد283هـ/896م): من أعلام جبل نفوسة ابن والي قنطرار في عهد الإمام عبد الوهاب، ممن تتلمذ مع صديقه نفاث بن نصر على الإمام عبد الوهاب ومن بعده أفلح بن عبد الوهاب بتيهرت، عينه أفلح واليا على قنطرار خلفا لأبيه فأثار ذلك حفيظة نفاث بعد أن كان يرى في نفسه الكفاءة والأهلية على سعد، الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص77-80. معجم أعلام الإباضية: قسم الغرب، ج2، ص170-171.

[2]- أبو زكريا: المصدر السابق، ص139. الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص78. إبراهيم بحاز، الدولة الرستمية، ص330.

[3]- الشماخي: السير، ج2، ص440 هامش رقم01. تاديوس ليفيتسكي: المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، ص201.

[4]- أبو زكريا: المصدر السابق، ص141.

[5]- الدرجيني: المصدر نفسه، ج1، ص79. محمد بن حسن: القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، ص125.

صديقه سعد بن وسيم، وأخذ في نشر أفكاره انطلاقا من وطنه جبل نفوسة، ولقيت أفكاره قبولا خاصة في الجهة الغربية منه.

يحتمل أن السبب الرئيسي لسفره الى المشرق هو الاضطرار، بعد المضايقة من الإمام الرستمي أفلح بن عبد الوهاب، فضلا عن الاستزادة من العلم وربما بحثا عن أنصار لحركته في بلاد المشرق[1] ومن أهم أرائه:

– إن الله هو الدهر الدائم ولما سئل عن ذلك قال هكذا وجدت في الدفتر يعني الكتاب المسمى بهذا الإسم.

– الخطبة في صلاة الجمعة بدعة.

– الإمام الذي يعجز عن أن يحمي رعيته من ظلم الحاكم الجائر لا يحق له جمع الزكاة منهم لأنه ضعيف غير قادر على القتال والدفاع عنهم[2].

– عين ابنه في الإمامة وهو على قيد الحياة وله اجتهادات فقهية أخرى[3].

شكلت حركته إحراجا كبيرا للدولة الرستمية، وذلك من خلال الرسائل الكثيرة التي بعثها أفلح إليه[4]، وتوصية عماله بالملاينة والملاطفة له، رغم عدم تعويله على العمل العسكري في نشر أفكاره كما هو الشأن بالنسبة للنكارية والخلفية، بل عول على سعة

1– محمد بن حسن: القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، ص126.

2– أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي: رسالة في فرق النكار الست وما زاغت به عن الحق وبعض الفرق الأخرى، ص76–77.

3– أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي: المصدر نفسه، ص78. الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص79. عمرو خليفة النامي: دراسات عن الإباضية، ص211-212.

4– أنظر نص الرسائل الثالثة من الإمام أفلح بن عبد الوهاب الى نفاث بن نصر عند: سليمان باشا الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، ج2، ص261–268.

علمه بإقناع الفقهاء والمشائخ الذين لهم تأثير مباشر على عامة الناس[1]، وظلت دعوة نفاث حية حتى القرن الخامس هجري.

الحسينية والعمرية:

ترى الحسينية أتباع أحمد بن الحسين الأطرابلسي(ت269هـ/882م)[2] والعمرية أتباع عيسى بن عمير(ت189هـ/805م) [3] الى أنه يسع جهل ما خلا الله حتى الرسول صلى الله عليه وسلم ويبقى الإنسان مسلما، بمعنى أن معرفة النبي ليست شرطا في الإيمان[4]، أي أن جملة التوحيد تقتصر على قول "لا إله إلا الله" فقط، فهي كافية لأن يكون الإنسان مؤمنا، أما المعتقدات الأخرى فهي لواحق لها[5]، حتى الرسول صلى الله عليه وسلم يسع جهله ويبقى الإنسان مسلما، فمعرفة النبي ليست شرطا في الإيمان.

---

[1]- زهير تغلات: فرق الإباضية بين مخطوط "رسالة الفرق" وبعض أهم مؤلفات الإباضية، ص99-100. محمد بن حسن: المرجع السابق، ص124.

[2]- فقيه إباضي معاصر للإمام أفلح بن عبد الوهاب يعرف أتباعه بالحسينية عاش في الجزء الشرقي من جبل نفوسة ذكر الشماخي له عدة كتب أحسنها "المقالات" في علم الكلام و"كتاب المختصر" في الفقه ومؤلفات اخرى "كتاب خلق القرآن ومشكل القرآن وأعلام النبوة، أخذ بقول عيسى بن عمير في الكلام، مواقفه أقرب للنكار بجعل مرجعيتهم في الفقه ابن عبد العزيز وأبي المؤرج وشعيب بن العرف، ينظر، أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي: المصدر السابق، ص82. وأما العمرية نسبة الى عيسى بن عمير، يزعمون أنهم اباضية ويسندون مذهبهم الى عبد الله بن مسعود حسب الدرجيني، ينظر، ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستمين، ص83. الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص477. الشماخي: السير، ج2، ص415، 773.

[3]- نسبة الى عيسى بن عمير(ت189هـ/805م)، من فرق الإباضية كان في خلاف كبير مع عبد الله بن يزيد الفزاري من مقالاته معرفة الله تكون بالفكر ولا بينة للرسل الا بآية، تأثر أحمد بن الحسين بأقواله، ينتحلون الإباضية ويسندون مذهبهم الى عبد الله بن مسعود، وهم أقرب للمعتزلة، ينظر، أبو زكريا: المصدر السابق، ص113، أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي: رسالة في فرق النكار الست وما زاغت به عن الحق وبعض الفرق الأخرى، ص82. الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص 47. جوزيف فان أس: علم الكلام والمجتمع، ج1، ص548، 585.

[4]- أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي: المصدر السابق، ص82. المبروك المنصوري: الفكر التشريعي وأسس استمرار الإسلام، ص51-52.

[5]- بن إدرسو مصطفى: الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص286-287.

يفسر الباحث المبروك المنصوري هذه المقالة بأثر البيئة المغربية الأمازيغية التي لم تعرف الرسول عليه الصلاة والسلام إلا عن طريق الرواية الشفوية[1]، وهو اختلاف جوهري وغريب مع الفرق الإباضية الأخرى باعتبار أن الإيمان قول وعمل، ويذهب بعض الدارسين الى نفي انشقاق العمرية عن الإباضية[2]، وإن كان هناك مصادر تقرن بينهما للتوافق الموجود بينهما خاصة من وجهة النظر العقائدية[3].

وزادت الحسينية على ذلك أن – معرفة الله متأتية عن طريق العقل، وهو حجة الله على الناس، فاتهم بترك القرآن والسنة كحجة وعمل بالقياس العقلي، فما وافقه اتخذه دينا وما خالفه رفضه بحجة أن العقل هو مناط التكليف ولا يمكن أن يرد الشرع بما يخالف العقل، وأضاف أن العقل يمكنه معرفة الله دون وحي[4].

ـ المتأولون المخطئون مشركون، والحب والرضى والولاية والبراءة والبغض والسخط هي أفعال لله لا صفات، أما خوف الرسول من الله هو خوف إجلال لا خوف عقاب، إن سكان الجنة يعشون في خوف أبدي ورجاء أبدي[5].

وزعموا أن أهل الكتاب ليسوا مشركين بعدما استُحل منهم ما يحل من المشركين وحرم منهم ما يحرم من المشركين[6].

1– المبروك المنصور: المرجع السابق، ص51-52.

2– بن إدرسو مصطفى: الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص254.

3– تاديوس ليفيتسكي: المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، ص202.

4– تبغورين بن عيسى الملشوطي: أصول الدين، ص163–164. بيير كوبرلي: مدخل الى دراسة الإباضية وعقيدتها، ص252. جوزيف فان أس: علم الكلام والمجتمع، ج1، ص585.

5– السوفي: رسالة في فرق النكار الست، ص83، 86. الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص476–477. أبو عمار عمار عبد الكافي: الموجز، تحقيق عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2013، ج2، ص139.

6– أبو زكريا يحي الجناوني: عقيدة الجناوني، ص75. جوزيف فان أس: المرجع السابق، ج1، ص584.

الفرثية:

تأسست على يد أبي سليمان بن يعقوب بن أفلح(حي بعد311هـ/923م) ابن الإمام يعقوب بن أفلح(ت310هـ/922م)، الذي لجأ الى ورجلان[1] بعد دخول الفاطميين تيهارت سنة(296هـ/909م)، لاحظ الأب على ابنه الخروج عن المنهج العام للإباضية الوهبية فنبهه الى ذلك ونصحه باجتناب مطالعة كتب المخالفين للمذهب، خاصة كتب أحمد بن الحسين الأطرابلسي[2]، إلا أنه لم يستجب لنصائحه، فكانت له اجتهادات خالف فيها جمهور الإباضية الوهبية، التي كانت سببا في هجرانه واعتباره من المبتدعة فتبرأ منه.

من مبادئها التي خالفت فيها مذهب الوهبية تنجيس الفرث[3]، وتحريم الجنين المذبوحة أمه، وتنجيس عرق الجنب وعرق الحائض، ودم العروق بعد تنقية مذبح الشاة، ووجوب صوم يوم الشك، والزكاة لا تعطى إلا للقرابة من ذوي الأرحام [4]، كان أبوه يحذر منه أهل ورجلان وقيل درس من ديوان أحمد بن الحسين وكلاهما مفقود.

---

[1]- وردت في المصادر التاريخية والجغرافية بتسميات متقاربة، واركلان، واركلا، ورقلا، ورجلان، نسبة الى قبيلة بني وركلا، إحدى بطون زناتة، كورة بين إفريقية وبلاد الجريد ضاربة في البر كثيرة النخيل يسكنها قوم من البربر، إليها هرب أبو يزيد مخلد بن كيداد من اعتقاله من طرف الفاطميين سنة(325هـ/936م)، وإليها لجأ جموع الإباضية من مذابح أبي عبد الله الشيعي، ينظر، ابن خلدون: العبر، ج7، ص69. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5، ص371. الحسن الوزان: وصف افريقيا، ج2، ص136.

[2]- الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص106. أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص180-181. الشماخي: السير، ج2، ص546.

[3]- والى هذه المسألة ينسب، فكان يقال له الفرثي بهذا السبب، ينظر الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص106.
Alloua Amara:op.cit.p261. Tadeusz Lewicki: op.cit..p81.

[4]- أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي: رسالة في فرق النكار الست، ص92-93، الشماخي: المصدر السابق، ج2، ج2، ص546. أبو زكريا: المصدر السابق، ص192. الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص108. معجم مصطلحات الإباضية، قسم المغرب، ج2، ص790.

السكاكية:

الافتراق الخامس للإباضية، نسبة الى السكاك يكنى أبا عبد الله اللواتي القنطراري(ق4هـ/10م)[1]، أخذ في طلب العلم فلما نال منه دقائق سولت له نفسه مسائل خالف فيها الإباضية الوهبية، ونبذ ما عليه الأسلاف منها: "إبطال السنة، وإبطال رأي المسلمين" (القياس)[2] وأن الله أغنى بكتابه أهل العقول عن غيره، فليس رأي ولا سنة بحجة أن الله تعالى أغنى بالقرآن أهل العقول، مستندين الى الآية ﴿**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾[3].

ومن أرائهم الصلاة بالجماعة بدعة، الأذان بدعة، فإن سمع هو وأصحابه أذان الصلاة قالوا نهيق الحمير، أن الصلاة عندهم لا تجوز بشيء من القرآن إلا ما عرف معناه وتفسيره، الأجنة نجسة بما يعتريها من سماد بني آدم، أن الصلاة لا تجوز بثوب فيه قمل، أن الأندُر (الحُبوب) إذا بالت فيها الدواب التي تدرس نجسة فإن القمح لا يطهر إلّا بالغسل "والخضار من بساتين يستعمل لها الروث نجسة"[4] وقد انقرض هذا المذهب في القرن الخامس هجري ولم يتجاوز انتشار أفكارهم حدود قنطرار[5].

كان للانشقاقات الداخلية الإباضية ومنازعاتها مع الفرق الإسلامية الأخرى المصحوبة عادة بتأثير السلطة السياسية أو القضائية والمشحون بالحماس والاندفاع أثر

[1]- أبو عبد الله السكاك اللواتي النسب قنطراري المسكن (ق4هـ/10م) ممن تبرأ منه الإباضية لم تلق أراؤه روجا لغرابتها وتناقضها مع عقائد الإباضية الوهبية، ولم يتجاوز حدود انتشار أفكاره قنطرار، هذا ولم تسجل الصادر له أي موقف له من الإئمة الرستميين مما يدل على أن ظهور أفكاره كان بعد سقوط دولة الرستميين، ينظر، الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص118، أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص192. بن إدرسو مصطفى: الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص261.

[2]- السوفي: رسالة في فرق النكار الست وما زاغت به عن الحق، ص88.

[3]- سورة الأنعام: الأية38.

[4]- أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص203-204. السوفي: المصدر السابق، ص89–90. الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص118. عمرو خليفة النامي: دراسات عن الإباضية، ص217.

[5]- الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص108. السوفي: المصدر السابق، ص93..

فعال على نشاطها الفكري، وارتبط بالتكفير من ذلك تكفير جميع الفرق التي انشقت عن الإباضية الأم[1].

ساهم انقسام الإباضية الى فرق داخلية في تطور الإجتهاد العقدي الإباضي من خلال اكساب الأصول العقدية بعدا كلاميا[2]، وتجلى ذلك من خلال كتب الردود ومختلف المناظرات التي كانت بينها، فبقدر ما كان الأمر سلبيا من الناحية السياسية بإضعاف شوكة الإباضية ببلاد المغرب، كان الأمر ايجابيا من الناحية الفكرية بفعل هذا الصراع الفكري الذي يولد المقالات ويطور في أساليب الردود.

2- طبيعة الكلام الإباضي

أ-التمسك بالنقل والإنفتاح على العقل:

يتناسب طابع علم الكلام الإباضي مع المواقف السياسية والعقدية التي اتخذها الإباضيون اتجاه تطور الأحداث والتكيف معها في المشرق والمغرب، وأول ما يلاحظ في خصوصية الكلام الإباضي هو التمسك بالعقيدة والانفتاح على العلوم العقلية، وهو ما يناظر الصرامة العقدية من جهة والاعتدال السياسي من جهة آخري[3].

إذ يبنى أسلوبهم الجدلي في فهم النصوص على التمسك الحرفي الظاهري، يظهر ذلك في محورية القرآن في استدلالاتهم العقدية دون الإغراق في عقلنته بالمنطق أو البرهان الجدلي كما هو الحال عند المعتزلة[4]، وذلك من خلال إرجاع كل مسألة عقدية كلامية الى أصلها من القرآن والسنة، ودقة إختيار الدليل، فمهما بلغت درجة الثقة بالعقل

1- أبو زكريا: المصدر السابق، ص198-199. السوفي: المصدر نفسه، كله.

2- المبروك المنصوري: الفكر العقدي وأسس السيادة في الإسلام، ص58.

3- المنصف قوجة: تاريخ الإباضية الديني والسياسي، ص13.

4- أحمد الإسماعيلي: النص والأرض وجدليات العلائق- علم الكلام الإباضي نموذجا-، ص362.

في المعرفة إلا أنه ينبغي له أن يكون في خدمة الوحي فالتبرير العقلي للقضايا الإيمانية هو تأكيد للوحي وهو الهدف والمبرر للخوض في قضايا علم الكلام.

أما ما تشابه منه فالتأويل ضروري لتفادي التشبيه والتجسيم وفق قاعدة: المتأولون المخطئون في المسائل الكلامية مشركون، لذلك وضع الإباضية شروطا صارمة للتعامل مع النصوص يصل الى حد تكفير من يخالفها[1]، فباب التأويل ليس مفتوحا على مصراعيه اللهم إلا إذا انسد باب الأخذ بالظاهر، وإن كان ولابد فالأمر يقتضي الكفاءة المتأتية أولا من أسباب ذاتية: كسلامة الذهن، وأن يكون المتأول ثاقب النظر مدركا للعواقب، وأخرى موضوعية ككثرة السماع ومدارسة أهل النصائح من العلماء، حتى يكون على دراية عميقة بمصادر التشريع ومختلف العلوم المرتبطة بالتفسير كاللغة[2] وما تحمله من ثراء في دلالتها سواء منها النحوية والصرفية والبلاغية، كالمجاز الذي يقتضي التحول الدلالي في المعنى حسب السياق[3]، فضلا عن عدم المصادمة مع ما هو ثابت ومحكم في كتاب الله، وتمكنه من أساليب الاستدلال العقلي والنقلي، أما التأويل الباطني على طريقة الشيعة، والتفسير الحرفي الذي يوهم التشبيه في حق الله فمرفوضان جملة وتفصيلا.

1– أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي: التحف المخزونة في إجماع الأصول الشرعية، تحقيق حمزة بومعقل، دار الخلدونية، القبة، ط1، 2017، ص357–358. إلا أن كفرهم كفر نفاق لا كفر شرك، وهو حكم جماعي بين كل الفرق الإباضية ما عدى الحسينية والعمرية الذين ذهبا الى أن المتأول في صفات الله كافر مشرك والمتأول فيما دون ذلك كافر منافق، ينظر كذلك المبروك المنصوري، الفكر العقدي وأسس سيادة الإسلام، ص330.

2– أبو عمار عبد الكافي: الموجز، ج1، 422. بيير كوبرلي: مدخل الى دراسة الإباضية وعقيدتها، ص237، 445.

3– فرحات الجعبيري: البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، ج1، ص274.

ب- **تأويل المتشابه:**

التأويل: هو "إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية الى الدلالة المجازية من غير أن يخل في ذلك بعادة لسان العرب"[1]، وهو ضرورة لأجل تفادي التعارض بين ظاهر النص وصريح العقل[2] هذا في صورته النظرية، أم في صورته العملية فقد اتخذ شكلا أخر بإسقاط المعاني التي يحملها النص على الأحداث التاريخية أي استنطاق النص بما يتناسب مع اللحظة الزمنية والحدث الاجتماعي السياسي[3]، وهو ما جعل المسافة بين المؤولين تبتعد كثيرا بين متوسع ومقتصد انتصارا للمذاهب، خاصة اذا كانت مخالفة لجملة المقالات التي تؤمن بها فرقة ما.

قال الإباضية بتأويل الألفاظ التي وردت في القرآن التي توهم التشبيه والتجسيم، لأنه لو أخذت كما هي لوصف الله بما لا يليق، وهو ما يتنافى ومبدأ التنزيه المطلق لله عز وجل، ويؤدي ذلك الى مناقضة القرآن بعضه بعضا وهو ما يتنافى مع حقيقة كلام الله الذي لا يعتريه التناقض والكذب، إذ لو أخذت الآيات المتشابه على ظاهرها لخرجت الى أقبح القبيح من المقال مما لا يقبله أحد من الناس[4]، ولهذا لا بد أن يحمل على ما يسوغ في حكمة الله وعدله ومن صور ذلك الصفات الخبرية.

1- ابن رشد: فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الإتصال، تحقيق محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط3، 2002، ص97.

2- عدد الباحث مصطفى شريفي جملة من الأدلة التي تبيح التأويل منها: عدم التأويل يستلزم التشبيه، عدم التأويل يوقع في أمور لا يقبلها العقل، عدم التأويل يؤدي الى التناقض بين آيات القرآن، وفي نفس الموضع يسرد حجج الرافضين للتأويل مع الرد عليها ينظر: مصطفى شريفي: الأسماء والأحكام عند الإباضية، رسالة دكتوراه في العقيدة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2014/2013، ص310-311.

3- أحمد الإسماعيلي: النص والأرض وجدليات العلائق- علم الكلام الإباضي نموذجا-، ص354.

4- أبو عمار عبد الكافي: الموجز، ج1، 364-365.

الصفات الخبرية: تتفق الإباضية والمعتزلة تماما في ضرورة تأويل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي توهم التشبيه تجسيدا لمبدأ التنزيه المطلق وبنفس الحجج ومن نماذج ذلك:

العرش: قال الله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾[1] بمعنى العلم والحفظ والقدرة، وفي موضع آخر من القرآن ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[2] بمعنى استولى من الاستلاء والملك والحفظ والقدرة[3].

المجيئ: قال الله تعالى ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[4] بمعنى جاء أمره وثوابه وعقابه[5]، وقال تعالى ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ ﴾[6] أي أن يأتيهم أمره وقضاؤه فيفصل بينهم.

الساق: قال تعالى ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾[7] بمعنى يوم يكشف عن الأمر الشديد[8].

العين: وقال الله تعالى ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾[9] وقال تعالى ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾[1]، فالعين بمعنى الحفظ والعلم[2] وقد ترد بمعنى الجارحة حسب موضعها من

1- سورة طه: الآية 05.

2- سورة الأعراف: الآية 54.

3- أبو عمار عبد الكافي: المصدر السابق، ج1، ص372، 412. سليمان بن يخلف المزاتي: التحف المخزونة في اجماع الأصول الشرعية، ص519-520، هذا وقد خالف الأشاعرة هذا التأويل من منطلق أن الاستلاء يكون عاما في الأشياء كلها، أما الاستواء فيخص العرش دون الأشياء كلها، يقال استولى على الشيء إذا كان الشيء عصيا عليه قبل استيلائه عليه، وعرشه لم يكن ممتنعا عليه حتى يقال استولى عليه، ينظر: أبو الحسن الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق، ط1، 1990، ص98.

4- سورة الفجر: الآية 22

5- تبغورين بن عيسى الملشوطي: أصول الدين، ص92. أبو عمار عبد الكافي: المصدر نفسه، ج1، ص375-376.

6- سورة البقرة: الآية 210.

7 - سورة القلم: الآية 42.

8- سليمان بن يخلف المزاتي: التحف المخزونة في اجماع الأصول الشرعية، ص522. أبو عمار عبد الكافي: الموجز، ج1، ص384.

9 - سورة طه: الآية 39

الكلام، وقال تعالى ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾[3] ونقول زكاة العين أي المال المُزكى.

الوجه: قال تعالى﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾[4] بمعنى الذات فالوجه هو الشيئ نفسه، أي يبقى لله الوجود والمنزلة الرفيعة[5]، وقال تعالى﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾[6] فالعرب تقول وجهاء القوم بمعنى ذوو المكانة الرفيعة.

اليد: قال تعالى ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[7] أي بأمري وقدرتي وقال تعالى ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[8] بمعنى القدرة والغلبة[9] تأكيدا للمعنى الأول، وقد ترد بمعنى النعمة قال تعالى﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[10] يوافق هذا التأويل قول المعتزلة[11].

خالف الأشاعرة هذا التأويل بدليل أن أهل اللغة لا يجوزون هذا المعنى "فلا يخلو قوله تعالى ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ أن يكون معنى ذلك: إثبات يدين نعمتين، أو يكون معنى ذلك إثبات يدين جارحتين، أو يكون معنى ذلك إثبات يدين ليستا نعمتين ولا جارحتين ولا قدرتين ولا يوصفان إلا كما وصف الله ﷻ، فلا يجوز أن يكون معنى ذلك نعمتين، لأنه لا يجوز عند أهل اللسان أن يقول القائل: عملت بيدي وهو يعني نعمتي، ولا يجوز

1– سورة هود: الآية 37.

2– أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ص120.

3 – سورة المائدة: الآية45.

4– سورة الرحمن: الآية 27.

5– تبغورين بن عيس الملشوطي: أصول الدين، ص92–93. سليمان بن يخلف المزاتي: المصدر السابق، ص521.

6– سورة الروم: الآية 39.

7– سورة ص: الآية 75.

8 – سورة الفتح: الآية 10.

9 -تبغورين بن عيس الملشوطي: أصول الدين، ص89.

10– سورة المائدة : الآية 64.

11– تبغورين بن عيسى الملشوطي: المصدر السابق، ص90. سليمان بن يخلف المزاتي: التحف المخزونة، ص520. أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ص120، 284.

عندنا ولا عند خصومنا أن يعني قدرتين، وإذا فسدت الأقسام الثلاثة صح القسم الرابع وهو معنى قوله ﴿بِيَدَيَّ﴾ إثبات يدين ليستا جارحتين ولا قدرتين ولا نعمتين لا يصفان إلا بأن يقال: إنهما يدان ليستا كالأيدي خارجتان عن سائر الوجوه الثلاثة التي سلفت"[1] .

الجَنْبُ: قال تعالى ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾[2] أي في أمر الله[3] لأن الندم إنما يقع على ترك الأمور وارتكاب المناهي.

ج-الإختزال والوضوح:

مقولات علم الكلام الإباضي يطبعها الاختصار والدقة والوضوح، بعيدة عن التعقيد المصاحب كخصوصية للمقولات الكلامية للفرق الأخرى، باختيار الألفاظ المناسبة والجمل المختصرة وبأساليب مباشرة بغرض تسهيل استعابها وتيسير نشرها، وأحيانا في متون شعرية[4] لتسهيل حفظها على طلاب العلم، مراعاة للمستوى الثقافي في البيئة الإجتماعية ذات اللسان الأمازيغي[5]، خاصة إذا علمنا أن الكثير من كتابات الإباضية غرضها الأول تربوي تعليمي.

يهدف المنهج المعتمد في فهم النصوص الى التطبيق العملي للنصوص وإنزالها الى الواقع، هذا البعد العملي هو أساس بناء نظرتهم الى الدين، بعيدا عن التعمق

1- أبو الحسن الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، ص109. أبو يعقوب الورجلاني: الدليل والبرهان، ج1، ص46. ص46.

2- سورة الزمر: الآية 56

3- تبغورين بن عيسى الملشوطي: المصدر السابق، ص91. أبو عمار عبد الكافي: الموجز، ج1، ص390. سليمان سليمان بن يخلف المزاتي: المصدر السابق، ص521. هود بن محكم الهواري: تفسير كتاب الله العزيز، ج4، ص45.

4- قصيدة أبو النصر فتح بن نوح الملوشائي(ق7هـ/13م) المعروفة بالنونية وهي في أصول الدين نموذج.

5- بابا واعمر خضير بن بكير: الفكر العقدي الإباضي بالمغرب من بداية القرن الرابع هجري العاشر ميلادي الى نهاية القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي، رسالة دكتوراه، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2018/2017، ص136.

الفلسفي وصور العقلنة النظرية[1] كمسائل الطبيعة على نحو الجواهر والأعراض والحركة والسكون فهي ترف فكري لا يجدي نفعا، وإن كان هذا، فإننا لا ننفي عن بعض الكتابات خاصة عند المتأخرين أسلوب الطرح العميق المصاحب للتعقيد المشفوع بمقولات فلسفية في سياق الرد على بعض الفرق الكلامية، نلمس ذلك بوضوح مع أبي يعقوب الورجلاني(570م/1174م) وأبي عمار عبد الكافي(570م/1174م).

د- الحركية والوعي بطبيعة المرحلة:

لم تكن أساليب علم الكلام الإباضي قوالب جاهزة يمكن الرجوع إليها متى احتيج الى ذلك، بل على العكس من ذلك إذ نجد علماء الكلام الإباضية ما فتئوا يغيرون من مواضيع البحث وأساليب الرد حسب الحاجة، تأقلما مع ما يستجد على الساحة الفكرية والسياسية وما يطغى عليها من محاور الإهتمام، فيكون لكل مقام مقال، حسب الزمان والمكان فقد كان القرن الثالث الهجري لمقالة خلق القرآن والرابع للصفات والخامس لمقالة الرؤية وهكذا، وتعبر مراحل تطور علم الكلام الإباضي عن هذه الخاصية فيما سيأتي ذكره.

3- مراحل تطور علم الكلام الإباضي:

ارتبط تطور علم الكلام الإباضي بعدة عوامل متنوعة، فكثيرا ما كانت الأوضاع السياسية والتقلبات الاجتماعية منتجة للمقالات الكلامية وموجهة لها، سواء في المشرق أو المغرب، وكثيرا ما كان التفاعل الثقافي بين مختلف المكونات الدينية عن طريق التأثير والتأثر تارة بالصراع الفكري وتارة آخرى بالتسامح والاحتواء، دون إغفال الجانب الاقتصادي خاصة في مظهره التجاري الذي عرف به الإباضيون، فهو يحتم عليهم اللقاء مع الآخر والانفتاح عليه، خاصة وأن الإباضيين بعد سلسلة الهزائم العسكرية المتتالية

---

[1]- مبارك بن عبد الله الراشدي: الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي وفقهه، مطابع الوفاء، المنصورة ط1، 1993، ص154.

مالوا الى الانعزال والانطواء بغية المحافظة على روح المذهب في مناطق على حافة الصحراء ذات المناخ والتضاريس الصعبة حيث ساعد هذا النشاط الاقتصادي في التخفيف من حدة التقوقع والانغلاق وساهم في الانفتاح على الآخر، وهو تحدٍ آخر يضطرهم الى تطوير مقالاتهم.

ومن هنا يمكن تمييز عدة مراحل لتطور الكلام الإباضي ببلاد المغرب[1]، لا تبتعد كثيرا في إطارها العام عن منحى تطور علم الكلام ببلاد المغرب الإسلامي الى غاية نهاية القرن السادس الهجري، الذي يمثل نهاية الدور الحضاري الثاني للأمة الإسلامية[2]، ويمكن أن نميز فيه ثلاثة أوضاع ثقافية: وضع **الانتشار** الى غاية نهاية القرن الأول الهجري، ثم وضع **السيادة** الى غاية منتصف القرن الخامس هجري، والوضع الثالث هو وضع **الاستمرار** الى غاية نهاية القرن السادس هجري[3]، ليدخل بعدها في مرحلة أخرى هي مرحلة الغريزة.

-المرحلة الأولى:

تبدأ من صدور رسالة عبد الله بن إباض(67هـ/686م) التي تمثل الأسس الأولى للمقولات الإباضية من منتصف القرن الأول الهجري الى غاية تأسيس ثاني إمامة الظهور ببلاد المغرب بزعامة عبد الرحمن بن رستم(171هـ/ت788م)، وهي مرحلة النشأة بتعبير الدكتور فرحات الجعبيري، وأطلق عليها الدكتور المبروك المنصوري مرحلة

1- فرحات الجعبيري: البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، ج2، ص766.

2- مالك بن نبي: شروط النهضة، ترجمة عمر كمال مسقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط4، 1987، ص70.

3- المبروك المنصوري: الفكر الإسلامي في بلاد المغرب، تشكله وتطوره وانتشاره، ص13.

الانتشار[1]، ما يميز هذه المرحلة هو بداية استقرار المواقف الفقهية والعقدية الإباضية في المشرق، أما عن هذه المواقف في بلاد المغرب في هذه المرحلة فهي امتدادا طبيعي للمقولات العقدية الإباضية في المشرق بفعل التبعية الثقافية والفكرية لشيوخ المشرق[2].

تميزت هذه المرحلة بالخلط بين القضايا العقدية والنوازل الفقهية، وهو أمر طبيعي في مراحل نمو الأفكار الدينية وتطورها، إذ كانت الآراء العقدية بسيطة تكاد تقتصر على مبادئ قليلة واضحة تستجيب لمتطلبات المرحلة كتبرير للاختيارات السياسية وكشروط للانتماء الى المذهب، حيث كان اهتمام الإباضية في هذه المرحلة إقامة إمامة الظهور يغلب على الإهتمام ببلورة فكرهم الديني، فرغم أن هذه الفترة كانت حافلة بالأحداث السياسية والعسكرية بالنسبة للإباضية ببلاد المغرب الإسلامي إلا أن حظها الفكري لم يكن كذلك[3].

من أهم تلك المسائل هوية المؤمن والكافر والحدود الفاصلة بينهما، مصير المذنب في اليوم الآخر، والإمامة وشروطها بعد نضج مواقفهم السياسية من السلطة المركزية وهو ما أفرز التصنيف القائم على مبدأ الولاية والبراءة[4]، وهو ما يجسد في الأخير الموقف من المخالف وكيفية التعامل معه، مع شيء من مسائل القضاء والقدر في الفترة الأخيرة لهذه المرحلة[5] لا يتعدى الفصل فيها الى التأويل العقلي والتفلسف النظري، وإنما

---

[1]- المبروك المنصوري: المرجع نفسه، ونفس الصفحة. فرحات الجعبيري: البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، ج2، ص766. وإن كانا يتفقان من حيث التحقيب الزمني، إلا أن الباحث المبروك المنصوري لا يفرد هنا الفكر الإباضي عن غيره في دراسة تطور الفكر المغربي بصفة عامة.

[2]- عمرو خليفة النامي: دراسات عن الإباضية، ص143. المنصف قوجة: تاريخ الإباضية الديني والسياسي، ص85.

[3]- المنصف قوجة: تاريخ الإباضية الديني والسياسي، ص88.

[4]- بيير كوبرلي: مدخل الى دراسة الإباضية وعقيدتها، ص248.

[5]- لطيفة البكاي: حركة الخوارج نشأتها وتطورها الى نهاية العهد الأموي، ص225.

الاكتفاء بظاهر النصوص القرآنية والروايات النبوية، إذ لا نكاد نجد جدلا كلاميا في غير هذه المسائل[1] اعتبارا من تركيز جهودهم على العمل السياسي والعسكري.

- المرحلة الثانية:

تبدأ هذه المرحلة من منتصف القرن الثاني الهجري الى النصف الأول من القرن السادس الهجري، وبالضبط الى غاية حوصلة تبغورين بن عيسى الملشوطي(ق6هـ/12م) العقيدة الإباضية في كتاب "الجهالات"، عرفت هذه المرحلة تبلور واستقرار معظم المواقف الدينية العقدية والفقهية الإباضية[2]، يسميها الدكتور فرحات الجعبيري مرحلة النضال، برزت فيها أولى التصنيفات العقدية الإباضية كرسالة محمد بن أفلح(ت281هـ/894م) في خلق القرآن، وكتاب "الدينونة الصافية" لعمروس بن فتح(283هـ/896م)، وكتاب الرد على جميع المخالفين ليغلا بن زلتاف(380هـ/990م)، ثم كتاب "التحف المخزونة" لأبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي(ت471هـ/1078م)، وهو ما أهل بلاد المغرب الإسلامي لأن تتحول الى مركز الثقل الديني الإباضي بدل بلاد المشرق.

تعبر هذه المرحلة عن واقع فكري جديد يقتضي من إباضية المغرب التكيف معه، خاصة مع تواجد المعتزلة بالقيروان والمغرب الأوسط فاستثمروا في الكلام المعتزلي، وبدخول الشيعة الى بلاد المغرب عرف الصراع الفكري مقالات جديدة لم يألفها رجال الفكر في بلاد المغرب، مما ساهم في ثراء الحياة الفكرية وهو ما انعكس ايجابا على تطور علم الكلام، وتدعم هذا الثراء ببداية تسرب المقالات الأشعرية الى بلاد المغرب الإسلامي، هذا التنوع العقدي فتح المجال واسعا أمام الجدل فكري ويشجع على البحث العقلي، ما فتئت تظهر نتائجه عند الإباضية على مستوى تناول المسائل الكلامية من

1- المرجع نفسه، ص249.

2- عمرو خليفة النامي: دراسات عن الإباضية، ص143. المنصف قوجة: المرجع السابق، ص13.

حيث العمق والدقة في الطرح، والوفرة في استخدام الأساليب العقلية في التحليل والتركيب والاستنتاج، واتجهوا الى تعميق صياغتهم الذاتية لمقالاتهم العقدية بالرد على جميع المخالفين[1].

ويغلب على هذه المرحلة الطابع التربوي التعليمي للمحافظة على المذهب بفعل ما عرفته التجمعات الإباضية فترة المرحلة من حملات عسكرية لم تترك لهم الفرصة الكافية لجمع الأنفاس وبلورة الآراء[2]، بل كانوا مضطرين للدفاع عن آرائهم وتدوينها، وهو ما يبرر التفاوت في اجتهاداتهم الكلامية بالمقارنة مع المتكلمين الآخرين كالمعتزلة والأشاعرة.

- **المرحلة الثالثة:**

تبدأ من منتصف القرن الخامس الى القرن السابع هجري، توافق هذه المرحلة بروز أهم المؤلفات الكلامية ككتابات أبي عمار عبد الكافي(570م/1174م) وأبي يعقوب الورجلاني(570م/1174م)، وهي مرحلة النضج والذروة[3] من حيث نوعية الإنتاج الفكري وجودته.

تميزت هذه المرحلة بمراجعة جميع المقالات والتعمق فيها، واتخذ الجدل في المسائل العقدية بعدا ميتافيزيقيا فلسفيا، إذ يلاحظ في هذه المرحلة اختلاط مسائل علم الكلام بالمباحث الفلسفية، خاصة وأن بلاد المغرب الإسلامي عرفت في هذه الفترة انفتاحا كبيرا على العلوم العقلية مع الموحدين الذين أنزلوا الكلام من مستوى النخبة الى مستوى العامة، وأصبحت القضايا الكلامية محل تداول في المقررات الدراسية، وانتفى عنها طابع المنع والتحريم الذي ساد زمن المرابطين، وكما هو معلوم أن أبا يعقوب

1- المبروك المنصوري: الفكر التشريعي وأسس استمرار الإسلام، ص33.

2- أنظر الفصل الثالث المبحث الأول من البحث.

3- عمرو خليفة النامي: دراسات عن الإباضية، ص225. فرحات الجعبيري: البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، ج2، ص766.

الورجلاني كانت له سفرية الى بلاد الأندلس ونال من حضارتها ما جعله يبدع في التنظير للكلام الإباضي والحال نفسه مع أبي عمار عبد الكافي، الذي تلقى تكوينه العلمي بتونس وهي يومئذ إحدى العواصم الثقافية للموحدين ثم للحفصيين، وهو لا يقل عن متكلمي المعتزلة والأشاعرة في الإحاطة بمذهبه والدفاع عنه[1].

يمثل الإنتاج الفكري لعلماء هذه المرحلة المرجع الأساسي لجميع الأعمال التي لحقتها، وفلا نكاد نجد بعدها إلا ترديدا لمقالاتهم عن طريق الشروح والحواشي أو الاختصارات والاكتفاء بإعادة ترتيب المؤلفات سابقة.

[1]- عمار طالبي: آراء الخوارج الكلامية، ج1، ص219.

4- الجدل الكلامي في الأصول:

1-**التوحيد:** المبدأ الأول عند الإباضية هو التنزيه اعتمادا على القرآن واستدلالات العقل السليم[1] باعتباره أساس الدين، متأثرين في ذلك بالمعتزلة الذين أطلق عليهم أهل التوحيد، وإن اتفقت كل الفرق في ذلك للوصول الى غاية التنزيه، إلا أنها تختلف عن بعضها في فهم مسائله، وفُرع هذا المبدأ الى ثلاثة فروع تجسد مجتمعة غاية التوحيد وهي: مسألة الصفات، خلق القرآن، الرؤية.

أ-**الأسماء والصفات:** يعتبر الإباضية أن أسماء الله غير مخلوقة وصفاته غير محدثة قديمة قدم الذات على التفصيل التالي:

فمعتقد الإباضية في الصفات هو: صفات الذات التي يتصف بها الله عز وجل ولا يتصف بضدها وهي الصفات السبع: الحياة والعلم والقدرة والإرادة والكلام والسمع والبصر، وصفات الفعل تجامع ضدها في الوجود هي التي يمكن أن يتصف الله بضدها كالحب والبغض، السخط والرضى[2].

صفات الذات: الحياة، العلم، والقدرة، والإرادة، والكلام، والبصر، والسمع، فالله عالم بذاته وسميع بذاته بصير بذاته ومريد بذاته وحي بذاته ومتكلم بذاته وقدير بذاته، فذاته

1- تكاد المصادر الإباضية الكلامية تتشابه في أسلوبها في عرض المسائل الكلامية، تستهل كتاباتها بإثبات وجود الله وحدانيته وتنزيهه عن التشبيه بخلقة، والرد على المنكرين لحدوث الأشياء كالدهريين والملحدين على اختلاف فرقهم ونحلهم، ينظر مثلا كتاب الموجز لأبي عمار عبد الكافي، يكاد يخصص الجزء الأول كله من كتابه لذلك وكذلك أبو يعقوب الورجلاني: الدليل والبرهان، ج1، ص60-66. وكذلك تبغورين بن عيسى الملشوطي: أصول الدين، ص77. أبو سهل يحيى بن ابراهيم الورجلاني: العقيدة في علم التوحيد، تحقيق بيير كوبرلي، مجلة الكراسات التونسية، العدد121-122، الثلاثي الثالث والرابع، 1982، ص41-94. والعدد123-124 الثلاثي الأول والثاني، 1984، ص55، 119.

2- ناصر بن سالم البهلاني: العقيدة الوهبية، تحقيق صالح القنوبي وعبد الله القنوبي، مكتبة مسقط، عمان، ط5، 2004، ص132-133، 140. هذا الرأي كان مرحليا، فقد ورد اختلاف بين الإباضية في المسألة فهناك من يعتبر أن الكلام صفة فعلية والسخط والرضا صفات ذاتية، ينظر تفصيل ذلك فيما سيأتي.

وصفاته شيء واحد صفات الله عين ذاته، تحرزا من تعدد القدماء وتجزئ الذات الإلهية وزيادة الصفات على الذات يستلزم تعدد القدماء[1]، فلا يقال عالم بعلم أو مريد بإرادة زائدة عن ذاته، وهو مذهب الأشاعرة الذين جعلوا الصفات مغايرة للذات وهي قديمة قدم الذات الإلهية.

وحجة الإباضية في ذلك قائمة على البرهان بالخلف[2]، فلما كانت الصفات هي عين الذات فهي قديمة وليست معاني زائدة عن الذات، ولا يمكن أن تكون محدثة، فلو كانت كذلك أي محدثة لتصف بضدها قبل حدوثها، كالعجز قبل القدرة والجهل قبل العلم، وهذا محال في حق الله ومؤداه في الأخير هو الشرك[3]، وهو موقف المعتزلة باعتبار أن الصفات ماهي إلا أحوال للذات، فمعنى أن الله قادر أنه حي، ومعنى أنه حي أنه قادر إن الله عالم بعلم هو هو، وهو قادر بقدرة هي هو، وهو حي بحياة، هو هي ... الخ"[4].

أما موقف الأشاعرة فالصفات مغايرة للذات، بحجة أنه إذا كانت الصفات هي عين الذات يلزم من ذلك أن العلم هو القدرة وكذا الحال في سائر الصفات، واختلاف المعاني واضح، وعليه فالصفة تحمل معنى معين أو لا تكون كذلك، فإن كانت بلا معنى فقد

1- أبو يعقوب الورجلاني: الدليل والبرهان، ج1، ص53،65. مصطفى شريفي: الأسماء والأحكام عند الإباضية، ص296-301.

2- البرهان بالخلف نوع من أنواع الاستدلال المنطقي يقوم على اثبات بطلان نقيض المسألة مما يستلزم صحتها.

3- أبو عمار عبد الكافي: الموجز، ج1، ص429-430. ج2، ص187. أبو يعقوب الورجلاني: الدليل والبرهان، ج1، ص65،71. أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي: التحف المخزونة، ص374. أبو سهل يحي الورجلاني: العقيدة في علم التوحيد، ص54-56. فرحات الجعبيري: البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، ج1، ص238.

4- علي سامي النشار: نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام، دار المعارف، القاهرة، دون تاريخ، ط9، د ت، ج1، ص453.

وضعتم الله بلا معنى[1]، وكان رد الإباضية أن اللغة تجيز إطلاق بعض الأسماء على بعضها الأخر كقولنا الله العدل ومختلف أسمائه الحسنى[2].

هذا وقد كان الصراع الفكري بين الإباضية والأشاعرة خلال القرن الخامس السادس هجريين وجيها في المسألة، فقد أفرد أبو يعقوب الورجلاني فصلا في كتاب "الدليل والبرهان" يعدد نقاط الإختلاف مع الأشاعرة في المسألة بعد أن رسخ الأشاعرة وجودهم ببلاد المغرب، ووصول أفكارهم الى ورجلان من خلال تبني علماء المالكية المقالات الأشعرية وأسلوبهم في الرد على الفرق الأخرى[3].

وكثيرا ما رميت الإباضية بالتعطيل على شاكلة المعتزلة، وإن كان فهمهما يتجه نحو التنزيه، إلا أن نفي الإباضية للصفات هو إنكار لوجودها الفعلي المماثل لوجودها عند المخلوقات، بل وجودها وجود اعتباري يقصد بها نفي أضدادها عن الله، بمعنى أن الله وصف بها نفسه ليعلمنا أن أضدادها منفية عنه.

- **صفات الفعل:** لا يمكن حصرها تشتق من الأسماء وهي قديمة أزلية غير مخلوقة، "لأن الله قد كان ولا لفظ ولا خبر لم يستحدث اسما ولا صفة وإنما أحدث الأخبار والمعارف ليدل على نفسه"[4] وبهذا فأسماء الله غير مخلوقة أما الألفاظ والأخبار عنها فهي مخلوقة، "فلم يدل شيء من كتابه على أن أسماءه مخلوقة"[5]، والله قد أخبر

1- أبو يعقوب الورجلاني: الدليل والبرهان، ج1، ص68. عبد المجيد بن حمدة: المدارس الكلامية بإفريقية الى ظهور الأشعرية، ص92.

2- أبو يعقوب الورجلاني: المصدر السابق، ج1، ص69.

3- أبو يعقوب الورجلاني: المصدر نفسه، ج1، ص52-54. الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، ج2، ص320. المبروك المنصوري: الفكر الإسلامي في بلاد المغرب الإسلامي تشكله وتطوره وانتشاره، ص285.

4- أبو خزر يغلا بن زلتاف: الرد على جميع المخالفين، تحقيق عمر خليفة النامي، نص مرقون، ص14.

5- أبو خزر يغلا بن زلتاف: المصدر نفسه، ص25. أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي: التحف المخزونة، ص104.

عن ذاته فقال﴿ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾[1] فإن كان غير ذاته أي أن الله ليس هو الرحمن الرحيم فهو معارضة صريحة للقرآن، وقال تعالى﴿ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾[2] وقال﴿ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾[3] فإن كان الله غير المعبود يكون قد أمرهم بعبادة غيره وقد أمرهم بعبادة المخلوق باعتبار أن اسم الله مخلوق[4]، وبهذا وهو موقف اباضية المغرب[5] أما المشارقة وأهل جبل نفوسة فيعتبرون صفات الأفعال محدثة[6]، فصفات الذات تتجه نحو القدم أما صفات الأفعال فتتجه نحو الحدوث (المستقبل)[7].

1- سورة الحشر: الآية 22.

2- سورة الأعراف: الآية 59.

3- سورة طه: الآية 14.

4- أبو خزر يغلا بن زلتاف: الرد على جميع المخالفين، ص14.

5- أبو خزر يغلا بن زلتاف: المصدر نفسه، ص15. أبو عمار عبد الكافي: الموجز، ج2، ص193.

6- اختلف إباضية المغرب عن المشرق في مسألة قدم الصفات الفعلية، فاعتبرها المشارقة محدثة فنقول كان الله ولم يحب ولا يبغض ولم يرحم ولم يعذب ولا نقول كان الله ولم يعلم ولم يقدر، أي أن الله قبل الخلق والرزق لم يكن خالقا ورازقا فلا يتصف بأنه فاعل لذلك في الأزل وإنما يتصف بفعله متى وقع الفعل، في حين ذهب المغاربة الى أن صفات الله كلها قديمة أزلية فيقال في شأن الصفات الذاتية لم يزل الله عالما بما كان قبل أن يكون، وقادر على إيجاد ما سيوجد قبل أن يوجد، أما في شأن الصفات الفعلية فالله خالق في الأزل على معنى سيخلق ورازق في الأزل على معنى سيرزق أي أن الله يوصف بالخلق والرزق قبل أن يخلق ويرزق وهكذا. ينظر، أبو يعقوب الورجلاني: الدليل والبرهان، ج3، ص 25-26. أبو سهل يحي الورجلاني: عقيدة في علم التوحيد، ص56. فرحات الجعبيري: البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، ج1، ص245-247. ناصر بن سالم البهلاني: العقيدة الوهبية، ص134-138. دليلة خبزي: الآراء الكلامية لأبي يعقوب الورجلاني، مكتبة مسقط، سلطنة عمان، ط1، 2009، ص195. بيير كوبرلي: مدخل الى دراسة الإباضية وعقيدتها، ص229.

7- وتجدر الإشارة هنا كذلك الى اختلاف إباضية المغرب والمشرق حول بعض الصفات باعتبارها صفات ذات أو صفات فعل، مثل السخط والرضا والولاية والعداوة اعتبرها إباضية المشرق وأهل جبل نفوسة أنها صفات فعل باعتبار آثارها ويقال فيها إن الله راض في الأزل بمعنى سيرضى فيما لا يزال، وقد أورد الوسياني في شأن اتفاقهما أن الشيخ نصر بن سجميمان النفوسي سافر الى الحج مع صاحب له من الجبل حتى وصلا مكة فصادفا فيها جماعة من أهل عمان وأهل حضر موت فسألا من ينسب إليه العلم منهم من السخط والرضى أي شيء هما؟ فقال: هما أفعال الله، فقال النفوسي صاحب نصر لنصر: أمسك أنت، يعني أن أهل عمان وافقوهم على مقولتهم، وذكر الدرجيني بما يدعم هذا الإختلاف أن ابن أبي وزجون سافر من مزاته الى نفوسة وفيها سئل عن السخط والرضى فقال: إنها صفات الله يعني بذلك ذاتية، فعاتبوه على جوابه وطردوه، فأكمل طريقه الى الحج، أما عند أهل المغرب(إباضية المغرب الأوسط وإفريقية) فهي صفات ذات بدليل عقلي، إن الحي مرتبط بصفات هي العلم والقدرة والإرادة، فلن يستقيم الفعل من الحي

مذهب الإباضية في الصفات كان وسطا بين النفي والإثبات، فلا يثبتون أنها مخلوقة محدثة حتى يتفادوا الصفات السلبية في حق الله كالعجز قبل القدرة والجهل قبل العلم، ولا ينفونها حتى لا يكونون من المعطلين وهو مذهب المعتزلة في الصفات.

ب-خلق القرآن:

من أهم المسائل الكلامية التي كثر فيها الجدل بين الفرق حتى أصبحت شعارا يعرف بها المخالف، وهي مقالة القرن الثالث هجري في بلاد المغرب الإسلامي بامتياز[1]، سواء عند المالكية أو الإباضية والمعتزلة، وهي في الأصل صناعة معتزلية اعتبرت هوية لهم بها يُعرفون ويُتميزون بها، روجوا لها ودافعوا عنها بغلبة السلطان.

كان موقف إباضية المغرب الإسلامي من المسألة موقفا موحدا واضحا وصريحا على أن القرآن مخلوق ولا اختلاف بينهم منذ أن أصدر أبو اليقظان محمد بن أفلح(ت283هـ/896م) رسالته في خلق القران[2]، شرح فيها بنوع من التفصل موقف

حتى يكون عالما قادرا مريدا كارها راضيا ساخطا فإن خرم الرضى والسخط خرمت الصفات السابقة، أما الدليل النقلي قوله تعالى﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ { سورة الفتح: الآية 18} وقوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾{ سورة البقرة: الآية 222} وقوله تعالى﴿ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾{ سورة المائدة: الآية 80} ، ينظر، الوسياني: سير، ج2، 642-643، أبو يعقوب الورجلاني: الدليل والبرهان، ج3، ص10، 17–24. أبو عمار عبد الكافي: الموجز، ج2، 197–205. معجم مصطلحات الإباضية، قسم المغرب، ج1، ص430.

1– المبروك المنصوري: الفكر العقدي في بلاد المغرب الإسلامي، ص130، 169.

2– أنظر نص الرسالة في كتاب الجواهر المنتقاة فيما أخل به كتب الطبقات للبرّادي، ص182–201. وتجدر الإشارة هنا الى تذبذب موقف إباضية المشرق من مسألة خلق القرآن، إذ لم يحسموا أمرهم في المسألة على الأقل حتى عصر أبي يعقوب الورجلاني(570هـ/1174م)، ولعل سؤال أبي يعقوب في رحلته الى بلاد المشرق من أجل الحج أحمد الحضرمي عن المسألة يوحي فعلا أن المسألة لم تحسم وقد أجابه أحمد الحضرمي: "إن أهل عمان يقولون أنه غير مخلوق، فيما يقول أهل شرق أباض أنه مخلوق، أما بالنسبة لنا فإننا بين بين لامع هؤلاء ولا مع الأخرين"، وكانت المسألة محل خلاف منذ القرن الثالث هجري حين اجتمع مشائخ الإباضية بعمان للحسم في المسألة ولم يتوج هذا الإجتماع برأي موحد، قال أبو يعقوب الورجلاني" القرآن غير مخلوق، وهو قول أهل عمان وأهل شرف الإباض يقولون : أنه مخلوق، وأهل حضر موت بين بين لا يطلقون القول، أنه مخلوق ولا غير مخلوق"، ينظر: الوسياني،

الإباضية من المسألة، وما كان من اجتهادات علماء الإباضية من بعده إلا ترديد وامتداد لمضمون هذه الرسالة مع بعض التفصيلات الإضافية.

يري الإباضية أن القرآن مخلوق بعدة حجج:

لا يخلو أن يكون القرآن شيئا أولا شيء، وإذا كان كذلك لبطل أن رُسل الله عليهم الصلاة والسلام أن جاءت بشيء، ومن ثم يبطل أن يكون هناك توراة وانجيل أو قرآن، وعليه فهو شيء محدث مخلوق والله خالق كل شيء، وإذا كان كذلك لا يخلو أن يكون هو الله أو يكون بعض الله أو أن يكون غير الله، فإن قيل هو الله كانوا كالنصارى الذين يزعمون أن عيسى عليه السلام هو الله، يلزم من ذلك أن الكلام هو المعبود فيكون هو السميع والقادر والباعث.

وأما الاحتمال الثاني فباطل كذلك فلا يلحق بالله التجزئة والتبعيض، لأن من وصف بذلك فلابد له من مجزأ ومبعض وهو محال في حق الله جل جلاله وعليه لم يبق أمامنا إلا الاحتمال الثالث هو غير الله[1]، قال تعالى﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ ﴾[2] والمحدث لم يكن ثم كان هو المخلوق قال تعالى﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[3] والجعل بمعنى الخلق، والجاعل غير المجعول يكون قبله متقدم عليه، فالكلام غير المتكلم فهما متغايران يسبق أحدهما الأخر وفي اثبات ذلك يعني الحدث الأول والقدم للثاني[4].

سير، ج2، ص 642-643، أبو يعقوب الو رجلاني: الدليل والبرهان، ج3، 202–203. مسلم بن ساعد الوهبي: آراء الإمام محمد بن محبوب الكلامية، ص160. عمرو خليفة النامي، المرجع السابق، ص183–184.

1– البرّادي: الجواهر المنتقاة، ص184.

2– سورة الأنبياء: الآية2. وقد رد الأشاعرة على أن الذكر الوارد في الآية المقصود به كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ووعظه، ينظر: أبو الحسن الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، ص94.

3– سورة الزخرف: الآية3 . قال أبو الحسن الأشعري "الله أنزله وليس مخلوقا"، وقد أمرنا الله جل جلاله أن نستعيذ به وهو غير مخلوق، وأمر أن نستعيذ بكلمات الله التامة، وإذا لم نؤمر أن نستعيذ بمخلوق من المخلوقات، وأمرنا أن نستعيذ بكلام الله فقد وجب أن كلام الله غير مخلوق. ينظر: أبو الحسن الأشعري: المصدر السابق، ص95–96.

4– البرّادي: المصدر السابق، ص187–188. أبو يعقوب الورجلاني: الدليل والبرهان، ج1، ص82، 98.

قال تعالى﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[1] والمنزول لا يكون في القديم أو الأزل قبل وجود من أنزل إليه القرآن، قال تعالى﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾[2] فقد أخبر القرآن أن التوراة والإنجيل قبل القرآن وما يجري عليه الزمان يكون مخلوقاً محدثا[3].

القرآن عند الإباضية مؤلف من حروف وكلمات، محتاج بعضها الى بعض حتى تتشكل الكلمات والجمل وهي مقروءة ومسموعة، وتوجد بين أيدينا نقرأها بألسنتنا ونسمعها بآذاننا[4]، مما يدل على أن ذلك كله من المحسوسات والمحسوس مخلوق ما هو كذلك، يكون حادثا مخلوقاً، لأنه مركب من حروف وأصوات، وبالتالي فالقرآن كلام الله المخلوق الذي أحدثه تعالى في زمان ومكان معينين، ولو كان غير ذلك "لكان قديما ـ وهو موقف الأشاعرة ـ والله قديم لكانا قديمين وإن كان قديمين كانا مثالين، لأن الاشتراك في أخص الصفات يوجب الاشتراك فيما عداه"[5].

والقرآن في محتواه أوامر ونواه، محكم ومتشابه، ناسخ ومنسوخ، فهو متغاير وما جرى عليه التغاير يجري عليه العدد، وما يجري عليه العدد فهو غير الواحد، فالنهي والأمر والنسخ لا يكون إلا في ما هو مخلوق وحادث[6].

1– سورة القدر : الآية 1.

2– سورة آل عمران: الآية 03.

3– البرّادي: الجواهر المنتقاة، ص195. أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي: التحف المخزونة، ص329. تبغورين بن عيسى الملشوطي: أصول الدين، ص190. أبو يعقوب الورجلاني الدليل والبرهان، ج1، ص83، 97.

4– البرّادي: المصدر السابق، ص185.

5– أبو يعقوب الورجلاني: المصدر السابق، ج1، ص97–98. أبو يعقوب الورجلاني: العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والإختلاف، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1984، ج1، 35–36.

6– البرادي: المصدر السابق، ص196. أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي: المصدر السابق، ص329. أبو يعقوب يعقوب الورجلاني: الدليل والبرهان، ج1، ص97.

وحتى يتجنب الإباضية التناقض مع موقفهم في الصفات الذاتية باعتبارها قديمة ولا تحتمل ضدها، يرون أن كلام الله هو تدبيره وفعله وليس بصفة في ذاته، لأن صفة الكلام لا تنفي الضد فالله متكلم ولكنه يمكن أن يكون من لم يتكلم ساكتا، ولا يعني ذلك أنه أخرس[1]، فصفة الكلام ليست كصفة العلم والقدرة، فمن لم يكن عالما فهو جاهل ومن لم يكن قادرا كان عاجزا، ومن لم يكن متكلما كان ساكتا لا أخرس، وهو خطأ الأشاعرة حسب أبي يعقوب الورجلاني، حين اعتبروا صفة الكلام صفة ذاتية فقالوا القرآن ليس مخلوقا[2]، فاللائق أن تقول ما أحسن كلام الله وأحكمه وما أحسن خلق الله وأتقنه، ولا تقول ما أحسن بقاء الله وما أحسن قدمه ولا ما أحسن قوته[3].

ومن ثم يمكن تقسيم كلام الله الى مستويين: كلام الله كصفة ذاتية تنفي الخرس على الله، وهو قديم قدم الذات الإلهية والثاني كصفة فعل تعني خلقه تعالى للحروف والألفاظ الدالة على كلامه وهو مخلوق[4]، فصفة الكلام تحمل معنيين صفة ذاتية باعتبار وصفة فعلية باعتبار، وهو تصنيف جديد للصفات الإلهية عند الإباضية بعدما تبين لديهم أن التصنيف القديم لا يفي بالغرض[5].

---

[1]- أبو يعقوب الورجلاني: الدليل والبرهان، ج1، ص72.

[2]- قام الأشاعرة بتقسيم كلام الله لدلالتين: الأولى: تتمثل في الصوت والحرف بمعنى المقروء، أي المحسوس كصوت الإنسان عندما يقرأ كلام الله وينطق بحروفه، فإن هذه الدلالة، المقروء مخلوق حادث، كما قالت الإباضية والمعتزلة. والدلالة الثانية تتمثل فيما يسمى الكلام النفسي أو المعنى النفسي، الذي لا يتشكل من الصوت والحرف، وإنما يتشكل من المعنى القائم بذات القارئ (كتأمل الإنسان في المعاني عند القراءة)، فإن هذا المعنى النفسي الذي يتأمله ويستخلصه الإنسان عند القراءة من الآيات، فهو قديم، بمعنى أن الله تعالى عالم بمعاني القرآن منذ الأزل، أي قبل أن يوجد القرآن. ينظر: الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص108.

[3]- البرّادي: الجواهر المنتقاة، ص192.

[4]- السالمي أبو محمد عبد الله بن حميد: مشارق أنوار العقول، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1989، ج1، ص344.

[5]- فرحات الجعبيري: البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، ج1، ص248-249.

واضح من نص الرسالة أنها رد على المالكية ممن يقول بعدم خلق القرآن، خاصة بعد تولي سحنون بن سعيد(ت240هـ/854م) القضاء للأغالبة وتفريقه لأصحاب الفرق والمذاهب من جامع القيروان واعتبر أصحابها أهل بدعة، وكان من جملتهم الإباضية[1]، ففي آخر رسالته يشير الى موقفهم من الخوض في مسائل علم الكلام وتبديع أصحابه، فينكر عليهم ذلك ويعتبرهم ضالين يلبسون على العامة الحق ويحجبونه عنهم[2]، ثم كانت الرسالة مرجع جميع علماء الكلام الإباضية بالمغرب الإسلامي في التأصيل للمسألة والرد على المخالفين، خاصة الأشاعرة بعد أن استحسن المالكية أسلوبهم في الدفاع عن المسائل الإيمانية.

ج- **رؤية الله:**

لم تكن مقالة الرؤية مقالة رئيسية في جدل المغاربة حتى نهاية القرن الرابع هجري[3]، إذ لا نجد للمسألة أثرا في المؤلفات الإباضية المصنفة في هذه الفترة ككتاب "الدينونة الصافية" لعمروس بن فتح(283هـ/896م) وكتاب "بدء الإسلام وشرائع الدين" لابن سلام الإباضي(283هـ/896م)، وإن كانت المصادر المالكية تتحدث عن المسألة بإسهاب بداية من القرن الثالث هجري في ظل الصراع الفكري الذي كان بين المعتزلة والمالكية، خاصة ما كان من تناظر بين أسد بن الفرات(ت203هـ/818م) وسليمان بن حفص الفراء(ت269هـ/882م) المعتزلي[4].

يعتبر الجدل حول مقالة الرؤية في بلاد المغرب جدلا أشعريا إباضيا بامتياز، باعتبار أن المعتزلة والشيعة وافقوا الإباضية تماما في المسألة، والتأصيل لهذه المسألة

1- القاضي القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج1، ص347-348.

2- البرادي: الجواهر المنتقاة، ص199.

3- المبروك المنصوري: الفكر العقدي وأسس السيادة في الإسلام، ص120، 130.

4 - المالكي: رياض النفوس، ج1، ص265. للتفصيل أكثر أنظر فصل المناظرات من البحث.

كان مع أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي(ت471هـ/1078م)، ثم مع تبغورين بن عيسى الملشوطي(ق6هـ/12م) بنوع من التفصيل[1]، وهو ما يتقاطع مع انتشار الفكر الأشعري في بلاد المغرب.

يرى الإباضية أن رؤية الله يوم القيامة غير ممكنة اعتبارا أن الرؤية تستلزم إثبات حد على الله كالتحيز والتجسيم وهو تشبيهه بخلقه[2]،وهذا محال في حق الله ﷻ، هذا ردا على المالكية ومن بعدهم الأشاعرة الذين كانوا يستدلون على رؤية الله بالتفسير الحرفي لقوله تعالى﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾[3]، بمعنى رائية لأن النظر إذا ذكر مع الوجه فمعناه نظر العينين اللتين في الوجه، يقال في اللغة نظر بقلبه فهذا لا يعني نظر العينين والاختلاف واضح، إضافة الى ذلك تأويل النظر الى الانتظار يفيد التنغيص والتكدير المصاحب للانتظار، فالله يعد أهل الجنة بما لا عين رأت ولا أذن سمعت وما لا يخطر ببالهم، ومتوعدا المطففين بحجبهم الرؤية قال تعالى﴿**كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ**﴾[4] فحجبهم عن رؤيته ولا يحجب عنها المؤمنين[5].

إلا أن الإباضية يؤولون الآية الى معنى آخر تفاديا للوقوع في التشبيه، فناظرة بمعنى مشرقة لما ترجوه من ثواب الله منتظرة لرحمة ربها أي من الانتظار[6] كما قال الله ﷻ ﴿**مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً**﴾[7] أي ما ينتظرون، وقال تعالى﴿**لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ**﴾[8]

1– تبغورين بن عيسى الملشوطي: أصول الدين، ص196 وما بعدها.

2– أبو يعقوب الورجلاني: الدليل والبرهان، ج1، ص89.

3– سورة القيامة: الآية22–23.

4– سورة المطففين: الآية 15.

5– أبو الحسن الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، ص58–59، 63.

6– هود بن محكم الهواري: تفسير كتاب الله العزيز، ج4، ص444. أبو عمار عبد الكافي: الموجز، ج1، ص377–ص377–379، 414.

7– سورة ياسين: الآية49.

8– سورة الأنعام: الآية 103.

وردت هذه الآية في حكم المطلق أما آية ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[1] فكان حكمها مقيد بالآخرة[2] فلا يرد المطلق الى المقيد.

ويستدل الإباضية كذلك بما كان من موسى عليه السلام قال تعالى﴿لَنْ تَرَانِي﴾[3]، وقال تعالى على لسان موسى ﴿ تُبْتُ إِلَيْكَ ﴾[4] هذا بعد أن سأل موسى ربه الرؤية، فتوبته كانت من سؤاله النظر الى الله[5]. وكان رد الأشاعرة لو علم موسى أن الرؤية غير ممكنة ما سأل الله النظر اليه، ولا يجوز أن يكون موسى وقد ألبسه الله صفة النبيين وعصمه بما عصم المرسلين أن يسأل ربه المستحيل، ولو أراد الله نفي الرؤية لقرن الكلام بما يستحيل وقوعه ولم يقرنه بما يجوز وقوعه[6]، قالت الإباضية فليس كل مستحيل يعلمه موسى عليه السلام بدليل قوله تعالى لنوح عليه السلام ﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[7].

موقف الإباضية من مسألة الرؤية وخلق القرآن استمرار لموقفهم من الصفات وتأكيد له.

د-**القدر والعدل فيه:**

اختلفت مواقف الفرق الإسلامية من مسألة القضاء والقدر بين مثبت لقضاء الله وقدره، فأفعال الإنسان شأنها كشأن الخلق خاضع لإرادة الله، لا فعل لأحد في الحقيقة إلا الله وحده، وأنه هو الفاعل وأن الناس إنما تنسب اليهم أفعالهم مجازا، هذا الرأي مبني على أصل في العقيدة هو أن الله مطلق القدرة، خلق العبد وأفعاله، وهو يعلمها قبل

---

[1]- سورة القيامة: الآية21-22.

[2]- أبو يعقوب الورجلاني: الدليل والبرهان، ج1، ص91-93.

[3]- سورة الأعراف: الآية143.

[4]- سورة الأعراف: الآية143.

[5]- أبو يعقوب الورجلاني: المصدر السابق، ج1، ص92-93.

[6]- أبو الحسن الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، ص60-61.

[7]- سورة هود: الآية46.

صدورها من العبد بعلمه المطلق[1]، فكل ميسر لما خلق له، فالإنسان كالريشة تتقاذفه الرياح أنّى شاءت وإرادته من إرادة الله، فالله خالق لأفعاله مقدر لها، ومن ثم تنتفي حريته بالقيام بالفعل وعليه فهو مسير لا مخير، تبنى هذا الموقف الجبرية التي تزعمها جهم بن صفوان(ت128هـ/746م)، ووجدت السلطة الأموية بالمشرق فيها غايتها لتبرير سياستها في تسيير شؤون الدولة[2].

وبين مثبت لإرادة العبد وحريته إن شاء قام بالفعل وإن شاء تركه، فالأفعال خلق للإنسان[3] وبالتالي فهو مخير لا مسير، مستحق على ما يفعله ثوابا وعقابا في الدار الآخرة، وعليه هو مسؤول عن نتائج أفعاله وهو في الأخير تجسيد للعدل الإلهي، سمي أنصار هذا الاتجاه بالقدرية وكان منهم معبد الجهني(ت80هـ/699م) وغيلان الدمشقي(ت 117هـ/735م) والمعتزلة[4]، ووجدت السلطة العباسية كذلك في هذا الموقف مبررا للخروج للخروج على الأمويين بحجة مقاومة ما ظهر في المجتمع الإسلامي من ظاهرة التحلل من أوامر الشرع بدعوى القدر الإلهي المسيطر على أفعال العباد الموجّه لها توجيهاً قسريا.

سجلت كتب التراجم والسير الإباضية موقف علماء الإباضية الأوائل في المشرق من مسألة القدر من خلال رد إمامهم جابر بن زيد(ت93هـ/710م) على سؤال الحجاج بن

1- أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين، ص164. الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص96.

2- محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي ـ طور التكوين ـ، سينا للنشر، ط4، 2000، ج1، ص216. فرحات الجعبيري: البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، ج2، ص 412.

3- الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص58. أبو يعقوب الورجلاني: الدليل والبرهان، ج1، ص42. أبو عمار عبد الكافي: الموجز، ج2، ص23-24.

4- الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص58، 60.

يوسف الثقفي(95هـ/714م) في القدر[1]، ومن المناظرة الشهيرة التي كانت بين أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة (ت145هـ/762م) وواصل بن عطاء (ت181هـ/748م) بمكة المكرمة[2]، قال أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة في شأن القدر: "والله ما فيه نكاح ذات بعل، ولا انتحال هاجرة، ولا حكم بغير ما أنزل الله، إنما رأي أحدثه الناس فيما بينهم، فمن أقر بأن الله علم الأشياء قبل أن تكون فقد أقر بالقدر"[3] وقال صحار العبدي[4](ق2هـ/8م) في القدرية: كلموهم في العلم، فإن أقروا به نقضوا، وإن أنكروا كفروا[5].

واضح من هذه الردود أنها بسيطة سلفية بعيدة عن التعقيد المصاحب لقضايا علم الكلام، وتبدوا للوهلة الأولى أنها لا ترغب في الخوض في النوع من المسائل لانشغال علماء الإباضية بتكوين الأفراد والإعداد لقيام إمامة الظهور، وما طرد حمزة الكوفي(ق2هـ/8م) وأصحابه بعد أن تبنوا مقالات القدرية من مجالس الإباضية إلا دليل على ذلك[6]، والخوض في المسألة وإبداء الرأي الصريح فيها قد يجرهم الى صراع مع السلطة السياسية الأموية التي ناصرت الجبر ومن بعدهم العباسيين الذين ناصروا الاختيار، وهم في غنى عن ذلك.

---

[1]- مفاد الرواية أن الحجاج بن يوسف وقع في نفسه شيء من أمر القدر فاستشار من حوله فأشار عليه كاتبه يزيد بن أبي مسلم بجابر بن زيد، وكانت اجابة جابر بن زيد بسيطة وذكية، فأمره بترديد خطبته فيها اجابة شافية لما سأل، ومن ضمن ما جاء في الخطبة "من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له"، ينظر، الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص212.

[2]- الدرجيني، المصدر نفسه، ج2، ص246. ينظر تفاصيل هذه المناظرة في الفصل الرابع من البحث.

[3]- المصدر نفسه، ج2، ص233.

[4]- من تلاميذه جابر بن زيد جعله الدرجيني من الطبقة الثانية(50-100/670-718) وقال عنه "وكان باعه في العقائد طويلا"، ينظر: الدرجيني: ج2، ص233. معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج2، ص236.

[5]- الدرجيني: ج2، ص233. الشماخي: السير، ج1، ص192.

[6]- الدرجيني: ج2، ص 243. أبو عمروا خليفة السوفي: رسالة في فرق النكار الست وما زاغت به عن الحق، ص17.

أمام التحديات الجديدة خاصة بعد نجاحهم في إقامة إمامة الظهور ببلاد المغرب الإسلامي، دخلوا المعترك الكلامي مع الفرق الأخرى، وأصلوا لموقفهم من المسألة بأسلوب كلامي رصين مستفيدين في ذلك من علاقة الجوار مع المعتزلة في البصرة وفي بلاد المغرب، وكانت كمقالة القدر والاستطاعة، ومنزلة مرتكب الكبيرة من أهم المسائل الخلافية مع المعتزلة.

مذهب الإباضية في القدر يخالف مذهب المعتزلة بزعمهم أن الله تعالى لم يخلق أفعالهم ونسبة الأفعال تعود للإنسان صاحب الفعل[1]، والحجة عليهم قوله تعالى ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾[2][3]، وقوله تعالى﴿ **اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**﴾[4]، وقوله تعالى ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾[5] وفي هذه الآيات ما يقوض موقف موقف المعتزلة[6]، لأن الآيات جاءت على العموم ولم تستثن شيئا.

من جهة آخرى ينفي الإباضية الظلم عن الله ردا على الجهمية "ففي إثبات الأمر والنهي ما يبطل الجبر والاستكراه والجهل"[7]، ولو كان الأمر كذلك لجاز أن ينهاهم عن قصرهم وطولهم، ولجاز أن يقال للأبيض لم كنت أبيض وللأسود كذلك[8]، قال أبو خزر خزر يغلا بن زلتاف(380هـ/990م) "فأخذنا من ذلك بالوسط، وهو أعدل القولين

1- القاضي عبد الجبار بن أحمد: شرح الأصول الخمسة، تحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1996، ص323.

2- سورة الصفات: الآية96.

3- الجناوني أبو زكريا يحيى: كتاب الوضع، تحقيق ابراهيم اطفيش، مطبعة فجالة الجديدة، ب ط، ب ت، ص22.

4- سورة الزمر: الآية 62.

5- سورة التكوير: الآية 29.

6- تبغورين بن عيسى الملشوطي: أصول الدين، ص98-99.

7- أبو خزر يغلا بن زلتاف: الرد على جميع المخالفين، ص53. أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي: التحف المخزونة، ص373.

8- أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي: المصدر نفسه، ص373.

وأصوبهما"[1]، فغلط أهل الجبر لأنهم لم ينظروا الى الحمد والذم والأمر والنهي والاختيار المصاحب للفعل، وساووا بين الأمرين وهذا لا يجوز في حق الله، وغلط أهل القدر حين لم ينظروا الى ما ثبت عن عجز العباد أن يجعلوا أفعالهم على ما هي عليه، وفي غلط الفريقين دليل على أن الفعل من جهة عجز الفاعل عنه خلق لله وأنه من جهة ما يثبت قدرة الفاعل عليه اختياره[2]، فأثبتوا لله القدرة على الأشياء كلها ونفوا عنه الظلم والجور.

معنى ذلك أن كل فعل طاعة أو معصية مرتبط بإرادتين إرادة الله خلقا وارادة الإنسان كسبًا[3]، فنسبة فعل العبد الى قدرته لا على وجه الإحداث والخلق، فكما أن الإنسان يحس في نفسه الاقتدار يحس من نفسه كذلك عدم الاستقلال[4]، وعلم الله السابق لأفعال الإنسان لا يفيد إجبار العبد على الفعل، لأن ذلك إفراغ للجزاء الأخروي من محتواه، بناء على ما ورد في القرآن من آيات تؤكد العدل المطلق لله تعالى، كقوله

---

[1]– أبو خزر يغلا بن زلتاف: المصدر السابق، ص52، 92.

[2]– أبو عمار عبد الكافي: الموجز، ج2، ص25–26، 69.

[3]– أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ص293. الشهرستاني، الملل والنحل: ج1، ص 131-133. هذا واختلف إباضية المغرب في تقرير مسألة القدر بين الكسب والجبل، فمال إباضية إفريقية والمغرب الأوسط الى الكسب وهو الفعل المفضي الى اجتلاب نفع أو دفع ضرر، فلا يوصف فعل الله بأنه كسب لكونه منزه عن جلب نفع أو دفع ضرر، ومال إباضية نفوسة الى نظرية الجَبل الميل الطبيعي والفطري لتنفيذ ما يعلمه الله من عمل الإنسان، أورد الوسياني خبرا عن الشيخ ماكسن(ت491هـ/1097م) يرد فيه عن رجل من نفوسة سأله اختيارك هذا مقيد أو مطلق؟ قال الشيخ: رمية من غير رام، بل يا هذا مقيد، وأما الاختيار المطلق: فلاختيار الذي تدعيه المعتزلة، القائلون بخلق الأفعال، وأن قدرتهم عليها جارية، وأن الله تعالى لا يوصف بالقدرة عليها، بل الله خالق كل شيء، وهو الواحد القهار. وقد رفض إباضية المغرب الأوسط هذا الفهم واعتبروه معنى للجبر والاختلاف بينهما كما هو واضح في نسبة الاقتراب من الجبر والاختيار، ينظر، أبو خزر يغلا بن زلتاف: الرد على جميع المخالفين، ص50–53. أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي: التحف المخزونة، ص274–276. الوسياني: سير، ج1، ص384، فرحات الجعبيري: البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، ج2، ص452. خضير بن بكير بابا واعمر، الإمام اسماعيل الجيطالي وفكره العقدي، ص329–334. معجم مصطلحات الإباضية، ج2، ص913–914.

[4]– الشهرستاني: المصدر السابق، ج1، ص110–111.

تعالى﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾[1]، وقوله تعالى﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾[2] وقوله تعالى﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[3].

والقول بخلق الإنسان لأفعاله هو نفي وهدم لمبدأ التوحيد، وإلحاق النقص بالذات الإلهية، وهو محال في حق الله، "فليس في إضافة الأفعال الى العباد بالتحرك والسكون ما يزيل عليه من الله الخلق والتكوين، كما أنه ليس في تكوين الله وخلقه للأفعال على ما هي عليه ما يخرجها من أن تكون كسبا للعباد، فهي من الله خلق وجعل ومن العباد اكتساب وفعل"[4]، قال أبو عمرو عثمان خليفة السوفي(ق6هـ/12م): "ستة أشياء مبطلة للجبل والجبر مثبتة للاختيار والكسب: الأمر والنهي والمدح والذم والثواب والعقاب"[5].

هذا الموقف هو في الأخير توافق مع رأي الأشاعرة الذين يقرون بحرية أفعال الإنسان، ولكن بشكل محدود قال أبو الحسن الأشعري(324هـ/935م): "إن أعمال العباد مخلوقة، وإن فعلا واحدا لفاعلين، أحدهما خلقه وهو الله والآخر اكتسبه وهو العبد"[6]، ويجرنا الحديث في هذا الى الحديث عن استطاعة الفعل.

كان الجدل في مقالة الاستطاعة مع مطلع القرن الثالث هجري، ويبدو أن مقالة الاستطاعة كانت من الأهمية بمكان في هذه الفترة لعلاقاتها الوثيقة مع مقالة الصفات وخلق القرآن، ومقالة الإيمان الي كانت تصنع الحدث ببلاد المغرب خاصة في القيروان مع المعتزلة وغيرهم من الفرق، وهو ما كان يستفز الإمام أبا اليقظان محمد بن

1- سورة غافر: الآية31.

2- سورة فصلت: الآية46.

3- سورة النحل: الآية118.

4- خضير بن بكير بابا واعمر: الإمام اسماعيل الجيطالي وفكره العقدي، ص312.

5- المرجع نفسه، ص330، ص176.

6- الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ج1، 339.

أفلح(283هـ/896م) فلم "يأل الإمامة إلا بعد أن ألف تأليفا مشتملا على أربعين جزءا في الاستطاعة"[1].

الاستطاعة تكون مع الفعل والإرادة مع المراد لا قبل ولا بعد وهو رأي الإباضية والأشاعرة لا قبله كما ذهبت المعتزلة[2]، لأنها إذا كانت قبل الفعل فقد أُعطوها في وقت لا حاجة لهم إليها[3].

إن الله قدر جميع الأفعال وخلقها وقضاها من فاعلها ولسنا نقول أنه أجبر أحدا على ما كان منه من الطاعة أو المعصية، أي ليس للعبد الفعل دون أن يكون خَلقا الله، ولم يكن خلقا لله دون أن يكون اكتسابا للعبد، فالأفعال تضاف الى الله خلقا والى العبد كسبا واختيارا فالأفعال كلها خلقا لله ولا يشاركه شيء في ملكه[4].

هـ- الوعد والوعيد:

مفاد هذه المسألة، أن الله تعالى وعد المطعين بالثواب، وتوعد العصاة والكافرين بالعقاب[5]،وترتبط هذه المسألة بالعدل الإلهي على اعتبار أن العدل الإلهي يوجب ثواب المطيع ويوجب عقاب العاصي ولله لا يخلف وعده.

دافع علماء الإباضية على هذا المبدأ بشراسة من منطلق كمال الصفات الإلهية وصدقه، فلا يجوز في حق الله عز وجل أن يخلف وعده، فكل عاص مات على عصيانه أوجب له الخلود في النار، وكل مؤمن موف لحقوق الله كان له وعد من الله أن

1- الدرجيني: طبقات المشائخ، ص319. الوسياني، سير، ج1، ص 327.

2- القاضي عبد الجبار بن أحمد: شرح الأصول الخمسة، ص323. أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ص139.

3- أبو خزر يغلا بن زلتاف: الرد على جميع المخالفين، ص65، 70. أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي: التحف المخزونة، ص317.

4- تبغورين بن عيسى الملشوطي: أصول الدين، ص60، 173.

5- الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص58.

يدخلـه الجنـة، ولا يجـوز أن يكـون وعـده أو وعيـده مبـدلا ولا محـولا ولا مسـتثنى فيـه ولا مرجوعا عنـه، ولو جاز أن يدخل النار من يخرج منها لجاز أن يدخل الجنة من يخرج منها، ولو جاز أن يدخل النار مؤمن لجاز أن يدخل الجنة كافر[1]، ولا يخلو المثاب من أن يكون خالدا في الجنة أو خالدا في النار، أو خالدا فيهما جميعا، وهذا أمر محال من وجوه ثلاثة.

ـ خلوده فيهما معا هو قول فاسد.

ـ فلو صـح أنـه خالـد فـي النـار فـلا يجـوز أن نقول أنـه خالـد فـي النـار لانقطـاع الفترتين، وعليـه تقتضـي الحكمـة أن يخلد الإنسـان فـي الجنـة أو فـي النـار كمـا وعد الله وأوعد، واستدلوا على ذلك من القرآن قال تعالى﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ**﴾[2] وقال تعالى ﴿**قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾[3]، وقال ﴿**جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ**﴾[4].

هذا ردا على كل من المرجئة الذين قالوا أن الثواب في الآخرة يتم بالتصديق بالقلب دون العمل بالجوارح، تبعا لمبدئهم الإيمان بالله تعالى يكفي فيه التصديق القلبي. قال أبو يعقوب الورجلاني في صيغة التهكم "ارتاحت نفوسهم بالخروج من النار تسليا وتشبيه دعواهم باليهود بعد قول الله تعالى حكاية عن اليهود﴿**وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[5] إئتموا بإخوتكم اليهود"[6].

1- أبو عمار عبد الكافي: الموجز، ج2، ص107، 110-111.

2- سورة الرعد: الآية 31.

3- سورة ق: الآية 28-29.

4- سورة الأنعام: الآية 146.

5- سورة البقرة: الآية 80.

6- أبو يعقوب الورجلاني: الدليل والبرهان، ج2، ص46.

والأشاعرة الذين قالوا إن صاحب الكبيرة إذا مات من غير توبة يكون حكمه لله، فإما أن يغفر له برحمته، وإما أن يشفع فيه النبي عليه السلام وإما أن يعذبه بمقدار جرمه ثم يدخله الجنة برحمته ولا يجوز أن يخلد في النار لما ورد به السمع بالإخراج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان[1].

فلو جاز أن يدخل الله من توعدهم بالنار حتى وإن كان من باب كرمه وفضله لكانت أخباره متناقضة، فكيف يكون يعد ويوعد ثم لا يفي بما وعد[2]. ولا يعتبر إخلاف الوعد من كرم الله باعتبار أن العرب تعتبر العفو عند المقدرة بعد الوعيد هو ضرب من مكارم الأخلاق، فإن ذلك لا يجوز في حق الله فالله لا يجهل عاقبة أمر من الأمور فيبدو له ما لم يكن يعلم به، مما يوهم الشك في أن الله يخلف وعيده تعالى الله عن ذلك[3]، لأنه يفضي الى تشبيه الله بخلقه، فالعباد يتوعدون ثم يعدلون عن وعيدهم إذا تبين لهم أن تنفيذه يصير الى هلاك أو مفسدة، فيصير إخلاف الوعد عنهم أصلح فهذا لأنهم لا يعلمون عاقبة الأفعال، وهذا محال في حق الله الذي لا تخفى عليه خافية.

و- الإيمان والكفر: لا منزلة بين المنزلتين

حسم الإباضية أمرهم من مسألة مرتكب الكبيرة بين الإيمان والكفر فقالوا لا منزلة بين المنزلتين الكفر[4] والإيمان[1]، فالحل الوسط الذي يفترضه المعتزلة مرفوض، فإما أن

1- الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص113. أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ص261.

2- تبغورين بن عيسى الملشوطي: أصول الدين، ص113. أبو عمار عبد الكافي: الموجز، ج2، ص106.

3- أبو عمار عبد الكافي: نفسه، ج2، ص107. أبو زكريا يحيى الجناوني: كتاب الوضع، ص23. أبو زكريا يحي الجناوني: عقيدة الجناوني، ص74.

4- الكفر عند الإباضية هو كل فعل أوعد الله عليه بالعقاب، أو ستر النعمة بترك العبد ما لزمه من شكر لله، سواء بالشرك أو بإرتكاب الكبائر وهو على وجهين: 1- كفر شرك- كل ذنب أخل بالإعتقاد كإنكار وجود الله أو استحلال ما حرم الله وتحريم ما أحل الله أو جحود حكم قطعي كالرجم وصاحبه مشرك تجري عليه أحكام المشركين. 2- كفر نعمة أو كفر النفاق ويسمى كفرا دون كفر استحق هذا الاسم لمخالفته مقتضى الإيمان، هو الفسوق والنفاق ولا يسمى

أن يكون الإنسان مسلما وإما كافرا ولا ووجود لحلقة وسطى بين الحالتين، فالضدان لا يجتمعان[2]، مستدلين على ذلك من القرآن الكريم قال تعالى﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[3] وقوله تعالى﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[4]، فمن خرج من الإيمان دخل في الكفر، ومن خرج من الكفر دخل في الإيمان، وفي الآخرة جزاؤه إما الجنة وإما النار والخلود فيهما أبدي، وأصحاب الكبائر الموحدون إن ماتوا على عصيانهم رغم اقرارهم بالشهادة فهم مخلدون في النار، وهو عندهم كافر كفر نفاق لا كفر شرك[5] أو كفر دون كفر.

كان هذا المبدأ السبب الرئيسي لظهور المعتزلة، وهو الأصل الرابع من أصولهم الخمسة[6]، مفاده أن مرتكب الكبيرة لا هو مؤمن مطلقا لأن عمله لا يوافق معتقده

صاحبه مشركا لإقراره بالإيمان ويسمى موحدا وهو ضد الإيمان، يحتفظ صاحبه بحقوق الموحدين من المناكحة والمدافنة والموارثة إلا الشهادة والولاية أي لا تقبل منه شهادة ويتبرأ منه إن لم يتب من ذنبه وهو في الأخرة من أصحاب النار خالدا فيها. عمروس بن فتح النفوسي: أصول الدينونة الصافية، ص60، 65، 73. أبو خزر يغلا بن زلتاف، الرد على جميع المخالفين، ص82. أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي: التحف المخزونة، ص337. امحمد بن يوسف اطفيش: شرح عقيدة التوحيد، ص152، 466-469. معجم مصطلحات الإباضية، ج2، ص898-900، 918-921. سميح دُغيم: موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1998، ج2، ص1075.

[1]- الإيمان قول وعمل والمؤمن هو الذي استكمل صفات الإيمان بإستفائه الفرائض من الطاعات وترك المعاصي، ومن لم يستكمل ذلك بطل أن يسمى مؤمنا، ومن ثم مرتكب الكبيرة بطل أن يسمى مؤمنا ولكن لا يحكم عليه بالخروج من الملة. أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي: المصدر السابق، ص332-333. الجناوني: عقيدة الجناوني، ص70، 72، الجناوني: كتاب الوضع، ص25. أبو عمار عبد الكافي: الموجز، ج2، ص116. امحمد بن يوسف اطفيش: المرجع السابق، ص 471-473. معجم مصطلحات الإباضية، ج1، ص67-68،73-74.

[2]- أبو الربيع سليمان المزاتي: المصدر السابق، ص438. قال أبو الربيع وندين بأن لا منزلة بين المنزلتين، ينظر المصدر نفسه، ص369.

[3]- سورة التغابن: الآية 2.

[4]- سورة الإنسان: الآية 3.

[5]- أبو عمار عبد الكافي: الموجز، ج2، ص117. أبو زكريا يحي الجناوني: عقيدة، ص67. عمروس بن فتح: أصول الدينونة الصافية، ص75.

[6]- أنظر تفصيل ذلك في الفصل الأول في مبحث الاتجاهات الكلامية بالغرب الإسلامي مادة المعتزلة.

بارتكابه المعاصي، ولا هو كافر مطلقا لأنه يقر بشهادة التوحيد، بل في منزلة بين المنزلتين، وإن مات على كبيرة فهو من أهل النار خالد فيها[1].

فإذا أثبتم الوعيد لأهل الكبائر فهم في النار مع الكافرين ما دام مصيرهم واحدا للكافرين والفاسقين ومن ثم فلم لا تسمونهم كافرين، "وإن كنتم لا تسمونهم كافرين فيجب عليكم أن تسموهم مؤمنين وبذلك فأنتم تبطلون وعيدهم وليس بين السبيلين سبيل، فإما أن تزيلوا وعيد أهل الكبائر وتسمونهم مؤمنين، أو تكونوا تثبتون وعيدهم فتسمونهم كافرين"[2]، وما نفوركم من تسمية الأشياء بمسمياتها إلا تلبيس للحق، فالفسوق الذي تجعلونه وسطاً بين الإيمان والكفر هو كفر في آخر الأمر، لأنه يحمل جميع معانيه من ظلم وفجور وفسق وضلال كلها منوطة بوجوب العقاب، واشتراك الكفر والفسوق مقرون دائما بإثبات الوعيد والخلود في النار[3]، قال تعالى ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ**﴾[4] وقال تعالى ﴿**لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**﴾[5].

فالناس ثلاثة منازل منزلتان في الكفر تجمعهم النار وهما المنافقون المقرون بالقول المضيعون للعمل، والمشركون المنكرون للقول والعمل، والمنزلة الثالثة منزلة المؤمنين

---

[1]- الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص62.

[2]- أبو عمار عبد الكافي: الموجز، ج2، ص123.

[3]- تبغورين بن عيسى الملشوطي: أصول الدين، ص129.

[4]- سورة السجدة: الآية20.

[5]- سورة الأحزاب: الآية 73.

الموفين للقول والعمل[1]، وقال تعالى ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾[2] وعليه فلا نقيض للإيمان إلا الكفر[3].

والنصوص القرآنية كثيرة تثبت أن الحالة الوسطى بين الإيمان والكفر منعدمة، قال تعالى ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾[4]، وقال تعالى ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[5] فأي وجه أخر غير هذين الوجهين فلا منزلة بين المنزلتين.

بهذا التصور جسد الإباضية الصورة السلبية للمبدأ المنطقي المعروف بمبدأ الهوية أو ما يعرف بمبدأ الثالث المرفوع[6] فلا يتصور أن يتصف فعل الإنسان بصفتين متناقضتين في وقت واحد مطيعا وعاصيا. وهذا ردا على جميع الفرق التي لا ترى في العصيان والفسوق كفرا.

أما الأشاعرة فصاحب الكبيرة عندهم مؤمن عاص، وإذا مات من غير توبة يكون حكمه الى الله إما أن يغفر له برحمته، وإما أن يشفع فيه النبيﷺ وإما أن يعذبه بمقدار جرمه ثم يدخله الجنة برحمته، ولا يجوز أن يخلد في النار مع الكفار لما ورد به السمع بالإخراج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان[7].

---

[1]- عمروس بن فتح: أصول الدينونة الصافية، ص61. أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي: التحف المخزونة، ص332-333.

[2]- سورة غافر: الآية 06.

[3]- أبو عمار عبد الكافي: الموجز، ج2، ص124-125.

[4]- سورة عبسى: الآية 38- 42.

[5]- سورة آل عمران: الآية 106.

[6]- مبدأ الهوية من مبادئ العقل يعني أن لكل شيء هوية خاصة أي الشيء هو هو لا غير رمزيا (أ) هو (أ)، له صورتان مبدأ عدم التناقض ويعني استحالة الجمع بين النقيضين، والصورة الثانية مبدأ عدم التناقض أي إما أن يكون (أ) هو (أ) أو (لا أ) بمعنى الحالة الثالثة مرفوعة.

[7]- الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص113.

يفهم من موقف الإباضية في المسألة أن هناك حالة بينية بين المشرك والمؤمن[1] وليس بين الكافر والمؤمن، ومن ثم فهم يدنون بالمنزلة بين المنزلتين التي تكون بين الإيمان والشرك كحال المعتزلة، وهي منزلة النفاق أو كفر النعمة، هذه الفئة تسري عليها أحكام المسلمين إلا الولاية والعدالة في الحياة الدنيا، إلا أنهم يدينون بلا منزلة بين المنزلتين ليس بين الكفر والإيمان ولكن بين الإيمان والنفاق في الآخرة، وبذلك يزول التناقض الذي يظهر للوهلة الأولى بين المبدأين.

وعليه إن تصور الإباضية لمسألة الإيمان والكفر مرتبط ارتباطا وثيقا بالجزاء الأخروي (الثواب والعقاب) لا بالتوحيد في حد ذاته، باعتباره تصوراً نظرياً تشترك فيه جميع الملل والنحل، فالجزاء محدد للإيمان قال عمروس بن فتح((283هـ/896م) "إنما كان الإيمان أيمانا لوجود الثواب لا لأنه طاعة أو مأمور به وإنما كان الكفر كفرا لوجود العقاب لا لأنه معصية أو منهي عنه"[2].

1- تبغورين بن عيسى الملشوطي: أصول الدين، ص114.

2- عمروس بن فتح: أصول الدينونة الصافية، ص75-76. أبو خزر يغلا بن زلتاف: الرد على جميع المخالفين، ص73.

4-2-البعد الإجتماعي والسياسي للتوحيد عند الإباضية

-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يعتبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبا إسلاميا يؤمن به سائر المسلمين، لقوله تعالى﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[1]، وغيرها من الآيات التي تنص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولقول الرسول ﷺ: "من رأى منكم منكرا، فليغيره بيده أو بلسانه أو بقلبه، وذلك أضعف الإيمان" أمر واجب على كل مؤمن حسب استطاعته، سواء كان بالسيف كالجهاد أو ما دون ذلك، ولا فرق في ذلك بين مجاهدة الكافر أو الفاسق.

يجسد هذا المبدأ البعد الإجتماعي والسياسي للتوحيد عند الإباضية، وقد جعله تبغورين بن عيسى الملشوطي(ق6هـ/12م) الأصل الثامن من أصول الدين[2]، ومن ثم تكمن أهمية هذا المبدأ في وجوب الاهتمام بالجوانب العملية السلوكية للفرد المسلم وما يجب أن يكون عليه من جهة كالعبادات ومختلف المعاملات، وعلاقته مع المخالف من جهة أخرى، وهو ما يضمن استمرار العمل بالشريعة كهدف أسمى مع المحافظة على وحدة الجماعة، ومن أبرز مظاهر ذلك مسألة الإمامة والولاية والبراءة.

أ-الإمامة:

الإمامة واجب شرعي وضرورة لا يختلف في ذلك المسلمون إلا من شذ، ولا يجوز تركها بحال من الأحوال إذ بها تنتظم الحياة وتقام الحدود وتحدد الحقوق والواجبات، إلا أن الاختلاف في مفاصلها ككيفية نصب الإمام بالنص والتعيين أو بالاختيار، وشروطه ومميزات الإمام وتجويز الخروج عن الحاكم، من أكثر المفاصل جدلا بين الفرق.

1- سورة آل عمران: الآية 110.

2- تبغورين بن عيسى الملشوطي: أصول الدين، ص141.

الإمامة عند الإباضية حق مشاع بين جميع المسلمين مهما كان جنسه ولونه تنعقد بإجماع الأمة، لها شروط يجب أن تتوفر فيمن يرشح لها[1]، ولا تنحصر في قبيلة ولا تنحصر في أبناء الحسن والحسين[2] رضي الله عنهما، فجوز الإباضية الإمامة في غير قريش وتُجوِز عزل الإمام والخروج عليه إذا كان ظالما[3]، أو وقوع مانع يعيق أداء دوره على أكمل وجه، أو بمعصية وفساد في العقيدة أو كتعطيل الحدود إذا غلب ظن النجاح، على الأقل أن يكون عدد المسلمين يعادل نصف عدد العدو في جميع ما يحتاجون إليه

1- عن شروط الإمامة راجع فيما ذكره ابن خلدون في مقدمته العلم والإسلام والعدالة وسلامة الأعضاء والحواس، ابن خلدون: المقدمة، ص342. وزاد الإباضية على ذلك المذهب والغربة(لا قبيلة ولا عشيرة للإمام) وأنقضوا صفة القرشية، بكير بن بلحاج وعلي: الإمامة عند الإباضية بين النظرية والتطبيق ـ مقارنة مع أهل السنة والجماعة، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، 2010، ج1، ص234. إبراهيم بحاز: شروط الإمامة عند الرستمين، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 19، 2013، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة غرداية، ص229-232. هذا وقد اعتبرها الشيعة ركنا من أركان الدين وليست من أمور العامة تنعقد بالنص وهي في آل البيت. ينظر، القاضي النعمان: اختلاف أصول المذاهب، تحقيق مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، ط3، 1983، ص35.

2- يشترك أهل السنة مع المعتزلة في شرط القرشية في الإمام استنادا الى حديث "الأئمة من قريش"، وتنعقد بالاختيار والشورى لا بالتعيين، أما عند الشيعة فهي ركن من أركان الدين وهي في آل البيت بالوصية، ينظر، القاضي عبد الجبار بن أحمد: شرح الأصول الخمس، ص752-753، 757-762. أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، 254. الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص115. وقد رد الإباضية على الحديث السابق بحديث " اسمعوا وأطيعوا لمن يحكمكم ولو كان عبدا حبشيا رأسه كرأس زبيبة" وقالوا أنه حديث آحاد واضطراب في روايته، وما يعزز هذا الطرح عندهم أن الخوارج لما عقدوا الإمامة لعبد الله بن وهب الراسبي بعث علي بن أبي طالب إليهم عبد الله بن العباس لمناقشتهم في أمر الخروج ولم يذكر في محاورته لهم اختيار خليفة من غير قريش ولو كان الأمر كذلك لاحتج به عبد الله بن العباس، ينظر تفاصل وحجج أخرى عند بكير بن بلحاج وعلي: الإمامة عند الإباضية بين النظرية والتطبيق، ج1، ص234-246.

3- أبو يعقوب الورجلاني: الدليل والبرهان ج3، ص81. نفس المؤلف: العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والإختلاف، ج2، ص49. عمار طالبي: آراء الخوارج الكلامية، ج1، ص120-121. وعن موقف المالكية من مسألة الخروج عن الحاكم لخصه سحنون بن سعيد حين زار ابن القصار في بيته وهو مريض ومما قال له في شأن عقيدته "ولا تخرج على الأئمة بالسيف وإن جاروا، قال: إي والله الذي لا اله الا هو، قال سحنون: مت إذا شئت، مت اذا شئت ثم خرج عنه" لأن يؤدي الى الفتنة. ينظر، المالكي: رياض النفوس، ج1، ص 367-368. وهو موقف أصحاب الحديث عامة، أما عن المعتزلة والزيدية والخوارج وكثير من المرجئة إذا أمكن إزالة أهل البغي وإقامة الحق فإن ذلك واجب، ينظر، أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، 249-250، 255.

من وسائل الحرب كالسلاح والكراع والعلم والمال[1]، مع مراعاة مآلات الخروج، فإذا خيف أن يؤدي ذلك الى الفتنة وضرر أكبر مما هم فيه فإذا كان الأمر كذلك فلا ضرورة للخروج، ومن أمثلة الخروج الشرعي إمامة أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري(ت144هـ/761م) وهذا المسلك يدعى مسلك الظهور.

– تجوز إمامة المفضول على الأفضل إذ العبرة من ذلك المصلحة وما تقتضيه الظروف وافقهم في ذلك المعتزلة والزيدية[2].

– يجوزون تعدد الأئمة إذا حال بين جماعات المسلمين تباعد المسافة كحال المغرب والمشرق شرط السعي لإمامة جامعة، على أن لا يحق لأي منهما أن يدعي إمرة المسلمين[3].

هذا وقد رد أبو يعقوب الورجلاني(570م/1174م) على المالكية الأشاعرة الذين لا يجوزون الخروج عن الحكام الظلمة ولا قتالهم والتسليم لهم، وبذلك قد أنكروا مباحا وندبا وأغلقوا بابا من أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[4]، بحجة تناقض أقوالهم مع أفعالهم وتاريخهم يشهد على ذلك في مواقع عدة منها:

ـ خروج طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضي الله عنهما على علي بن أبي طالب رضي الله عنه[5].

---

[1]– امحمد بن يوسف أطفيش: شرح عقيدة التوحيد، ص436. عدون جهلان: الفكر السياسي عند الإباضية، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، ط3، 2010، ص182–183.

[2]- أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ص255. عدون جهلان: المرجع السابق، ص159.

[3]– تاديوس ليفيتسكي: المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، ص207. فرحات الجعبيري: التجربة السياسية عند الإباضية، ص189. عدون جهلان: المرجع السابق، ص180.

[4]–أبو يعقوب الورجلاني: العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والإختلاف، ج2، ص49.

[5]– أورد أبو يعقوب الورجلاني في كتاب "الدليل والبرهان" في سياق الحديث عن مسألة الخروج عن الحاكم والاستدلال على جوازها مناظرة له مع فقيه في سلجماسة، يرجح أنه مالكي أشعري من تفاصيل المناظرة، أوردت تفاصيل هذه المناظرة في فصل المناظرات في مبحث المناظرات الإباضية المالكية.

ـ خروج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي(ت122هـ/740م) في جيش قوامه أربعة آلاف على يزيد بن معاوية(60-64هـ/679-683م) بعد مقتل الحسين بن عليﷺ سنة(61هـ/626م) طلبا لثأره، وسميت حركتهم هذه بالتوابين[1].

ـ خروج العامة على الحجاج بن يوسف الثقيفي(ت95هـ/714م) عامل الأمويين وكان فيهم من الفقهاء زهاء خمسمائة منهم سعيد بن جبير(95هـ/714م) والإمام الشعبي عامر بن شرحبيل(103هـ/723م)[2].

وللخروج ضوابط كتحريم الاستعراض وهو فعل الخوارج الأزارقة والصفرية، إلا ما كان من معسكر السلطان فإنها دار بغي[3].

ب- **الولاء والبراء** [4]:

تحدد مقالة الولاية والبراءة عند الإباضية نوع الصلة التي تجمعهم مع الآخر، وبها يتحدد الحكم على المخالف هل يعد مؤمناً أو كافراً؟ ومن ثم تتحدد معايير الانتماء والإقصاء من المشاركة في مختلف مظاهر الحياة الاجتماعية، وإن شئنا فهي بمثابة قانون أخلاقي واجتماعي يوضح الحدود الفكرية والمذهبية الفاصلة مع المخالف.

وهي من أهم المسائل التي أصل لها علماء الإباضية في ظل الأحداث السياسية والعسكرية المتسارعة قبل منتصف القرن الثاني للهجرة، لأهمية هذا المبدأ في الحفاظ

1- أبو يعقوب الورجلاني: الدليل والبرهان ج3، ص81-82.

2- المصدر نفسه، ج3، ص82.

3- الشهرستاني: الملل والنحل، ج1، ص 131-133.

4- الولاية والبراءة: الولاية تعني المحبة والقرب، والبراءة تعني الجفاء والبغض والعداوة، الولاية أربعة أقسام الأولى ولاية جملة المؤمنين أحياء وأموات والثانية ولاية المعصومين الممدوحين في كتاب الله والثالثة ولاية إمام العدل، والرابعة ولاية المخصوص بنفسه إذا ظهر منه الوفاء بدين الله والبراءة أربعة أقسام الأولى البراءة من جملة الكافرين الأحياء والأموات والثاني البراءة من الإمام الجائر والثالثة البراءة من المذمومين في كتاب الله والرابعة ممن عرفناه بعينه إذا ظهر لنا منه فعل يوجب البراءة. ينظر، تبغورين بن عيسى الملشوطي: أصول الدين، ص149، الجناوني: عقيدة، ص78. امحمد بن يوسف اطفيش: شرح عقيدة التوحيد، ص246، 259- 393.

على وحدة الجماعة الإباضية وتماسكها، وما ينتج عن تفعيله في تطوير حركتهم ونشر دعوتهم[1]، وأفردوا لها الكتب والرسائل، إذ لا نكاد نعثر على مؤلف إباضي مغربي قبل القرن السادس هجري إلا ويورد فصلا للحديث عنها بالاستناد الى مجموعة من الآيات القرآنية لتأصيلها، منها قوله تعالى ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾[2] وقوله تعالى ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾[3].

وهي من أولى المقالات الإباضية تشكلا وأسرعها تطورا بفعل ارتباطها الوثيق بالحياة العملية الجماعية والسلوك اليومي للأفراد، وهي من أهم المسائل الخلافية الكلامية في المذهب الإباضي.

ولعل من أهم المسائل السياسية والعسكرية التي لها ارتباط وثيق بتطور هذه المقالة ومحوريتها في الفكر الديني الإباضي ببلاد المغرب، والتي كان لها الأثر الفعال في توجيهه، مسألة الحارث وعبد الجبار، ومسألة تولية عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم(171-208هـ/787-823م)، ومن بعدها الانقسامات الداخلية للإباضية ببلاد المغرب.

---

[1]-عوض خليفات: دراسات في النظم والعقائد الإباضية- المقالة الأولى نظام الولاية والبراءة والوقوف-، مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، العدد17، 1981، ص205، 220.

[2]- سورة آل عمران: الآية28.

[3]- سورة التوبة : الآية114.

مسألة الحارث وعبد الجبار:

من أهم البواعث السياسية للخلاف داخل المذهب الإباضي مسألة تكفير الحارث بن تليد الحضرمي(131هـ/749م) وعبد الجبار بن قيس المرادي(131هـ/749م)[1]، مفاد هذه المسألة أن يقتتلا رجلان من أهل الولاية، فيقتل كل واحد صاحبه، ولا يدري الظالم من المظلوم، فاختلف في حكم ولايتهما[2]، ذلك ما كان بين عبد الجبار والحارث حين تصديا لعبد الرحمن بن حبيب(ت162هـ/778م)، إذ وُجدا مقتولين وسيف كل واحد منهما في الآخر[3].

تحول هذا الحدث التاريخي الى صراع نظري كلامي بين أتباع المذهب الإباضي، وتجادلوا فيه كثيرا بعد ما ربط بمسألة الولاية والبراءة، فتبرأ منهما البعض ووقف[4] منهما آخرون، واعتبروهما على ولايتهما حتى يتبين أمرهما[5]، فوفاة عبد الجبار والحارث بهذه الطريقة تثير شكا عند أتباع المذهب الإباضي حول المسيء، وظلت المسألة متداولة ومتكررة في الأوساط الإباضية حتى أواسط القرن الخامس هجري.

ولخطورة المسألة وتزامنها مع بداية التمكين للمذهب الإباضي ببلاد المغرب أمر أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة(ت145هـ/762م) التميمي أتباعه بالكف عن الخوض في هذه المسألة[6]، واشترط أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري (ت144هـ/761م)

1- تاديوش ليفتسكي: دراسات شمال افريقية، ج1، ص71.

2- الشماخي: السير، ج2، ص247.

3- ابن عبد الحكم، فتوح: فتوح إفريقيا والأندلس، ص301-302. الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، ص91. أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص61-62. الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص24-25. البرادي: الجواهر المنتقاة، ابن خلدون: العبر، ج6، ص223. معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج2، ص119، 243.

4- الوقوف: حالة وسط بين الولاية والبراءة، لا يتولى من خلاله أو يبرأ من شخص إذا جهلت حالته لعدة اعتبارات منها امتناع معاشرته فنعلم حقيقته، ومنها أنه لم يشتهر بين الناس بالصلاح فيتولى أو بالظلم فيبرأ منه. ينظر، معجم مصطلحات الإباصية: ج2، ص1097-1098.

5- عوض محمد خليفات: نشأة الحركة الإباضية، مرجع سابق، ص207.

6- الشماخي: السير، ج1، ص44.

حين عزم إباضية المغرب إعلان إمارة الظهور ومبايعته أميرا اشترط أن لا تذكر هذه المسألة في عسكره خوفا من استمرار الخلاف داخل جماعات الإباضية[1]، إلا أن المسألة ما لبثت أن أثيرت من جديد خاصة بعد ظهور الفتن الإباضية، وأصبحت مادة كلامية بامتياز، بل أصبح الموقف من المسألة علامة فارقة بين أتباع المذهب الإباضي من ذلك، قال النكار بالوقوف في المسألة، وقالت الوهبية بإبقائهما على أصل الولاية[2] بحجة عدم ثبوت ما يزيل عنهما الولاية.

وقد أورد الوسياني في هذا الشأن في كتاب "السير" أن أبا عمران موسى بن أبي زكريا(حي في: 405هـ/1014م)[3] "ضاق في الوقوف الحارث وعبد الجبار اللذين وقع الاختلاف فيهما فأفتى بالوقوف فيهما عبد الله المدوني(ق5هـ/11م)[4]، وقال: لأنهما لم يبلغنا صلاحهما إلا مقرونا بحدثهما، فتنازعا في ذلك، فورد عليهما أبو يعقوب يوسف بن نفاث(ت440هـ/1049م)، فسألوه عنهما، فوافق جواب الشيخ أبي عمران، وقال هذه نكارة بعينها، يعني قول من قال فيهما بالوقوف"[5]. وزاد على ذلك أن المسألة طرحت من جديد في وسط العزابة- طلبة العلم - بحضور عبد الله المدوني(ق5هـ/11م) - وكانت إجابته واحدة، مما أثار عليه طلبة العزابة وتطلب الأمر مساءلته من محمد بن بكر

1- المصدر نفسه: ج2، ص247. الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص22-23.

2- أبو خزر يغلا بن زلتاف: الرد على جميع المخالفين، ص26-27. أبو عمار عبد الكافي: الموجز، ج2، ص217-222. أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي: التحف المخزونة، ص377.

3- موسى بن أبي زكرياء المزاتي أبو عمران: من أعلام الإباضية بالمغرب، أخذ عن أبي القاسم يزيد بن مخلد رأس الإباضية ببلاد الجريد، ومن تلامذته محمد بن بكر الفرسطائي مؤسس نظام حلقة العزابة، وهو أحد السبعة الذين ألفوا موسوعة ديوان العزابة بغار أمجماج بجربة. ينظر: البرادي: المصدر السابق، ص220. الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص159. ج2، ص391، 401، معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج2، ص429.

4- عبد الله المدوني من الطبقة التاسعة(400-450هـ/961-1009م) من علماء جربة وممن يرجع إليهم في الفتوى. الفتوى. الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص399. الشماخي: المصدر السابق، ج3، ص974.

5- الوسياني، المصدر السابق، ج2، ص 852-853.

الفرسطائي(ت440هـ/1049م) فكان جوابه "الله أعلم في الحارث وعبد الجبار. وأيما رجل لم يبلغك صلاحه إلا مقرونا بحدثه فليس عليه شيء"[1].

وقد استفتى قبل ذلك أبوعبد الله محمد بن بكر شيخه أبا نوح سعيد بن زنغيل(ق4هـ/10م) بمسجد قنطرار عن أمر الولاية أطفال المسلمين، فقال:" أخبرني عن طفل رجل مسلم إذا بلغ الحلم، ما الحكم فيه؟ قال أبو نوح: إن أنست منه خيرا فجدد له الاستغفار، وإن لم تأنس منه رشدا ولا خيراً فأمسك عن ولايته، فقال أبو عبد الله: أليس يلزمنا معارضة النكار في الحارث وعبد الجبار إذا قلنا بالإمضاء على ولايتهما وقالو بالوقوف فيهما.

فقال أبو نوح سعيد: لا يلزمنا معارضة النكار في ذلك لأننا نقول إنما كانت ولايتنا إياهم، بولايتنا لآبائهم، فإذا بلغوا رجعوا الى أفعالهم، وزال عنهم حكم آبائهم، وتوقفنا فيهم إذ صاروا الى حكم أنفسهم بعد إذ لم يكن لهم حكم آبائهم، وأما النكار فقد أزالوا المعنى الذي أثبتوا له من الولاية، ولم يثبتوا ضد ما أزالوا، وهو البراءة، فلا يلزمنا معارضتهم في شيء"[2].

مسألة تولية عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم:

تحول الصراع السياسي حول السلطة بين أنصار عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي(171-208هـ/788-824م) الإمام الثاني للدولة الرستمية، وأبي قدامة يزيد بن فندين(188هـ/804م)، بعد فشل الأعلام السبعة[3] الذين عينهم عبد الرحمان بن رستم(ت171هـ/787م) لاختيار الإمام بعد وفاته الى مادة كلامية بامتياز، وكان مدار

1- الوسياني: سير، ج2، ص854.

2- أبو زكريا، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، ص245.

3- مسعود الأندلسي، أبو قدامة يزيد بن فندين اليفريني، عمران بن مروان الأندلسي، أبو الموفق سعدوس بن عطية، شكر بن صالح الكتامي، مصعب بن سدمان، عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، قدوة بعمر بن الخطاب في تعينه لجماعة الشورى. الأعلام السبع ينظر، الشماخي: المصدر السابق، ج2، ص272.

الاختلاف حول مسألة الشرط في الولاية، فقد اشترط ابن فندين على عبد الوهاب ألا يقرر أمرا إلا بعد استشارة أهل الحل والعقد[1]، أما الطرف الأخر فكان موقفه "لا نعلم شرطا في الإمامة إلا أن يحكم بيننا بكتاب الله وسنة نبيه وآثار الصّالحين"[2].

أفضى هذا الاختلاف الى إنكار إمامة عبد الوهاب، وزادوا على ذلك "أن الإمام إذا ولي أمر المسلمين وفيهم من هو أعلم منهم أن إمامته باطلة" وتحدثت المصادر الإباضية بإسهاب حول المسألة، خاصة بعد دخول المشارقة لب هذا الجدل ومشاركتهم فيه، من خلال اعتراف علماء المشرق وعلى رأسهم الربيع بن حبيب(ت170هـ/786م) بشرعية إمامة عبد الوهاب، معتبرين الإمامة صحيحة والشرط باطل[3]، وحجتهم في ذلك أنه يستحيل اقامة الحدود وتسيير أمور الدولة، وإلا كان كلهم إمام وكلهم لا إمام، وانحاز شعيب بن معروف زعيم الجماعة الإباضية بمصر الى صف يزيد بن فندين مظهرا البراءة من عبد الوهاب.

أخذت هذه المسألة السياسية بعدا كلاميا في القرون اللاحقة حتى بعد القرن السادس هجري، إذ لا تخلو مصادر الإباضية في فترة البحث من الإشارة الى الجدل الكلامي بين الوهبية والنكارية وتجدده عبر القرون بسبب هذا الصراع السياسي، ووصل الأمر الى تبادل تهم الكفر، من ذلك ما ورد عند أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي(ق6هـ/12م) قال: "قالت المشائخ بتكفير النكار الفرقة الملحدة في الأسماء"[4]، وقبله ما ورد عن سليمان بن يخلف المزاتي(ت471هـ/1078م) أن رجلا سأله ما تقول في النكار يا شيخ؟ فقال: هم كفار، فقال له: وما تقول في الخلفية؟ فقال: هم كفار، فقال له

---

[1]- الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص48.

[2]- المصدر نفسه: ج1، ص47.

[3]- أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص91. أنظر نص رسالة الربيع بن حبيب الى أهل المغرب في المسألة في كتاب طبقات المشائخ للدرجيني، ج1، ص49-50.

[4]- أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي: رسالة في فرق النكار الست وما زاغت به عن الحق، ص59، 62، 118.

وما تقول في النفاثية؟ فقال: هم كفار"[1]، وبقي هذا الصراع مستمرا حتى عصور متأخرة خاصة في جزيرة جربة بتونس[2].

بذل علماء الكلام الإباضي ببلاد المغرب الإسلامي جهودا معتبرة في التقعيد لأهم المقالات العقدية إذ تشهد على ذلك غزارة مؤلفاتهم ونوعيتها في فترة البحث، وهو ما أهل بلاد المغرب الى أن تتحول الى مركز ثقل الديني والثقافي الإباضي بدلا عن بلاد المشرق، عبر خط مُنطَلَقه الأول جبل نفوسة حتى نهاية القرن الرابع هجري، ثم بلاد الجريد الى نهاية القرن الخامس هجري وأخيرا ورجلان الى نهاية القرن السادس هجري.

وقف علماء الإباضية موقف الوسط في منهجية استدلالاتهم الكلامية بالتمسك بالنقل والإنفتاح على العقل، فقد أجازوا التأويل بالاعتماد على العقل دون أن يكون ذلك على حساب النقل، فلا يتعدون الحدود التي جاءت بها الآيات والأحاديث النبوية، بل العقل في خدمة الشرع، ووضعوا شروطا علمية قاسية لتأويل حتى لا يتعارض العقل مع الشرع. وبناءا على ذلك التزم الإباضية في تناولهم لمسائل العقيدة بهذا المنهج، فكل صفة توحي بالتشبيه كالتحيز والجهة تأول الى معنى غير ذلك كتفسير الإستواء بمعنى الملك والقدرة، وتفسير المجيئ بمعنى أمره وقضاؤه وهكذا، وعلى هذا المنوال أنكر الإباضية رؤية الله في الآخرة وقالوا بخلق القرآن، وخلود أصحاب الكبائر في النار إن لم يتوبوا تجسيدا لصدق الله في وعده ووعيده، وهي تشترك في هذا التأويل مع المعتزلة، وأما في مسألة القدر فقد كان تأويلهم موافق للأشاعرة.

---

[1]- أبو زكريا الورجلاني: سير الأئمة وأخبارهم، ص198-199.

[2]- المنصف قوجة: تاريخ الإباضية الديني والسياسي، ص81.

الفصل الثالث:

دور حلقة العزابة في تطور علم الكلام الإباضي ببلاد المغرب

1- الوضع السياسي والثقافي من سقوط الدولة الرستمية(296ه/ 909م) الى ظهور نظام العزابة(409ه/ 1018م).

أ- الوضع السياسي قبل تأسيس حلقة العزابة.

المرحلة الأولى: من سقوط الدولة الرستمية حتى ظهور نظام العزابة.

المرحلة الثانية: من ظهور نظام العزابة الى وفاة أبو يعقوب الورجلاني.

الإختيارات الاستراتيجية للأقاليم الإباضية بعد سقوط الدولة الرستمية.

ب- الوضع الثقافي قبل ظهور نظام العزابة.

رسالة الإمام الرستمي أبو اليقظان محمد بن أفلح(283ه/ 896م).

عمروس بن فتح المساكني (283ه/ 896م)

أبو يوسف يعقوب بن أفلح(310ه/ 922م)

أبو خزر يغلا بن زلتاف(380ه/ 990م)

أبو صالح جنون بن يمريان(ق04ه/ 10م)

سعيد بن زنغيل(ق4ه/ 10م)

2- **نظام حلقة العزابة وبعث النشاط الفكري الإباضي.**

الجيل الأول من علماء الكلام.

أبو العباس احمد بن محمد بن بكر(ت504ه/ 1111م)

أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي(ت471ه/ 1079م)

أبو زكريا يحيى بن أبي بكر(ت471ه/ 1079م).

الجيل الثاني من علماء الكلام.

تبغورين بن عيسى الملشوطي(النصف الأول من ق06ه)

أبو عمار عبد الكافي(ت570ه/ 1174م)

أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني (ت570ه/ 1174م)

أبو عمر عثمان بن خليفة السوفي(ق06ه/ 12م)

أبو سهل يحيى الورجلاني(ق06ه/ 12م)

كان لانهيار الدولة الرستمية بالمغرب الأوسط في نهاية القرن الثالث الهجري على يد الشيعة الفاطميين أثر كبير على جموع الإباضية ببلاد المغرب، لكونها كانت تمثل الهيكل التنظيمي للحياة الإجتماعية والثقافية للمجتمع الإباضي ببلاد المغرب الإسلامي، وتبع ذلك فشل جل محاولات الإباضية العسكرية للاسترجاع مجدهم الضائع، مما أدى الى مقتل عدد كبير من شيوخ المذهب-فقد كان عدد القتلى في واقعة مانو(283هـ/897م) اثني عشر ألفا منهم أربعمائة عالم[1]، مع ما كان من ضياع أمهات المصادر الإباضية الدينية حين خصّ عبد الله الشيعي(ت296هـ/911م) مكتبة المعصومة سنة(296هـ/909م) بالحرق لما دخل تيهرت، أثر ذلك سلبا على النشاط الفكري الإباضي وأدى إلى انحصار تواجد الإباضية في أماكن بعيدة خوفا من بطش أعدائهم الفاطميين، وقل حماس العامة للمذهب وابتعدوا عن تعاليمه، وقد لخص أحد المشائخ الإباضية أبوبكر بن يحيى الزواغي(ت431هـ/1039م) حالة الوضع السائد قائلا: "لسنا في ظهور ولا الدفاع ولا في كتمان ولا في شراء، ولكن زماننا سائب"[2]، فهي حالة تبعث على اليأس وتعبر عن التيه السياسي والاجتماعي والثقافي، ولم يمضي وقتا طويلا حتى أخذ المذهب الإباضي في التراجع أمام المد الشيعي ومن بعده المالكي الأشعري.

على الرغم مما تصوره هذه الشهادة من تذمر أصحابها من جراء حالة التيه الإجتماعي والسياسي والثقافي التي آل إليها جموع الإباضية بعد سقوط دولة الرستميين، إلا أنها تعبيرا واضحا عن الرغبة في الخلاص من هذا الواقع المقلق وهو ما كان فعلا بتبني مشروع نظام حلقة العزابة. فما فحوى هذا النظام؟ وكيف ساهم في المحافظة على تواجد المذهب الإباضي؟ وكيف ساهم هذا النظام في بعث النشاط الفكري الإباضي؟ وما موقع علم الكلام من هذا النشاط؟

---

[1]- الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص89.

[2]- الوسياني: سير، ج1، ص305. الشماخي: السير، ج2، ص257.

1- الوضع السياسي قبل تأسيس نظام حلقة العزابة:

أ- المرحلة الأولى: من سقوط الدولة الرستمية(296هـ/909م) حتى ظهور نظام العزابة(409هـ/1018م).

وقعة مانو(283هـ/897م):

تربط معظم الكتابات التاريخية إنهزام نفوسة الإباضية بواقعة مانو[1] سنة(283هـ/896م) أمام الجيش الأغلبي من الأسباب الرئيسية لانهيار الدولة الرستمية، نظرًا لما كانت تمثله هذه القبيلة في المغرب الأدنى من قوة عسكرية جيشتها في خدمة الأئمة الرستمين، إذ كانت سيوفها درعا للدولة الرستمية التي قام على سواعدها سلطانها[2]، فقد قال الإمام عبد الوهاب(171-208هـ/787-823م) "إنما قام هذا الدين بسيوف نفوسة وأموال مزاته"[3] ورغم أن الواقعة كانت قبل سقوط تيهرت[4] إلا أنها جدير بالحديث عنها نظرًا للنتائج السياسية والثقافية المترتبة عنها.

اختلفت الروايات التاريخية في ظروف الواقعة وحيثيتها فأبو زكريا الورجلاني أقرب مصدر إباضي للواقعة يرى أن بني العباس بالمشرق في خلافة المتوكل(232-247هـ/846-861م) ببغداد وصلته رسائل من قاطني القيروان يخبرونه فيها بالخطر الذي تشكله قوة الإباضية بتيهرت على حدود خلافته، فعزم على التوسع في بلاد المغرب على حساب الرستميين والقضاء على دولتهم التي تخالفهم المذهب وتشكل خطرًا

1- مانو: قصر قديم بين قابس وطرابلس وقعت فيه معركة بين الأغالبة والإباضية سنة(283هـ/896م) إنهزم فيها الإباضية على يد أبي العباس إبراهيم الأغلبي(289هـ/902م) يحمل هذا المصطلح في التاريخ الإباضي معنى حزينا نظرا لحجم الخسائر، ينظر، الشماخي: السير، ج3، ص869.

2- الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص87.

Alloua Amara: La structuration des ibadites-wahbites au Maghreb (xie-xve siècle),p262.

3- أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص155. الشماخي: المصدر السابق، ج2، ص423. وعن مزاته قبيلة بربرية من بطون قبيلة لواتة الكبيرة قال اليعقوبي: كلها إباضية على أنهم لا يفقهون ولا دين لهم، مواقعها بين جدابية وسرت. ينظر، اليعقوبي: البلدان، ص182. ابن خلدون: العبر، ج6، ص152-153.

4- كانت هذه الواقعة في عهد الإمام الرستمي أبو حاتم يوسف بن أبو اليقظان(ت294هـ/906م).

على تواجدهم بالمغرب، فأرسل الخليفة العباسي قوة عسكرية على رأسها أبو العباس إبراهيم الأغلبي(261-289هـ/875-902م)، اعترضت نفوسة هذه القوة فما كان منه إلا الدخول في مواجهتها بعد أن طلب منهم ممر ساحلي مقدار نشر عمامة، إلا أنهم أبو ذلك بعد مشاورات سادها التردد بينهم، وكانت نتيجة المعركة إثنى عشر ألف قتيل منهم أربعة مئة عالم فقيه وثمانين عالما أسيرا[1].

غير أن ابن خلدون يرى أن الحملة العسكرية كانت من إفريقية في اتجاه مصر لمحاربة العباس بن أحمد ابن طولون(ت270هـ/884م)[2] فاعترضته نفوسة فهزمهم وأثخن فيهم[3]، وإن كان الأمر على ما ذكر أبو زكريا لا يستقيم فخطر الإباضية ببلاد المغرب يرجى من قوتهم في خلافة عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم أو ابنه أفلح اللذان يمثلان عصر الازدهار والقوة، دخلت بعدها دولة الرستمية مرحلة الضعف بفعل الصراعات القبلية المشكلة لعصبيتها، والواقعة لم تكن في عهد المتوكل بل في عهد المعتضد(279-289هـ/892-901م)، ويحتمل أن أبو زكريا وقع له خلط بين حملة

1- أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص155-156. الشماخي: السير، ج2، ص425. سليمان باشا الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، ج2، ص372-373.

2- كانت هذه الحملة العسكرية بقيادة العباس بن أحمد بن طولون(242-270هـ/856-884م) حكم مصر نيابة عن أبيه، أراد غزو افريقية في حملة فاشلة، فوجه رسله يهدد الأمير الأغلبي إبراهيم الثاني بداعي أن الخليفة العباسي المعتمد ولاه حكم افريقية، فدخل برقة، استولى على لبدة واستباحها سنة(267هـ/881م)، ثم حاصر طرابلس، فاستغاثت المدينة بأقرب قائد بالجهة أبو منصور إلياس عامل الإمام الرستمي محمد بن أفلح، واستجاب العامل لنداء الإسغاثة، مع ووصول الإمدادات من افريقية، وكانت نتيجة المعركة في صالح المغاربة بعد تحالف عفوي بين الإباضية والأغالبة. ينظر، ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص 119. محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، ترجمة المنجي الصيّادي وحمّادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1995، ص396، الشماخي: المصدر السابق، ج3، ص960.

3- ابن خلدون: العبر، ج4، ص260.

بن طولون على المغرب سنة(267هـ/880م)[1] وواقعة مانو، فشكاوي أهل إفريقية التي يتحدث عنها أبو زكريا تعود على سوء سياسة إبراهيم الأغلبي مع رعيته[2].

وحسب بن عذاري في "البيان المغرب" أن إبراهيم بن أحمد الأغلبي أرسل قوة عسكرية من رقادة[3] الى طرابلس تحت إمرة إبنه أبو منصور أحمد بن إبراهيم لتأديب أبو العباس محمد بن زيادة الله بن الأغلب ابن عمه والي طرابلس، بعد تهديد من طرف الخليفة العباسي المعتضد بالله نظرًا لسوء سياسته مع رعيته، وخيره بين حسن السيرة أو ترك الأمر لأبي العباس محمد بن زيادة الله، مما آثار غيرته ونقمته عليه، وأظهر أنه يريد الخروج الى مصر، ومن ثم تضاربت الآراء في مغزى الخروج بين حملة تأديبية لنفوسة أو لتأديب ابن عمه محمد بن زيادة الله بن الأغلب، وبالطريق بين قابس وطرابلس إعترضت نفوسة الجيش الأغلبي ومنعته الجواز وكانوا في عشرين ألف رجل لا فارس معهم[4]، وكانت هزيمة قاسية لنفوسة، تبعتها حمالات آخرى على جبل نفوسة وقنطرار.

يبدوا أن الصدام مع نفوسة كان طارئا، فكانت ضحية سوء تقدير وتسرع منها فقد رفض كل من والي نفوسة وقنطرار أفلح بن العباس(ت281هـ/894م) وسعد بن يونس(ت بعد283هـ/896م) دخول هذه المغامرة بعدما قدرا أن دخول المعركة ليس في صالح الرستميين ولا النفوسيين[5]، هذا من جهة ومن جهة أخرى العصبية الزائدة لإبراهيم الثاني.

---

[1]- ابن خلدون: العبر، ج4، ص259. ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص118.

[2]- محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، ص335.

[3]- رقادة: بلدة بإفريقية، بينها وبين القيروان أربعة أيام، وهي دار ملك لبني الأغلب بناه إبراهيم بن أحمد بن الأغلب سنة(263هـ/876م)، ينظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج3، ص55-56.

[4]- ابن عذاري: المصدر السابق، ص129-130. محمد الطالبي: المرجع السابق، ص324.

[5]- ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، ص86-87.

سقوط تيهرت(296هـ/908م):

كان السقوط الفعلي لدولة الرستميين على يد أبي عبد الله الشيعي(ت298هـ/910م) سنة(296هـ/909م)، تلك الدولة التي كانت تمثل إمامة الظهور في أدبيات الإباضيين بالمغرب الإسلامي، عمل هذا الأخير على ترسيخ دعوة الفاطميين في بلاد المغرب والقضاء على أي أثر إباضي قد يشكل خطرا على مستقبل دولته الجديدة، فعمد الى قتل من بقي من السلالة الرستمية في تيهرت، وملاحقة الفارين الى تخوم الصحراء حيث تجمعوا بدينهم من الفاطميين بورجلان[1]، ثم التفت الى مكتبة المعصومة بإحراقها حتى يضع حدا لإشعاعها الفكري، فركز في عملية الحرق على كتب المذهب الإباضي[2]، مما كان له الأثر الكبير في ضياع أمهات المصادر الإباضية المغربية الدينية الفقهية منها والعقدية.

دفع بهم هذا الاضطهاد الى ستر مؤلفاتهم وحجبها عن عيون المخالفين، وربما امتدت أيادي الفاطميين الى المكتبات الخاصة، مما أدى الى انحصار تراثهم الثقافي في بقاع مغلقة كجبل نفوسة وورجلان وجزيرة جربة.

تجدر الإشارة هنا الى أن الوضع السياسي في بلاد المغرب لم يعرف الإستقرار رغم التفوق العسكري للفاطميين، وما فترات الإستقرار والسلام على قلتها إلا استعداد لثورة أو حملة عسكرية جديدة، فقد ذكر بن عذاري في "البيان المغرب" ما يفوق تسعة حملات عسكرية ضد الإباضية بين إخماد ثورة أو حملات توسعية ما بين سقوط تيهرت الى ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد(ت336هـ/948م)[3].

1- محمود اسماعيل عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب، ص232.

2- أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص170. الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص94-95. سليمان الباروني: الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية ، ج2، ص388.

3- ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص163-164. ومنها على سبيل المثال حملة عبيد الله الشيعي على نفوسة سنة (310هـ/923م)، تزعم جموع أبو يحيى زكريا الأرجاني الشهير بأبي بطة بعدما عقدوا له إمامة الدفاع، إنهزم

ثورة أبو يزيد مخلد بن كيداد[1](331هـ-336هـ/943م-948م):

تعتبر ثورة أبو يزيد مخلد بن كيداد من أكبر الثورات الإباضية من حيث الحجم والأثر، وأول إختبار حقيقي للوجود الفاطمي في بلاد المغرب[2]، من نتائج السياسية لهذه الثورة التعجيل برحيل الفاطميين الى مصر بعدما أدركوا أن الاستقرار ببلاد المغرب غير ممكن، نظرا لحجم القطيعة بينهم وبين رعيتهم، وهو ما جعل آخر خلفائهم ببلاد المغرب

فيها الشيعة في أول الأمر، ليعاود الشيعة حملة أخرى في نفس السنة كللت بحصار نفوسة، تزعم فيها جموع الإباضية أبو زكريا بن أبي يحيى الأرجاني. ينظر، ابن عذاري: المصدر نفسه، ص187. الشماخي: السير، ج2، ص390، محمود إسماعيل عبد الرزاق: الخوارج ببلاد المغرب، ص235- 236.

[1]- أبو يزيد مخلد بن كيداد:(272-336هـ/880-937م) ثائر إباضي نكاري المكنى بصاحب الحمار، ولد ببلاد بالسودان في رحلة تجارية لأبيه، رجع به أبوه الى بلاد الجريد(بتوزر)، تعلم القرآن وحفظه وأصبح معلما له، اعتنق المذهب الإباضي الذي كان سائدا في بلاد الجريد، كان مرافقا لأستاذه ابن الجمعي في رحلته الى سلجماسة مع أبي الربيع سليمان بن زرقون الى حين وفاة أستاذهما، رجع بعدها الى قسطيلية حيث شاعت شهرتهما بعد ذلك، مما جعله تحت عيون السلطة الفاطمية، لينتقل الى تاهرت مواصلا دعوته الى أن سقطت تاهرت في يد الشيعة فغادرها الى موطنه الأصلي مواصلا حركته العدائية ضد الشيعة بعد أن أخذ على نفسه بالحسبة وتغيير المنكر سنة(316هـ/928م)، ولم تكن حركاته خافية على السلطة الفاطمية، فتم اعتقاله ودخل السجن بعد أن عاد من رحلة الحج سنة(325هـ)، اتجه الى جبال الأوراس بعد فراره من السجن سنة(326هـ)، وأخذ البيعة من أنصاره على جهاد الشيعة، سنة (328هـ) أرسل إليه القاسم بن عبيد الله جيشا حاصره في جبال الأوراس خمسة سنين استطاع بعدها فك الحصار سنة(331هـ)، لتبدأ مرحلة جديدة في صراعه مع الفاطميين بعد أن جمع أنصاره، خرج من الأوراس واستولى على بعض المدن والحصون، فحاصر باغاية ثم باجة وتونس ثم القيروان ورقادة بعد أن حصل على دعم جديد من علماء المالكية وحاصر المهدية ثمانية أشهر ولكنه فشل في اقتحامها، لتبدأ مرحلة الضعف والفشل بعد أن تخلى عنه الكثير من الأتباع خاصة الإباضية الوهبية والمالكية بفعل سياسته الحربية التي لم تكن موفقة، من جهة ومن جهة أخرى السياسة الحربية الموفقة لإسماعيل المنصور الذي كتم وفاة أبيه القائم بأمر الله (322-334هـ/933-945م)، وعمل عل كسب دعم لقواته بالإغراء والعفو، ونجح في ذلك مع زيري بن مناد الصنهاجي وعامله على المسيلة علي بن حمدون، عمل أبو يزيد على لم شمل قواته من جديد ولكنه فشل وأصر الخليفة الفاطمي في طلبه بعد استرجاعه للمدن التي استولى عليها، ووقع في قبضة المنصور مثخنا بالجراح سنة(336هـ). ينظر أخباره في، أبو زكريا، سير الأئمة وأخبارهم، ص175-184، ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص216-220. ابن خلدون: العبر، ج7، ص18. ابن حماد: أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر، ب د تاريخ، القاهرة، ص53-78.

[2]- ونيس عامر: أبو يزيد مخلد بن كيداد ثورته وآراؤه، جامعة الزيتونة، المعهد الأعلى لأصول الدين، 1991، ص267. موسى لقبال: الحلف بين أهل السنة والنكارية في القرن(4هـ/10م) وأثره في تطور أوضاع مدن إفريقية والزاب والحضنة والأوراس، مجلة الأصالة، العدد60، أوت، الجزائر1978، ص60.

المعز لدين الله(341-365هـ/952-975م) يقول: "وقد ابتلانا الله برعي الحمير الجهال، فإنا لم نزل نتلطف في هدايتهم ومسايرة أحوالهم، الى أن يختم الله لنا بالحسنى والخروج من بين أظهرهم على أحمد حال"[1]، وهي عبارات على قساوتها في حق سكان بلاد المغرب إلا أنها تعبر بحق عن رفضهم للتشيع.

فرغم فشل هذه الثورة الا أنها أجبرت الفاطميين على تغير سياستهم في حكم بلاد المغرب التي كانت تقوم في عمومها على التعصب والبطش، مما كان السبب الأول لاندلاع الثورات الإباضية وهددت بزوال دولتهم، فجنحوا الى الاعتدال والسلم، وخففوا من حدة التعصب المذهبي بالتقرب من الخاصة (الفقهاء والمحدثين)، وتخفيف الضرائب على العامة[2]، أما بالنسبة للإباضية فقد تفرقوا الى أقاليم منعزلة في واحات الصحراء على فترات متقطعة ومتتالية، ووضعت حدًا لوجودهم في المناطق القريبة من مراكز العمران[3].

أما على الصعيد المذهبي تمكن المذهب المالكي بربوع شمال إفريقيا بعد أن انتصر له الصنهاجيون الزيريون خلفاء الفاطميين على بلاد المغرب، وعوض المذهبين الشيعي والإباضي، وأضحى كلاهما محل نقمة من طرف السنيين بعد هزيمة أبي يزيد مخلد بن كيداد، في مقابل ذلك أصبح المذهب الإباضي مرادف للسفك والنهب[4]، نتيجة تنصل أبو يزيد من الحلف الذي أبرمه مع المالكية لنصرته ضد الفاطميين[5]، وأصدر تعليماته

1- القاضي النعمان: المجالس والمسايرات، ص396-397.

2- محمود اسماعيل عبد الرزاق: الخوارج ببلاد المغرب، ص253،234،284.

3- ونيس عامر: أبو يزيد مخلد بن كيداد ثورته وآراؤه، ص269.

Virginie Provost: Ilfalisme et sufrisme dans le Maghreb central. Un article dans un livre. histoire generale de l'algerie L'Algérie médiévale. Sous la direction de HOUARI Touati. ministère de la Culture. Algerie.2012.p226.

4- ونيس عامر: المرجع السابق: ص266.

5- ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص 212. ابن خلدون: العبر، ج7، ص14.

لأصحابه بالانسحاب أثناء إحدى المعارك مع الفاطميين وتركهم لأصحاب القائم بأمر الله (322-334هـ/933-945م)، ونفذت المؤامرة بإحكام[1].

على إثر ذلك فقد أبو يزيد مخلد بن كيداد ثقة المالكيين بعدما اعتبروا ثورته أملاً في الخلاص من الفاطميين لما بدا لهم من الوهلة الأولى من التزامه الكتاب والسنة واحترامه لمذهب الإمام مالك[2].

ثورة أبي خزر يعلى بن زلتاف[3](358هـ/969م):

بعدما شعر الفاطميون بخطورة النتائج المترتبة على سياسة التعصب المذهبي لجؤ الى سياسة اللطف والملاينة مع أتباع المذاهب الأخرى خاصة الإباضية، حتى ولو كانت تُقية مع تغذية الصراعات الداخلية بين الفرق الإباضية الوهبية والنكار[4]، فقد كان أبو القاسم يزيد بن مخلد(ت358هـ/968م) مكينا عند الخليفة الفاطمي أبو تميم المعز (341-365هـ/952-975م) ومسائله عنده مقضية، وكان من المقربين عنده قال المعز الفاطمي في حقه: "أما يزيد بن مخلد فلم تلد العرب مثله"[5]، هو المقدم بين قومه، قومه، الذي إذا دخل القيروان اهتزت لمكانته في العلم والجاه زيادة على ثرائه المالي[6].

شخصية بهذا الموصفات جديرة بأن يُحذر منها، وتكون عادة محل حسد ووشاية، تكدرت العلاقة بينهما بسبب اتهامه بالتحضير للخروج على الفاطميين، وأمر المعز واليه

1- محمد بن عميرة: دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص222، محمود اسماعيل عبد الرزاق: الخوارج في بلاد المغرب، ص247.

2- موسى لقبال: الحلف بين أهل السنة والنكارية في القرن(4هـ/10م) وأثره في تطور أوضاع مدن إفريقية والزاب والحضنة والأوراس، مجلة الأصالة، العدد60، أوت، الجزائر 1978، ص62،57.

Nejmeddine Hentati: Les juristes malikites en Occident musulman entre soumission et révolte (n e-(ixe/v iiie-xve siècle), islaiic lAaw and socIiety 21, (2014),p368-371.

3- سبق التعريف به في الفصل الأول.

4- محمد حسن: القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، ص174.

5- الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص123.

6- الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، ج2، ص361.

على الحامة[1] بقتله، فثارت جموع الإباضية ببلاد المغرب في طلب ثأره في واقعة بغاي[2]، قاد جموع الإباضية في هذه الثورة أبو خزر يغلا بن زلتاف(ت380هـ/990م) بعدما بايعوه إماما للدفاع[3] مع صديقه أبي نوح سعيد بن زنغيل(أوائل القرن4هـ/10م)، انهزاما فيها أمام الفاطميين في واقعة بغاي سنة(358هـ/967م)[4]، بعد أن تعجلوا النصر بمحاصرتهم بغاي وقتل وليها للفاطميين، كان ذلك قبل وصول الإمدادات التي طلبها أبو خزر يغلا من حلفائه بورجلان.

الأمر الذي أثار حفيظة أبو تميم المعز وشعر بخطورة الموقف فلجأ الى أسلوب الملاينة من خلال عرضه المغري المتمثل في المحافظة على استقلالهم على حدود الدولة الرستمية القديمة[5]، إلا أن وقوع رسائلهم الى الأمويين في الأندلس في يده، جعلته جعلته يدرك أن المواجهة العسكرية أصبح أمرًا حتميًا، فزحف بعسكره على بغاي في

1- من مدن بلاد الجريد أو قسطيلية، ينظر، البكري: المسالك والممالك، ج2، ص708-709.

2- يتأكد هذا الاتهام من طرف أبو القاسم يزيد بن مخلد حين أبدى موقفه من ثورة أبو يزيد مخلد ضد الفاطميين "لقد فتح فيهم أبو يزيد فتحًا لو أحسن السيرة"، مما يوحي الى استحسانه الثورة على الفاطميين، وتتأكد هذه الشكوك حين دخل على المعز الفاطمي وطلب منه رؤية سيف جده رسول الله صلى الله عليه وسلم، استجاب المعز لرغبة أبو القاسم وناوله السيف، ثم تملكه خوف جعله يشعر بخطئه حين سلمه السيف وقال: إني لم آمن على نفسي حين مكنت أبا القاسم من السيف حتى يُرجع السيف الى يدي" وهي عبارات تدل فعلا أن العلاقة الفاطمية الإباضية كانت حذرة الى أبعد الحدود. ينظر، الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص124-126، معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج2، ص467-468. وعن بغاي: هي بلد يقع على سفح جبل لأوراس شمال مدينة خنشلة الحالية، تنسب في الأصل لقبيلة بربرية تدعى باغاية، وهي مدينة كبيرة في أقصى إفريقية بين مجانة وقسنطينة الهواء. ينظر، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، ص386. وصفها الإدريسي بأنها مدينة في بلاد المغرب عليها سوران من حجر وربض عليه سور وكانت الأسواق فيه ثم أصبحت الأسواق في المدينة، أفسدها الأعراب، وهي أول بلاد التمر. الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1989،ج1، ص276. البكري: المصدر السابق، ص710.

3- الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص127.

4- الشماخي: السير ،ج3، ص916.

PREVOST Virginie: La révolte de Bagaya (358/969) le dernier soulèvement des ibadites maghrébins, Journal of Near Eastern Studies 65-3 (2006), 197-206.

5- الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص127.

الثالث والعشرين من شوال سنة(358هـ/967م)[1]، انهزم فيها جيش أبي خزر يغلا وتفرقت جموع الإباضية، وهي آخر محاولة لإقامة إمامة الظهور بعد سقوط الدولة الرستمية[2].

أمام هذا الهزائم المتتالية وأمام غياب سلطة سياسية تلم شمل إباضية المغرب المشتتين بين جبل نفوسة وورجلان وبلاد الجريد[3] وجربة، تتالت عليهم حملات عسكرية آخرى، كحملة جربة سنة(431هـ/1040م) وتخريب قلعة درجين سنة(440هـ/1048م)[4].

1- الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص129.

2- الشماخي: السير، ج3، ص833.

3- بلاد الجريد: مجموعة من الواحات جنوب تونس تشتمل حسب ابن خلدون على مدن "نفطة وتوزر وقفصة وبلاد نفزاوة وتسمى كلها بلاد قسطيلية كثيرة العمران مستحكمة الحضارة، مشتملة على النخيل والأنهار" ، وهي نفس الإقليم الذي يذكره البكري ببلاد قسطيلية "فأما بلاد قسطيلية فإن مدنها توزر والحامة ونفطة...كثيرة النخيل والبساتين والثمار"، أهلها شراة وهبية إباضية، ينظر، ابن خلدون: العبر، ج6، ص132. البكري، المسالك والممالك، ج2، ص708-709، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص348.

4- محمد حسن، نص كتاب السير بين رحابة المجال وطرافة الخبر، صمن: الشماخي: كتاب السير، ج1، ص46. زهير تغلات: الفكر الإباضي التجليات السياسية والحضارية، دار الحوار، سورية، ط1، 2016، ص47.

ب- المرحلة الثانية: من ظهور نظام العزابة(409هـ/1018م) الى وفاة أبي يعقوب الورجلاني(570هـ/1175م).

أهم ما يميز هذه المرحلة هو خروج الفاطميين الى مصر سنة(361هـ/972م) وعقد ولاية المغرب للزيريين (بلكين بن زيري361-373هـ/972-984م) بعد الخدمات الجليلة التي قدموها للفاطميين في قمع ثورات الزناتية الإباضية، خاصة ثورة أبو يزيد مخلد بن كيداد(ت336هـ/947م).

حملة المعز بن باديس على جربة سنة(431هـ/1039م):

لم تكن الأوضاع بجزيرة جربة بأحسن حال من بقية مراكز تجمع الإباضية، فقد كانت ملاذا للمعارضين الإباضيين للسلطة الرستمية خاصة الخلفية والنكارية بفعل مضايقات الوهبية لهم في جبل نفوسة وبلاد الجريد وتحصنوا بها بل أحكموا سيطرتهم عليها، تدعم نفوذهم أكثر بفعل استغلالهم لانتصارات أبي يزيد مخلد بن كيداد(336هـ/937م) النكاري على الفاطميين في المراحل الأولى للثورة، غير أن هذه الثورة لم تكلل بالنجاح وانتهت بهزيمة النكارية ومقتل زعيمها، وهو ما حفز الوهبية على انتهاز الفرصة وإعادة هيبتها على الجزيرة بدخول أبو مسور يسجا بن يوجين(أواخر ق3هـ/9م)[1] الجزيرة والاستقرار بها[2]، مستغلا قرابته من زعيم النكارية في جربة خلف بن أحمد.

1- من أجل علماء الإباضية في زمانه طلب العلم بجبل نفوسة ثم عاد الى موطنه جزيرة جربة، من أهم أعماله إعادة هيبة الوهبية على الجزيرة بعد سيطرة النكار والخلفية عليها بالطرق السلمية، ينظر: معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج2، ص468.

2- أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص253.

تعزز هذا المجهود بداية من القرن الخامس هجري بتأسيس نظام العزابة مع ابنه أبو زكريا فصيل بن أبي مسور(ق5هـ/11م)[1]، فالصراع بين الوهبية والنكار كان على أشده.

ويبدوا أن النكار لمسوا من أنفسهم قوة فخرجوا على سلطان المعز بن باديس(401-454هـ/1016-1062م) وأحكموا قبضتهم على الجزيرة، وألحقوا أذًا بأهلها الوهبية الذين كانوا مدارين للسلطة الزيرية[2]، ولم تذكر المصادر إسم قائد هذا التمرد، على إثر ذلك جهز المعز جيشا بقيادة إبراهيم بن ينمو المزاتي(ق4هـ/10م)[3] لاستعادة الجزيرة بعد أن كاتب مقدم الوهبية أبو زكريا فصيل بن أبي مسور يطلب منه الإعتزال بمن معه حتى لا ينالهم أذى الجيش الغازي[4]، وكانت نتيجة الغزو استرجاع الجزيرة لسيادة الصنهاجيين، وفرض ضريبة مالية على أهلها، بعد أن استباحها جند المعز بن باديس وقتل من علمائها الكثير اللذين اعتبروا رؤوسا للفتنة[5].

1- أبو زكريا فصيل بن أبي مسور (ت بين420-440هـ/1029-1048م) من علماء الإباضية بجربة، من أهم تلاميذه مؤسس حلقة العزابة محمد بن أبي بكر، هو صاحب الفكرة الأساسية لنشأة نظام العزابة، لذلك سمي هذا النظام "بالسيرة المسورية البكرية" نسبة إليه والى محمد بن بكر، ينظر: معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج2، ص339.

2- التجاني: رحلة التجاني، ص125.

3- قائد من قواد المعز بن باديس الصنهاجي، كان على مذهب الإباضية من قبيلة مزاتة، تصفه الروايات الإباضية بالظلم والجور. ينظر، الوسياني: سير، ج1، ص298-299، الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص362. الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، ج2، ص363.

4- الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص362، ج1، ص161. فرحات الجعبيري: نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة، ط2، دون دار نشر ولا مكان النشر، 2016، ص250.

5- التجاني: المصدر السابق، ص125، يتوقف كل من المؤرخين المعاصرين للمذهب الإباضي فرحات الجعبيري وعلي يحي معمر من موقف الشيخ فصيل بن أبي مسور في مجراته للسلطة الزيرية في حملة المعز بن باديس، فقد كان من بين الضحايا علماء الوهبية وهم من خاصته كأبو عمرو النُميلي وأبو صالح اليهرساني الزواغي وهم من مشائخ العزابة، فكيف لمقدم الإباضية بالجزيرة أن يسمح بهدر دماء أصحابه وتلامذته بهذه السهولة، وهو فعلا موقف غير مفهوم. ينظر، فرحات الجعبيري: نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة، ص251. علي يحي معمر: الإباضية في موكب التاريخ، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، عمان، ط3، 2008، ص553.

حصار قلعة درجين[1] سنة(440هـ/1048م):

تعتبر درجين من أهم قواعد المذهب الإباضي ببلاد الجريد قبل القرن الخامس الهجري، فقد كانت مركز إداري جهوي للدولة الرستمية في القرن(3هـ/9م)، وملجأ للفارين إليها من مناطق تشترك معها في الانتماء المذهبي بعد سقوط الدولة الرستمية خاصة من جبل نفوسة[2]، من ذلك ما كان سنة(430هـ/1039م) وبقية مناطق الإباضية الأخرى بفعل المضايقات السياسية أو الأزمات الاقتصادية[3].

فقد ذكر أبو زكريا يحيى الورجلاني(471هـ/1078م) أن قبيلة مزاته التي كانت تستوطن درجين كانت تعد ثمانية عشر ألف فارس سنة(325هـ/937م)[4] مع قلعتها شديدة التحصين، ما جعلها المقصد الأول لأبو يزيد مخلد بن كيداد بعد فراره من سجن الفاطميين، ويحتمل أنه أراد أن تكون منها الشرارة الأولى لثورته قبل جبل الأوراس، إلا أنه لم يجد عند أصحابها ما يريد.

ولعل قوة بهذا الحجم لم تكن لتخفى على عيون السلطة الزيرية فسير المعز بن باديس(406-454هـ/1016-1062م) حملة عسكرية إليها بعد أن أصبحت تشكل خطرا على نفوذ الزريين في بلاد الجريد، ما جعل القيروان تهتز وضربت الطبول لأجل ذلك[5]

1- درجين: نسبة الى قبيلة بربرية وهبية، وهي آخر البلاد الجريدية، مدينة قديمة، غرب مدينة نفطة، وهي إحدى قواعد المذهب الإباضي ببلاد الجريد، ينظر، محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984، ص236. الشماخي: السير، ج3، ص852.

2- محمد ضيف الله: أضواء على موقع أثري بالجنوب التونسي، قلعة درجين ورجالها، مجلة الحياة الثقافية، العدد213، ماي2010، ص72.

3- مسعود مزهودي: جبل نفوسة في العصر الإسلامي الوسيط، ص228.

4- أبو زكريا: أخبار الأئمة الرستميين، ص178. صالح باجي: الإباضية بالجريد، ص40.

5- ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص276.

فرحا بنجاح الحملة بعد حصار شديد، استبيح ما في القلعة وهدمت وكان عدد الضحايا ألف وخمسمائة[1].

دخول القبائل الهلالية بلاد المغرب الإسلامي:

بعد أن خلع المعز بن باديس طاعة الفاطميين بمصر سنه(440هـ/1048م) سير له الخليفة الفاطمي المستنصر (427-487هـ/1035-1093م) بمصر بمشورة من وزيره اليازوري قبائل بني هلال وبني سليم لتأديب المعز "العبد الآبق"[2] على حد قول هذا الوزير، بدأ الغزو الهلالي سنة(442هـ/1051م) من برقة ليصل الى القيروان سنة(443هـ/1052م)[3]، اضطر المعز على إثر فشل خططه الحربية التخلي عن القيروان واتجه صوب عاصمته الجديدة المهدية[4] سنة(449هـ/1057م)، فكانت الطريق مفتوحة أمام هذه القبائل الى المغرب الأدنى والأوسط، وساعد خلو الأرض من أصحابها الزناتيين اللذين كانوا على مذهب الإباضية بفعل الحملات العسكرية المتكررة والمتتالية للمعز بن باديس، فاستوطنوها وعاثوا في أطرافها[5].

الأمر الذي زاد في إضعاف القبائل الزناتية، والتي كانت حاملة لواء المذهب الإباضي في شرق بلاد المغرب، نظرا لوقوع مواطنها في مسلك طريق العرب الهلالية، خاصة وأن مواطن زناتة كانت تغري العرب الهلالية لتشابه هذه الأقاليم مع مواطنهم الأصلية، أدى ذلك الى حصر المذهب الإباضي في جهات معينة، واختفاء العناصر

---

[1]- الشماخي: السير، ج2، ص588، 670. الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص407.

[2]- ابن خلدون: العبر، ج6، ص20.

[3]- ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص289-209.

[4]- المهدية منسوبة الى عبيد الله المهدي الشيعي بينها وبين القيروان ستون ميلا ، ينظر، البكري، المسالك والممالك، ج2، ص681.

[5]- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج8، ص295-296. ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص20-22.

الإباضية من بلاد الجريد وحتى مناطق ورجلان، من خلال تدمير البنية الاجتماعية والثقافية لهذه المناطق[1].

حاصر الزحف الهلالي التجمعات الإباضية في جهات محددة، وسبب لهم مضايقات كثيرة، بل صاروا أشتاتا بعد سيطرة بني هلال على بلاد الجريد[2]، فأجلوهم من جنوب إفريقية الى جنوب المغرب الأوسط[3]، خاصة وأن هذه المواقع كانت في مسلك طريقهم في اتجاه الغرب، بين الأطلسين التلي والصحراوي وأصبحوا يتحكمون في مناطق واسعة محدثا تغيرا كبيرا في البنية الثقافية والإجتماعية والبشرية، وقد كان من نتائجها إختفاء المذهب الإباضي من بلاد الجريد بعد نزوح عدد من الجماعات الإباضية الى مناطق ورجلان[4].

انطلاقا مما سبق يمكن القول إن قدوم العرب الهلالية نقمة على التجمعات الإباضية لما أوقعه من اضطراب سياسي واقتصادي، ولكنه يحمل في طياته نعمة لما كان لهم من أثر في توطيد اللغة العربية وخدمة الثقافة الإسلامية[5]، وهو ما مكن علماء علماء الإباضية من امتلاك ناصية اللغة العربية وتشجيع طلاب العلم على ذلك، فقد روي عن أبو محمد ويسلان بن أبي بكر(حي بعد431هـ/1039م) أن تعلم حرف من العربية كتعلم ثمانين مسألة من الفروع[6]، لذلك نجد إكتساب العلوم والتخصص فيها عند

1- علاوة عمارة: الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، العدد10، جانفي 2009، ص12.

2- حسن حافظي علوي: مراجعات حول الصراع السني الإباضي ببلاد المغرب، ضمن كتاب الصراع المذهبي ببلاد المغرب، ص98.

3- الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، ج1، ص288.

4- علاوة عمارة: المرجع السابق، ص13، 25.

5- أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1350هـ، ص129.

6- الشماخي: السير، ج2، ص590.

عند إباضية المغرب يقتضي السفر الى مواطن اللغة العربية من أجل إتقانها كالقيروان وتونس.

إن موقف علماء الإباضية من العرب الهلالية موقف سلبي لا من اللغة بل من أعمالهم، فقد توقف علماء الإباضية في التعامل المالي مع الأعراب بداعي أن أمواهم كسب حرام، قال الشيخ أبو عمار عبد الكافي(ت570هـ/1174م) وهو بمكة لأداء مناسك الحج إجابة عن سؤال في كيفية التعامل التجاري مع عرب الجزيرة: "هذه جزيرتهم الأقعد فيما بين أيديهم والأغلب عليه الحلال، وتلك جزيرة البربر إنهم فيها غارة وكل ما بأيدي الغارة ريبة، فإنهم في بلادنا غارة، ونحن البربر في جزيرتنا كالعرب في جزيرتهم"[1].

بسط السيادة المالكية:

كانت البوادر الأولى للقطيعة مع الفاطميين بمصر من طرف الزريين مع أبي الفتوح بلكين حين وصله نبأ وفاة المعز الفاطمي(341-365هـ/952-975م) قال تقي الدين أحمد بن علي المقريزي على لسان أبي الفتوح "بعدت مصر عن المغرب وقد صار المغرب والله في أيدينا الى دهر طويل"[2]، وتعززت مع تسلمه كتاب الولاية وهو بأشير[3] من الخليفة الفاطمي بمصر العزيز بالله(365-386هـ/975-996هـ) حين قال: "وما أنا في هذا الملك ممن يولى بكتاب ويعزل بكتاب لأني ورثته عن آبائي وأجدادي، ورثوه

---

[1]- الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص490.

[2]- المقريزي: اتعاض الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق جمال الدين الشيال، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ط2، 1996، ج1، ص234.

[3]- أشير: مدينة في جبال البربر بالمغرب في طرف افريقية الغربي مقابل بجاية، تمتاز بعيونها كثيرة وسعة فضائها، كانت خالية وليس بها أحد، أول من عمرها زيري بن مناد الصنهاجي سنه(324هـ) تملكها من بعده بنو حماد ينظر، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، ص202-203

عن آبائهم وأجدادهم حَمير"[1]، وتعززت هذه البوادر بقطع حماد بن بلكين الدعوة الفاطمية وإعلان طاعته للعباسيين سنة(405هـ/1014م).

تكللت هذه البوادر بإعلان القطيعة الرسمية سنة(440هـ/1048م) من طرف المعز بن باديس والاستقلال التام والفعلي عن الوصاية الفاطمية، واتخذ من المذهب المالكي مذهبا رسميا للدولة[2]، وما لازم ذلك من تضيق على أنصار المذهب الشيعي الى حد التعصب والقتل، قال بن عذاري معبرا عن هذه الملاحقات "فانصرفت العامة اليهم من فورهم، فقتلوا منهم خلقا رجالا ونساء، انبسطت أيدي العامة على الشيعة وانتهبت دورهم وأموالهم، وتفاقم الأمر وإنتهى الى البلدان فقتل منهم خلق كثير"[3]، ولا شك في دور علماء المالكية في إسداء النصح للسلطان وإصدار الفتوي في هذا الشأن[4]، حتى خلت البلاد من الشيعة، وهي الخطوة الأولى في إقامة السنة بعد أن كانت متروكة والقضاء على الاتجاه المبتدع، والخطوة الثانية ملاحقة أتباع المذهب الإباضي، ليتحول الصراع المذهبي من مالكي شيعي الى مالكي إباضي.

وقد تُرجم هذا الصراع في التضيق على نشاط الإباضين من خلال الحملات العسكرية السابقة الذكر وفتح هذا المجهود العسكري المجال أمام انتشار المذهب المالكي المدعوم بالسلطان أمام المذهب الإباضي، وإن كان الأمر تم على مراحل تدريجية طويلة بفعل عدة أسباب سياسية كانتشار المذهب المالكي المدعوم بالقضاة في مواطن الإباضية، والحضور الهلالي الذي ربط المناطق التي كانت تحت نفوذه بفلك الثقافة

---

[1]- ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص240.

[2]- ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص277. نجم الدين الهنتاتي: الصراع المذهبي بالقيروان وتفاعله مع واقعها الإجتماعي والعمراني الى منتصف القرن الخامس الهجري، حوليات الجامعة التونسية، العدد44، 2000، ص175، 195.

[3]- ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص268

[4]- نجم الدين الهنتاتي: المرجع السابق، ص190.

السائدة المعتمدة أساسا على المذهب المالكي واللغة العربية[1] مع ظهور شبكة صوفية مالكية مارست نشر المذهب المالكي، وأسباب أخرى مذهبية محضة كالصراع الداخلي بين مختلف الفرق الإباضية والذي كان من العوامل المهمة في تراجع المذهب الإباضي لصالح المذهب المالكي[2].

إضافة الى ذلك التقارب الكبير بين المذهبين[3]، خاصة في الفروع وهو ما جعل الممارسة التعبدية تكاد تكون على شكل واحد، ولم تكن العامة من الطرفين ملمة بأصول الاختلاف المذهبي بينهما نظرا لطابع البداوة الذي كان يغلب على القبائل البربرية وبعدها عن النقاش والجدل والكلامي الذي كان في الحواضر.

السلطة الحمادية وعلاقتها بالإباضية:

لا تتحدث المصادر التاريخية بشكل واضح عن العلاقة بين إباضية المغرب والسلطة الحمادية إلا في حدود ما كان من ملاحقة القبائل الزناتية المناوئة للسلطة، أو تأديب الهلاليين وتأمين الطرق التجارية، كحملة المنصور الحمادي سنة(405هـ/1014م)[4]، وحملة بلقين بن محمد بن حماد(447-454هـ/1055-1062م) سنة(429هـ/1058م) على زناتة في مضاربهم في المغرب الأوسط، بالتحالف مع القبائل العربية الأثبج وعدي وتم إجلائهم الى مشارف الصحراء ورجلان [5].

1- علاوة عمارة: الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب، ص26.

2- علاوة عمارة: قراءة وعرض في كتاب المغامرة الإباضية في الجنوب التونسي ل فرجيني بريفو Virginie Prévost(باحثة بلجيكية معاصرة مهتمة بالتاريخ الإباضي)، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد12، 2011، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، ص517.

3- علاوة عمارة: "بين جبل الأوراس والواحات: ظهور وانتشار واختفاء الجماعات الإباضية بالزاب (ق2-3هـ/8-9م)"، ترجمة عبد القادر مباركية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد09، جانفي2017، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، الجزائر، ص272-273.

4- رشيد بوروينة: الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، لطباعة الشعبية للجيش، الجزائر،2007، ص72.

5- ابن عذاري: البيان المغرب، ج1، ص294.

وفي سنة (450هـ/1059م) تعرض وهبية ورجلان- التي كانت تمثل الحدود الجنوبية لدولـة بنـي حمـاد[1]- الـى هجـوم قائـد مـن قـواد السـلطان الحمـادي أبو زعبل الخزري[2] بسبب فتنة مذهبية بين المالكية والإباضية، احتاطت لها جموع الإباضية قبل وصول الجيش الحمادي الذي فرض حصارا تزامن مع سوء الأحوال الجوية فلم يجدي الحصار نفعا ولاذ العزابة بالفرار وتفرقوا[3].

والمتتبع للأحداث يجد أن المصادر التاريخية لم تتحدث كثيرا عن هذه الوقائع، مرد هذا الشح في المعلومة في المصادر هو التزام جموع الإباضية الحياد السياسي وتجنب الى أقصى حد الدخول في صراع عسكري رغم الإختلاف المذهبي، وما ذلك إلا احتراما لمسالك الدين (إمامة الكتمان) إلا ما كان أمرا واقعا، فالأولى في هذا المسلك هو الدخول في طاعة السلطة الحاكمة تُقية، فقد ذكر الدرجيني أن الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد اللواتي العاصمي(ت528هـ/1133م) دخل قلعة بني حماد مستترا في زي التجار بحثا عن كتاب عبد الرحمن بن رستم في التفسير لما علم أنه يباع في أسواقها "فجعل يسأل عن الكتاب في خفاء برفق وسياسة"[4].

وهي دلالة واضحة على الحذر المطلوب في العلاقة بين الإباضية والحماديين، وأداء فروض الطاعة من خلال تقديم المغارم المالية التي تفرضها السلطة، هذا من جهة ومن جهة أخرى انشغال الحماديين طوال تاريخهم بمناجزة أبناء عمومتهم الزيريون حول مناطق النفوذ في المغرب الأوسط والأدنى، خاصة في المرحلة الأولى لتأسيس الدولة، ثم الإهتمام بالمناطق الشمالية البحرية في المرحلة الثانية التي تمثل قمه عهد الاستقرار

1- عبد الحليم عويس: دولة بني حماد، دار الصحوة والوفاء، د ت، ص 86.

2- لم نعثر على ترجمة له.

3- الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص478-479. الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، ج2، ص369.

4- الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص471.

بعد نقل عاصمتهم الى بجاية، التي اتجهت منها أساطيل العزيز(حكم بين498-515هـ/1105-1121م) الى جربة وتمكنت من اخضاعها وإدخالها في طاعة الحماديين[1] بعد أن عرفت الدولة الزيرية تراجعا، وعليه لم تكن الأقاليم الجغرافية الإباضية في الجنوب تغريهم إلا ما كان يهدد طرق التجارة أو الحدود الجنوبية للدولة.

السلطة الموحدية والإباضية:

ذكر أبو يعقوب الورجلاني في كتابه "الدليل والبرهان" أن شيخه أيوب بن إسماعيل[2] حين ظهور دعوة محمد بن تومرت(471-524هـ/471-524م) أعجب بها وفضلها على ثورة أبو يزيد مخلد بن كيداد وحُكم المرابطين اللذين يصفهم بالمشبهة، قال أبو يعقوب الورجلاني: "فجرى حديث المهدي في أول بدئه حكمه في هؤلاء المشبهة – المرابطين- فقال الشيخ أيوب بن إسماعيل (ق6هـ/12م): لكن هذا ـ يريد بن تومرت ـ قد أحسن السيرة ردًا على أبي يزيد مخلد بن كيداد"[3].

هذا وقد أشار أبو يعقوب الورجلاني حين استشارته له من طرف أصحابه حول داعي الموحدين الى ورجلان في الدخول في طاعتهم، فأشار عليهم بتلبية طلبهم ولزوم طاعتهم قال الورجلاني: "تنالون في أيامهم عزا وإقبالا، وتلقون منهم في بلدهم خير لقاءً واكراما واحسنا"[4]، هذا وقد كانت لأبي يحيى زكريا بن صالح اليهراسني[5](ق6هـ/12م)

1- ابن خلدون: العبر، ج6، ص335. عبد الحليم عويس: دولة بني حماد، ص 150.

2- أيوب بن إسماعيل(ق6هـ/12م): (ط11: 500-550هـ/1106-1155م) من علماء الإباضية بورجلان، من أشهر تلاميذته أبو يعقوب الورجلاني وأبو عمار عبد الكافي. ينظر، معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج2، ص65.

3- أبو يعقوب الورجلاني: الدليل والبرهان، ج2، ص102.

4- الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص493-494.

5- أبو يحيى زكريا بن صالح اليهراسني(ط12: 550-600هـ/1155-1203م) من أعلام المذهب الإباضي بجربة، وكانت له تجارة واسعة في عواصم المغرب الإسلامي عادت بالجاه والسلطان فقد كان من خاصة الخليفة الموحدي

من كبار التجار الإباضيين بجربة علاقات تجارية مع مراكش بالمغرب الأقصى، وكانت له صلات طيبة مع الخليفة الموحدي يعقوب المنصور (580-595هـ/1184-1199م) وكان من خاصته[1]، وقد استعان إباضية جربة بسلطة الموحدين من أجل تخليص الجزيرة من غزو النصارى للجزيرة سنة(555هـ/1160م)[2].

أما ما كان من علاقة الإباضية بالمرابطين السياسية في فترة البحث فلا تكاد تذكر إلا ما كان من موقفهم الفكري منهم بإعتبارهم مشبهة[3]، أو ما كان من ردود فعل بنو غانية في محاولة يائسة في استرجاع مجد المرابطين، فكانت مواطن الإباضية ممن نالها الحملات العسكرية لبني غانية في جنوب إفريقية وورجلان، بعد هزائمهم في المغرب الأوسط أمام المنصور الموحدي(580-595/1184-1198م)[4]، وقد كان علي بن غانية نفسه ضحية لهذه المحاولات ببلاد الجريد سنة(582هـ/1184م)[5]، فقام بالأمر من بعده أخوه يحيى بن إسحاق، الذي واصل سياسة أخيه بعد أن استرجع من الموحدين الواحات الواقعة جنوب افريقية سنة(584هـ/1181م) واستمرت مناوشاته مع الموحدين في الأقاليم الإباضية منها حصار جبل نفوسة (606هـ/1210م)[6] وبلاد

يعقوب المنصور، واستغل هذا الجاه والسلطان في خدمة المذهب الإباضي، ينظر، معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج2، ص161.

1- الشماخي: السير، ج2، ص342.الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص 502-504. محمد حسن: القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، ص167.

2- فرحات الجعبيري: نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة، ص261.

3- أبو يعقوب الورجلاني: الدليل والبرهان، ج2، ص102. الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص494.

4- محمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين، القسم الثاني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1990، ص153.

5- ابن خلدون: العبر، ج6، ص 254-256. التجاني: رحلة التجاني، ص162.

6- الشماخي: المصدر السابق، ج2، ص774.

الجريد سنة(618هـ/1220م) وورجلان سنة(626هـ/1229م) الى غاية وفاته سنة(631هـ/1234م)[1].

يمكن القول أن الجمعات الإباضية في المغرب الإسلامي عاشت أقاليم شبه مستقلة عن السلطة الحاكمة، لا تخضع لسلطتها خضوعا كليا بعد سقوط دولتهم بتيهرت وتتالي الهزائم مع الفاطميين أو مع الصنهاجيين وحتى مع الموحدين، فكانت تبعية الأقاليم إسمية فقط، يترتب عليها دفع الإتاوات المالية المفروضة عليهم مع غض الطرف عنهم إلا إذا بدر منهم ما يسوء السلطة الحاكمة.

ج- الإختيارات الاستراتيجية للأقاليم الإباضية بعد سقوط الدولة الرستمية:

تشترك التجمعات الإباضية في المشرق والمغرب في خصوصية المكان والموقع، فقد كان تواجد أنصار هذا المذهب في مواقع جغرافية تتميز بتضاريس وعرة وعلى أطراف المدن، وهي إختيارات مقصودة، الغرض منها في الغالب عسكري، إذ تضمن مثل هذه الموقع الحماية، ولا تكون هذه الأقاليم محل أطماع الأخر كما هو الحال في عمان في بلاد المشرق وجنوب إفريقية كقسطيلية[2] والحامة ونفطة[3] وقنطرار وتقيوس[4]، وتقيوس[4]، وجزيرة جربه التي تحميها مياه البحر من كل الجهات.

ضف الى ذلك قساوة الطبيعة كما هو الحال في ورجلان وسدراتة وفي جبال بني مصعب بالمغرب الأوسط، فهذه المدن كانت على مشارف الصحراء يصعب الوصول إليها إذ تمثل البيئة الجبلية والصحراوية من معوقات بسط السلطة السياسية نفوذها، وهي

1- ابن خلدون: المصدر السابق، ج7، ص98.

2- قسطيلية من بلاد الجريد من أرض الزاب الكبيرة عليها صور حصين، وبها تمر يجلب الى إفريقية، أهلها شراة وهبية إباضية، أنظر، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص348.

3- مدينة بإفريقية من أعمال الزاب، أهلها شراة وهبية متمردون، ينظر، ياقوت الحموي: المصدر نفسه، ج5، ص296.

4- مدينة بإفريقية بالجريد قريبة من توزر، ينظر، ياقوت الحموي: المصدر نفسه، ج2، ص37.

أفضل مأوى للحركات المعارضة السياسية والمذهبية، تناسب هذا الخيار الجغرافي مع مرحلة من مراحل الإمامة في الفقه السياسي الإباضي وهي مرحلة الكتمان، مرحلة يلجأ اليها في حالة الضعف.

هذه الاختيارات قد تعني للوهلة الأولى الانعزال والانطواء بغية المحافظة على روح المذهب، وإن كان ذلك صحيحا، فإنها أقاليم مفتوحة على الأخر لاعتبارات اقتصادية تجارية، فقد كانت هذه الأقاليم نقاط مراقبة وتحكم في الطرق التجارية وفي حركة القوافل، مما يجعلها من جهة أخرى مواقع استراتيجية[1].

لقد أهل الموقع الجغرافي الاستراتيجي لهذه الأقاليم البعيدة نسبيا على الأحداث العسكرية للتحكم في الطرق التجارية، فقد كانت نفوسة وبلاد الجريد على الطريق بين المشرق والمغرب ومفتوحة على الجنوب، وجربة على الطريق البحري وورجلان على حافة الصحراء وفي مفترق الطرق التجارية الكبرى من الشمال نحو الجنوب مما يجعل هذه المناطق تحت عيون مختلف السلط السياسية بل يكاد يكون الصراع العسكري الذي كان بين الإباضية ومختلف القوى العسكرية الأخرى سببه الرئيسي إقتصادي محض هو الإستلاء على طرق التجارة خاصة طريق الذهب والعبيد[2].

ذكر الإدريسي(ت564هـ/1160م) أثناء حديثه عن ورجلان مثلا أن أهلها مياسير وأنهم يجبون بلاد السودان ويدخلون بلاد غانة، ويأتون منها بالتبر ويضربونه دنانير

---

[1]- الشماخي: السير، ج1، ص33.
Alloua Amara: communautés oasiennes et tradition mAnuScRite Arabe : L'exemple Des collections Privées Des oued Saïd Au Gourara (Algérie). Un article dans un livre.Les non-dits du nom Onomastique et documents en terres d'Islam. Sous la direction de Christian MULLER et Muriel roilAand-rouabah. Institut français du Proche-Orient. Presses de l ifpo.2013.p145.

[2]- عمر بوعصبانة: معالم الحضارة الإسلامية بورجلان، دار نزهة الألباب، غرداية، ط2، 2013، ص181.

يتعاملون بها في تجارتهم[1]. وهو ما يُفسر الاستقرار الأمني في ورجلان، فكانت المقصد الأول للمؤسس حلقة العزابة محمد بن بكر الفرسطائي(ت440هـ/1049م) من أحل بث مشروعه الإصلاحي.

ساعد هذا النشاط الاقتصادي في التخفيف من حدة التقوقع والانغلاق وساهم في انفتاح الإباضية على الأخر، فالمصلحة الإقتصادية تقتضي التسامح أمام المذاهب الأخرى حتى تكون هذه الأقاليم محل جذب لا طرد، خاصة وأن الرحالات التجارية هي لقاء مع الآخر، ووسيلة هامة في نشر الدعوة وتدعيم المذهب وما يرافقها من نمو الأموال وتمركزها في المناطق التجارية، وهو ما يوفر الدعم المادي للدعوة، وهو ما فطن له التجار الإباضيون[2].

2- الوضع الثقافي قبل ظهور نظام العزابة:

تعتبر الفترة ما بين سقوط الدولة الرستمية على يد الشيعة الفاطميين وتأسيس حلقة العزابة(409هـ/1123م) من أحلك المراحل التي مر بها الإباضية ببلاد المغرب، نظرا لغياب سلطة سياسية موجهة وفراغ مؤسساتي ناظم للحياة الإجتماعية، هذا الوضع الجديد فرض خريطة سياسية ومذهبية جديدة خلال القرنين الرابع والخامس هجريين، أثرت بشكل كبير على جموع الإباضية من الناحية الإجتماعية والثقافية وحتى من الناحية الجغرافية.

يؤكد هذا الوضع الشهادة أبو نوح سعيد بن زنغيل(ق4هـ/10م) أثناء عودته من إفريقية الى ورجلان، فوجد الفساد قد عمّ فما كان أمامه إلا مسابقة الزمن بالتنقل بين مواطن الإباضية لإصلاح الأوضاع وتدارك ما فات[3]، وكاد أن يكون ضحية للصراع

---

[1]- الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج3، ص232. إبراهيم القادري بوتشيش: التواصل الحضاري بين عمان وبلاد المغرب، ص61.

[2]- إبراهيم القادري بوتشيش: التواصل الحضاري بين عمان وبلاد المغرب، ص71.

[3]- الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص145.

الذي كان بين الفرق الإباضية النكار والوهبية بتوزر[1]، بسبب مناظرة أفضت الى سب وشتم بين نكاري ووهبي بعد أن تدخل لرأب الصدع، ولمّا كان الإختلاف متجذرا بينهما تطورت الى مواجهة عسكرية إنهزم فيها النكار لتدور الدائرة على الوهبية وفي هذا يشير الدرجيني للحالة التي كان عليها سعيد بن زنغيل "وكان غالب الظن ميؤوسا منه الا أن الله عز وجل تداركه بلطفه"[2].

ولم تكن بقية مواطن الإباضية أحسن حالا من هذا، فقد ادعى أبو نوح المرض بقنطرار لما رأى من شدة الإختلاف بين أصحابه وأهل دعوته فانهارت قواه، واعتزل أمرهم ولزم فراشه، مما جعله يندم على فراق ورجلان[3]، ويُجيب عائده أبو يعقوب يوسف بن نفاث(ت440هـ/1049م) ما بي مرض وكيف لا أمرض بقلبي[4].

واضح من كلام أبي نوح ما يعتريه من حصرة على حال الفُرقة بين جموع الإباضية، وفعلا عزم الرجوع الى ورجلان بعد أن لمس في رحلته الأولى لها إمكانية أن تكون مبعث جديد لحركة إصلاحية، بفضل مجهودات الشيخ أبو صالح جنون بن يمريان(ق4هـ/10م) تلم شمل الإباضية من جديد، عساه فيها أن يجد من أسلاف الرستميين من يقوم بأمر الإمامة فوجد أن البلد قد فسد والأحوال على غير ما عهد بعد وفاة الشيخ أبو صالح جنون بن يمريان فقال: "إني رأيت فيكم ثلاث خصال غير مرضية، ولا ناهيا عنها، إحداها أن نكاح السر فيكم فاش ...والثاني أن أحدكم يطلق

---

[1]– مدينة في أقصى إفريقية من نواحي الزاب الكبير من أعمال الجريد، بينها وبين نفطة عشرة فراسخ، ينظر، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص57.

[2]– الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص150.

[3]– المصدر نفسه: ج1، ص145.

[4]– الشماخي: السير، ج2، ص539.

عبيده فلا يعولهم ...فينطلقون في أموال الناس...والثالثة أنكم أظهرتم فيما بينكم التحزب والتفرق"[1].

أمام هذا الوضع أيقن أبو نوح استحالة بعث إمامة الظهور من ورجلان فعزم على الخروج منها وبات ليلته عند حمو بن اللؤلؤ(ق5هـ/11م)[2] يسأله عن ذريته لعله يجد من يجتمع عليه القوم في ذرية العائلة الرستمية مستقبلا، فخاب مسعاه بعد أن أبلغه أن له بنتا سماها أم المؤمنين[3]، وأما الولد فقد حاد عن مذهب الوهبية وكانت له اجتهادات خالف فيها الوهبية.

وهي الحال نفسها التي تحدث عنها أبو إسماعيل البصير بن ملال المزاتي(ق4هـ/10م)[4] لما مرّ زائرا على أريغ وورجلان، ووصف حالها بين قوم أظهروا الفساد والظلم وأعلنوا المناكر ولا ينقادون للحق[5]، فسلط الله عليهم حماد بن بلكين سنة(395هـ/1004م) في غمرة حملته على القبائل الزناتية التي استهدفت قبائل مغراوة وبني يفرن، لما كان عاملا لباديس بن بلكين على أشير[6].

1- الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص154.

2- حمو بن اللؤلؤ(ق5هـ/11م): جعله الدرجيني من الطبقة التاسعة (400-450هـ/1009-1058م)هو زوج بنت الإمام الرستمي أبو يوسف يعقوب بن الإمام أفلح الذي لجأ الى ورجلان بعد سقوط دولة الرستميين بتيهرت، وكان لهذا الأمير بنتان وولد. ينظر، الشماخي: السير، ج2، ص545.

3- الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص155.

4- أبو إسماعيل إبراهيم بن ملال البصير المطكودي المزاتي: جعله الدرجيني من (ط7: 300-350هـ/912-961م) من علماء الإباضية في الفقه ينسب الى قبيلة مزاتة اشتهر بتعدد رحلاته بين مواطن الإباضية معلما ومصلحا، ينظر الوسياني: سير، ج1، ص346. الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص412. معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج2، ص32-33.

5- الوسياني: المصدر السابق، ج1، ص347. الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص412. الشماخي: المصدر السابق، ج2، ص592-593.

6- الشماخي: المصدر نفسه، ج2، ص593..

والحال نفسها مع أبو زكريا يحيى بن أبي بكر(ت470هـ/1078م) حين توجه الى ورجلان زائرا، فقال له أهلها: أقم عندنا قليلا نستأنس بك، فقال لهم: "قولوا، أقم عندنا قليلا يمت قلبك، وذلك لما اطلع عليه من سوء طريقتهم ورداءة أحوالهم"[1].

أثر هذا الوضع سلبا في المردود الفكري لنخبة المجتمع الإباضي وانحصر النشاط العلمي على الرواية والتدوين فقط، فلا نكاد نعثر على تأليف اباضي مغربي جديد إلا ما كان من كتاب "الرد على جميع المخالفين" لأبي خزر يغلا بن زلتاف، وإن كان الكتاب من تألف عالم إباضي مغربي إلا أنه في بيئة غير مغربية، إذ توحي المقارنة البسيطة المسبقة مع مرحلة ما بعد تأسيس حلقة العزابة، تكشف الفارق الكبير في حجم الإنتاج الفكري من حيث الكم والكيف.

ولا بأس هنا من الحديث على نماذج من النشاط العلمي لعلماء الإباضية قبل تأسيس العزابة أهمها:

رسالة الإمام الرستمي أبو اليقظان محمد بن أفلح(240-283هـ/854-896م):

رسالة في خلق القرآن[2] في أوائل القرن الثالث هجري، من أقدم الوثائق الكلامية ببلاد المغرب وهي ما تبقى من مؤلفاته، وتذكر المصادر الإباضية أنه وضع أربعين

---

[1]- المصدر نفسه: ج2، ص621. الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص 448-449

[2]- ينظر نص الرسالة في البرادي: الجواهر المنتقاة، ص 183-197. وتذكر بعض المصادر التاريخية سبب تشابه موقف الإباضية مع المعتزلة في مسألة خلق القرآن الى تأثره بمعتزلة بغداد في المسألة بعد مكوثه فيها إثر إلقاء القبض عليه من طرف العباسيين في رحله للحج، عرفت أيامه انفتاحا على العلم والعلماء وكثرة المجالس والحلقات، ينظر: ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستمين، ص74-75. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، ص94. ويرجح المستشرق بير كوبرلي تأليف هذه الرسالة للإمام الرستمي أبو اليقظان محمد بن أفلح في خلق القرآن كرد على القاضي سحنون بن سعيد المالكي بالقيروان الذي كان ينكر على من يقول بخلق القرآن. المبروك المنصوري، الفكر العقدي وأسس سيادة الإسلام، ص148.

كتابا في الاستطاعة[1]، قال أبو زكريا الورجلاني: "وكان له في الرد على المخالفين كتب كثيرة بليغة شافية"[2] ضاعت جميعها ولم يبقى منها سوى هذه الرسالة.

كان صدورها هذه الرسالة قبل فترة البحث بقليل إلا أن توظيفها من طرف علماء الإباضية توظيفا يكاد يظهر في جميع الأعمال الكلامية الإباضية حتى القرنين الخامس والسادس هجري[3] واتخذت قاعة أو مرجع للمفكرين الإباضيين اللاحقين، وهو ما جعلها ذات أهمية بالغة جدا في حسم المسائل الكلامية، خاصة وأن مسألة خلق القرآن لها علاقة مباشرة مع المسائل الكلامية الأخرى كمسألة التوحيد والصفات، تهدف هذه الرسالة الى تقديم الحجج والبراهين مرتبة لأتباع المذهب، وفي صيغة بعيدة عن التعقيدات الفلسفية يمكن إستعابها بسهولة.

عمروس بن فتح المساكني(283هـ/896م):

صاحب كتاب "**أصول الدينونة الصافية**" يمثل الكتاب ثاني وثيقة كلامية مغربية لما تضمنه من أراء وردود على الفرق المخالفة، كالرد على شبهات المعتزلة والصفرية، والدليل على كفر النعمة وما لا يسع الناس جهله[4]، والكتاب في عمومه تناسب مع طور النشأة والتشكل للآراء الكلامية الإباضية ببلاد المغرب، وهو على شاكلة كتاب الملل والنحل للشهرستاني، والفرق بين الفرق للبغدادي، يحتوي الكتاب على ردود على مختلف الفرق الإسلامية، والتعريف بمبادئ الإباضية[5]، قال عنه أبو زكريا: "وكان عمروس

1- الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص319.

2- أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص148.

3- بيير كوبرلي: مدخل الى دراسة الإباضية وعقيدتها، ص307.المنصف قوجة: تاريخ الإباضية الديني والسياسي، ص127.

4- عمروس بن فتح: أصول الدينونة الصافية، ص67-83. الشماخي: السير، ج1، ص53. ، فرحات الجعبيري: البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، ج1، ص109-110.

5- المنصف قوجة: المرجع السابق، ص85.

عالما كبيرا، له كتابان في الأصول والفقه"[1] ولاشك أنه يقصد كتاب "أصول الدينونة الصافية".

ألف هذا الكتاب بناء على طلب من الشيخ عبد الخالق الفزاني(ق3هـ/9م)[2] وكان لهذا الأخير كتابين في علم الكلام أرسل بهما الى عمروس وأرسل له عمروس كتابه في الأصول، فاعترف الفزاني برسوخ قدم عمروس في العلم قائلا "النفوسي أقوى مني"[3].

يطغى على الكتاب الجانب الأصولي يراد منه جمع المادة الأصولية للإباضية وتيسير السبيل إليها بغرض ترسيخها وتثبيتها في نفوس أفراد الجماعات الإباضية، وينسب إليه كتابين أخريين مفقودين كتاب "أعلام الملة والحكم والمعارف" وكتاب "الرد على الناكثة وأحمد بن الحسين"[4].

أبو خزر يغلا بن زلتاف(380هـ/990م):

اعتبر كتابه "**الرد على جميع المخالفين**" النتيجة المباشرة لجدل الإباضية مع الشيعة في القرن الرابع هجري في بلاد المغرب[5]، شرح فيه العقيدة الإباضية، وموقف الإباضية من عدة مسائل كلامية، وحدد الخط الفاصل بين الإباضية والمعتزلة في مسألة الصفات والقدر والإستطاعة[6]، ذكره البرّادي في كتابه "الجواهر المنتقاة" ضمن تآليف

1- أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص150.

2- الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص293، سيف بن سالم الهادي: الإباضية والمالكية في الغرب الإسلامي، ص97. أما عن عبد الخالق الفزاني: صنفه الدرجيني ضمن الطبقة الخامسة(200-250هـ/810-864م) من علماء فزّان ترك كتابين في الأصول وعلم الكلام، وهما مفقودين. ينظر، معجم أعلام الإباضية: قسم المغرب، ج2، ص245.

3- الوسياني: سير، ج1، ص260. الدرجيني: المصدر السابق، ج2، 293.

4- بن دريسو مصطفى: الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص515، 518.

5- المبروك المنصوري: الفكر العقدي وأسس السيادة في الإسلام، ص83.

6- المنصف قوجة: تاريخ الإباضية الديني والسياسي، ص88.

أصحابنا أهل المغرب قال: " كتاب الشيخ أبي خزر رضي الله عنه في الكلام"[1]، ولم يذكر عنوان الكتاب، وهو من وضع النُسّاخ[2].

وقد لخص أبو خزر مواضيع الكتاب ومنهجه فقال: "فقد ذكرنا ما اعتلت به المشبهة وأبطلنا اعتلالهم، وذكرنا ما اعتل به جهم بن صفوان(128هـ/746م) وما اعتلت به المعتزلة، فأخذ أصحابنا بأوسط الأقاويل وأعدلها وأصوبها، مما وافق كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، والقياس الذي لا يقدر مبطل على نقضه، فنفينا عن الله التشبيه فأثبتناه حيا فاعلا واحدا، ليس كمثله شيء ولا يشبهه شيء، وأبطلنا حجة المشبهة وأبطلنا ما اعتل به جهم وما اعتلت به المعتزلة من تثبيت جهم القدرة لله حتى ألزمه الجور، ونفى المعتزلة الجور عن الله حتى نفوا عنه القدرة على أكثر الأشياء"[3].

يعتبر هذا الكتاب ثالث وثيقة كلامية إباضية ببلاد المغرب صدرت بعد مرحلة فراغ دامت حوالي قرن من الزمن، أي بعد وفاة عمروس بن فتح المساكني سنة(283هـ/896م) الى غاية وفاة أبو خزر يغلا بن زلتاف سنة(380هـ/990م).

أبو صالح جنون بن يمريان(ق04هـ/10م):

زعيم الإباضية بورجلان بعد سقوط الدولة الرستمية، كان في استقبال الإمام أبي يوسف يعقوب بن أفلح على اثر ملاحقته من طرف الفاطميين، وتذكر المصادر الإباضية أنه كان عالما غنيا ينفق على طلبة العلم والشيوخ وعلى بناء المساجد، وصفه

1- البرادي: الجواهر المنتقاة، ص220.

2- الكتاب في أصله عبارة عن مجموعة رسائل(تسعة رسائل) أرسلها أبو خزر يغلا لما كان مقيما في مصر الى اخوانه بالمغرب اجابة عن أسئلة واستفسارات، جمعت تحت عنوان "الرد على جميع المخالفين"، ينظر، بابا واعمر خضير بن بكير: الفكر العقدي الإباضي بالمغرب من بداية القرن الرابع هجري العاشر ميلادي الى نهاية القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي، رسالة دكتوراه، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، (2018/2017)، ص119.

3- أبو خزر يغلا بن زلتاف: الرد على جميع المخالفين، ص92.

الدرجيني "بذو الورع والسخاء أحد الإبدال وصاحب الكرامات والأحوال وأحد أقطاب الدين"[1]، كانت ورجلان محاجا لعلماء الإباضية بفضله، فهو الذي آوى العالم أبا نوح سعيد بن زنغيل بعد فشل ثورته على الفاطميين، وله أثار علمية قضت عليها الفتن[2].

قيمة هذا الرجل تُدرك بعد وفاته، إذ يلاحظ على ورجلان ركود علمي استمر إلى غاية تأسيس نظام العزابة، يعبر عن هذه الحالة الشيخ سعيد بن زنغيل الذي زار ورجلان بعد وفاة الشيخ أبو صالح جنون بن يمريان "إني رأيت فيكم ثلاث خصال غير مرضية، ولا ناهيا عنها، إحداها أن نكاح السر فيكم فاش ... والثاني أن أحدكم يطلق عبيده فلا يعولهم ...فينطلقون في أموال الناس...والثالثة أنكم أظهرتم فيما بينكم التحزب والتفرق"[3].

الإمام أبو يوسف يعقوب بن أفلح(ت310هـ/922م):

من أئمة العلم والدين ورث علم أسلافه المعروف عنهم خدمة العلم، "وكان يعقوب يحمل أنوعا من العلم، بلغنا أن سائلا سأله ذات يوم أتحفظ القرآن؟ فقال: أستعيذ بالله من أن ينزل على موسى وعيسى عليهما السلام مالم أحفظ وأعرف معناه فكيف بالكتاب المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم"[4]، مكث بورجلان حتى وفاته ينشر العلم والدين[5]، هي شهادات تدل على اسهامه الفاعل ولمؤثر في الحركة العلمية بين أتباع المذهب الإباضي.

---

[1]-الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص341-342.

[2]- معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج2، ص115-116.

[3]- الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص154.

[4]- أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص124. الدرجيني: ج1، ص105.

[5]- معجم أعلام الإباضية: قسم المغرب، ج2، ص473.

أبو سليمان ابن الإمام أبو يوسف يعقوب بن أفلح(حي بعد311هـ/923م):

الذي كانت له اجتهادات خالف فيها جمهور الإباضية منها قوله إن فرث الأنعام وما طبخ عليه نجس، ومنها دعي بالفرثي وأصحابه بالفرثية[1]، هذا الاختلاف الفكري ساهم في إنتاج جدل فكري ساهم في إثراء الحركة العلمية، من ذلك مناظراته لأبي صالح جنون بن يمريان في مسألة تنجيس الطعام- بعد أن وجد سليمان أثر فرث- في الطعام، فكان بينهما بعد ذلك مناظرة وتنازع وانتهى أمرهما الى المباهلة[2] وتمسك كل منهما برأيه.

سعيد بن زنغيل(ق4هـ/10م):

أحد أعلام الإباضية في بلاد المغرب إذ يعد حلقة بارزة في سلسلة نسب الدين[3]، بعد فشل ثورته مع أستاذه يعلا بن زلتاف ضد الفاطميين سجنه الخليفة الفاطمي المعز ثم أطلق سراحه بعد أن شفع فيه بلكين بن زيري الصنهاجي[4]، قال في حقه الخليفة الفاطمي أبوتميم: "يا سعيد، إن القيود التي برجلك إنما دخلت فيهما بالعلم ولا ينزعان إلا بالعلم"[5]، رحل إلى ورجلان بعدما علم بنية الخليفة الفاطمي المعز الرحيل إلى مصر سنة(361هـ/972م) وتصميمه على أخذه معه، لما علم فيه من قوة في العلم وقدرة على الجدل والمناظرة، قال الدرجيني في حقه: "كان شهم الجنان فصيح اللسان كثير البيان"[6]، لما "جمع من علم وفصاحة وبراعة ومعرفة بفنون الرد على المخالفين"[7]، يقول

1- أبو زكريا: المصدر السابق، ص192. معجم مصطلحات الإباضية: ج2، ص789-790.

2- الشماخي: السير، ج2، ص546. الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص107.

3- سلسلة نسب الدين: رواية العلم في المذهب الإباضي من عالم إلى أخر، تشكلت من مجموع أولئك العلماء سلسلة متصلة عرفت بنسب الدين، ينظر: معجم مصطلحات الإباضية، ج2، ص996.

4- الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص134.

5- أبي زكريا: أخبار الأئمة الرستميين، ص222.

6- الدرجيني: المصدر نفسه، ج1، ص133.

7- المصدر نفسه: ص136.

يقول عن نفسه "ناظرت عن هذه النحلة بين يدي أبي تميم المعز (341-365هـ/952-975م) وأبي منصور (الصنهاجي) ...ولم يبق مذهب إلا غلبته"[1].

أسس مجلسا للعلم في المسجد الذي بناه جنون بن يمريان، ويبدوا أن شهرته في الكلام قد سبقته الى ورجلان، مما حدى ببعض العامة يسأله عن كل ما تعلمه من علم الكلام[2].

تدل هذه النماذج على الإرهاصات الأولى لبداية حركة فكرية إباضية مهدت أرضية لنشوء تنظيم العزابة، إذ يلاحظ تحول ثقل الحركة السياسي والعلمي من جبل نفوسة الذي عرف أوج ازدهاره الأول في القرون السابقة، خاصة منها القرنين (2-3هـ/8-9م) مع الإمامة الرستمية، الى بلاد قسطيلية وجربة ثم أريغ وورجلان، خاصة بعد واقعة مانو(283هـ/896م)[3].

---

[1]- فرحات الجعبيري: البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، ج1، ص112.

[2]- الدرجيني، طبقات المشائخ، ج1، ص145.

[3]- فرحات الجعبيري: مقارنة بين كتاب الوضع مختصر في الأصول والفقه لأبي زكريا الجناوني وكتاب مختصر الخصال لأبي إسحاق الحضرمي(ق5هـ/11م)، ضمن أعمال ندوة تطور العلوم الفقهية-التأليف الموسوعي والفقه المقارن-المنعقدة سنة 2005، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط3، 2012، ص189.

3- تأسيس حلقة العزابة وبعث النشاط الفكري:

أدرك محمد بن بكر الفرسطائي(440هـ/1048م) إنطلاقا مما آلت اليه الأوضاع السياسية في بلاد المغرب الإسلامي أن العمل العسكري لم يعد يجدي نفعًا، فصرف إهتمامه عن الحكم والسياسة والعمل العسكري، وتوجه الى الإهتمام بالجانب التربوي والاجتماعي من خلال نظام يحفظ للإباضية وجودها ويؤمن استمرار مذهبها وعقيدتها بعد أن أصبحوا أقلية وفي ضعف.

تعريف حلقة العزابة:

الحلقة: "الحلقة، اسم لجماعة تشتمل على الشيخ يعلمهم العلم ويلقنهم السير ويبصرهم في الدين"[1]، أي اجتماع مجموعة من الطلبة على الشيخ في شكل دائري[2] للعلم والوعظ، وقد كانت تعقد مجالس التعليم في تاريخ الحضارة الإسلامية في المشرق والمغرب على هذا الشكل، إلا أن هذه الحلقات اتسمت عند الإباضية بالسرية خاصة في طور الكتمان، ومحدودية عدد أعضائها، فقد كانت تعقد هذه الحلقات في البصرة موطن تأسيس المذهب الإباضي في زمن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة بعيدا عن عيون السلطة الأموية في دمشق[3].

لما عزم الشيخ محمد بن بكر مؤسس الحلقة على الرحيل إلى ورجلان بعد أن أكمل التنظير لنظام للحلقة، بعث إلى من يهيئ له غارا يجتمع فيه بالتلاميذ للحلقة"[4]، وكان

1- الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص04.

2- تاديوش ليفتسكي: مقالات مختارة ضمن دراسات استشراقيه في المذهب الإباضي لتاديوش ليفتسكي، ترجمة عبد الله زارو، بيت الغشام، مسقط، سلطنة عمان، ط1، 2014، ج3، ص11.

3- روبيرتو روبيانشي: العزابة حلقة الشيخ محمد بن بكر. وثيقة قديمة عن حياة نُسّاك الصوامع في الإسلام ـ ترجمة لميس الشيخي، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية. نسخة الكترونية، 2006، ص12. معجم أعلام الإباضية: قسم المغرب، ج2، ص418.

4- أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص265.

ذلك بإلحاح من بعض الطلبة الذين أرسلهم الشيخ أبو زكريا فصيل بن أبي مسور(ق5هـ/11م) اليه[1]، ولم يكن اختيار محمد بن بكر لهذه المهمة من طرف الشيخ أبو زكريا فصيل بن أبي مسور اعتباطيا، بل لما توسم فيه من قوة وعلم، وكان قد تفرس الشيخ أبو نوح سعيد بن زنغيل(ق4هـ/10م) هذه الميزات في محمد بن بكر قبل الشيخ فصيل بن أبي مسور فقال: "إن كنت أفهم شيئا فإن هذا الفتى هو الذي يحي الدين"[2]، ليرتب لهم نظاما محكما ودقيقا للتسيير الحسن للحلقة[3] كان ذلك سنة(409هـ/1123م).

أما العزابة: فيعرفها الدرجيني "فمن ذلك واحدهم عزابي، هذه اللفظة استعملتها لقبا لكل من لازم الطريق وطلب العلم وسير أهل الخير وحافظ عليها وعمل بها، فإن حسنت جميع هذه الصفات سمي عزبيا، وإن حافظ على السير والعمل بها فقط به، وإن حصل العلم دون السير والعمل بها والمحافظة عليها لم يسم بهذا الإسم"[4].

أما أبو عمار عبد الكافي(570هـ/1174م) فيعرفها في "سيره" لما طلب منه تلاميذته ذلك "وأجمع تلاميذ أبي عمار عبد الكافي فقالوا له: ما معنى العزابة على وزن فعالة من أمثلة المبالغة فقال: أصل العزابة اشتقاقها من العزبة والعزلة والتصوف والتهجد على رؤوس الجبال، فذلك العزابة"[5].

1- PREVOST Virginie: Mağmāğ et les sept savants, la création du Dīwān al-'azzāba, Acta Orientalia, Printed in India,2012,p38.

2- أبو زكريا: المصدر السابق، ص263. ورد نفس الوصف ونفس العبارات في كتاب الطبقات للدرجيني على لسان أبي زكريا بن أبي مسور، ينظر، الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص167.

3- روبيرتو روبيانشي: المرجع السابق، ص369.

Alloua Amara: La structuration des ibadites-wahbites au Maghreb (xie-xve siècle).p264.

4- الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص04.

5- أبو عمار عبد الكافي: سير، تحقيق مسعود مزهودي، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، 1996.ص12.

فالعزابة إسم لهيئة محدودة العدد تبلغ اثني عشر رجلا يمثلون خيرة أهل البلد علما وإصلاحا[1]، تشرف على شؤون المجتمع دينيا وتعليميا وسياسيا، لها نفوذ روحي والسلطة المطلقة في كل ماله علاقة بالدين[2].

ويبدو مما سبق التداخل بين المفهومين، رغم الاختلاف الشكلي فمصطلح العزابة أطلق على تلاميذ الحلقة، ثم اقتصر على شيوخ الحلقة فقط[3]، فبعد أن أرسى الشيخ محمد بن بكر القواعد والنظام المحكم للحلقة، حدد الحقوق والواجبات أي قانون داخلي للحلقة عرفت بحلقة العزابة، فمصطلح العزابة مصطلح جديد استعمل في أيام محمد بن بكر [4] بالمقارنة مع مصطلح الحلقة، واتخذ المسجد مقرا لها.

مهام هيئة العزابة:

تقوم هيئة العزابة مقام الإمام في حالة الظهور مع بعض الإستثناءات تماشيا مع مرحلة الكتمان في غياب إمام صريح، لأنها في الأخير تخضع لسلطة سياسية تختلف مذهبيا معها، كإقامة الحدود مثلا لما تثيره من حساسية مع السلطة الحاكمة، فقد يفهم منها تطاولا على السلطة الحاكمة ونزعة الى الإستقلال، ما قد يدخلهم في نزاع معها هم في غنى عنه نظرا لحالة الضعف التي هم عليها وهي من اختصاصها، وما غير ذلك تتدخل في كل ماله علاقة بالحياة الدينية والإجتماعية والإقتصادية و الثقافية، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومقاومة البدع وتسطير أساليب التربية والتعليم وتقرير

1– مصطفى باجو: أبو يعقوب الورجلاني أصوليا، ص42.

2– أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، ص110.

3– تاديوش ليفتسكي: مقالات مختارة ضمن دراسات استشراقيه في المذهب الإباضي ، ج3، ص14. معجم مصطلحات الإباضية: ج2، ص699.

4– معجم مصطلحات الإباضية: ج2، ص700. والجدير بالملاحة أن هذا المصطلح كان متداولا قبل صياغته النهائية، في عهد أبي يزيد مخلد بن كيداد النكاري(336هـ). ينظر، أبو زكريا: المصدر السابق، ص119، ولم يبقى هذا النظام على ما وضعه محمد بن بكر، وإنما تطور مع الزمن، فكانت يطعم من حين الى آخر بتعديلات وتنظيمات جديدة تكيفا مع تطور وتغير الأحوال.

المناهج، وإصدار الفتاوي والعناية بالتأليف والتشجيع عليها والقيام بأمر المحتسب كمراقبة الأسواق وما يلحق بها، و الإشراف على الأمن مع اعلان البراءة من العصاة[1].

شروط الالتحاق بالحلقة:

يشترط فيمن يرغب أن يكون عزبيا مجموعة من الصفات الخلقية والعلمية والنفسية التي تؤهله لتحمل روح المسؤولية، والقيادة من أهمها:

- أن يكون كيسا أديبا.
- أن يكون مشمرا في طلب العلم.
- لا يكثر دخول الأسواق حتى لا يكثر الاجتماع بأهل الدنيا.
- أن يغسل جسده بالماء ويغسل قلبه بماء وسدر[2]، أي نظيف الثياب، طيب القلب، حافظا لكتاب الله، مستعدا للتضحية في سبيل الله وخدمة المسلمين.

أعضاء حلقة العزابة:

مما سبق يمكن القول إن أعضاء الحلقة كالتالي:

- شيخ الحلقة يسنده أعضاء آخرون لكل منهم مهام دينية أو دنيوية.
- إمام الصلاة يؤم الجماعة يشترط فيه إتقان القراءة والإلمام بالفقه ويتولى أيضا عقود الزواج في المسجد، ينوب عن شيخ الحلقة إذا غاب.
- المؤذن يؤذن للصلاة وينوب الإمام إذا غاب.
- وكيلا المسجد يشرفان على أملاك المسجد وأوقافه فهما بمثابة المقتصد.
- مقرئو المحاضر يشرفون على المحاضر.
- الغسالون يتولون غسل الموتى وتكفينهم ودفنهم.

1- أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، ص111. فرحات الجعبيري: نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة، ص83-86.

2- أبو عمار عبد الكافي: سير، ص13. - Allaoua Amara:op.cit.p266. -

- قاضي البلد يفصل في النوازل[1].

واجبات شيخ الحلقة:

أن يكون الشيخ ينصف الحق من نفسه لنفسه، ويكون عاقلا أديبا كيسا، وينظر بعين الجنان لا بعين الأجفان ويرتب أهل الحلقة على ثلاثة أقسام: قسم هو بنفسه وقسم أربعة رجال وقسم ما بقي من العزابة[2]، تستمر سلطته مدى الحياة، يدير الحلقة ويقيم ويصدر الأحكام ويعلم وهو المسؤول عن الممتلكات المادية والاهتمامات الروحية[3]، هو المشرف العام أو المدير ترجع إليه المشورة في كل كبيرة وصغيرة "لا يتحرك أحد حتى يشاوره وهو الغوث الأكبر"[4].

يجمع الباحث صلاح الدين شعباني المهام التعليمية للشيخ فيما يلي:

يتولى تعيين العرفاء[5] وفصلهم وتحديد مهامهم.

- تقرير المناهج الدراسية للطبقات العليا من التلاميذ.
- قبول التلاميذ والطلاب الجدد في الحلقة أو رفضهم.
- الجلوس لطلبة فنون العلم في وقت معلوم ليأخذوا عنه فيه الدرس[6].
- جمع الطلبة يوم الاثنين والخميس يعضهم ويذكرهم، ويسأل عن أحوالهم[7].

الفصل في المنازعات التي تقع بين الطلبة وقراراته غير قابلة للمناقشة[1].

1- زهير تغلات: الفكر السياسي الإباضي: الدار التونسية للكتاب، تونس،2014، ص184.
Allaoua Amara:op.cit.p267.

2- أبو عمار عبد الكافي: سير، ص17.

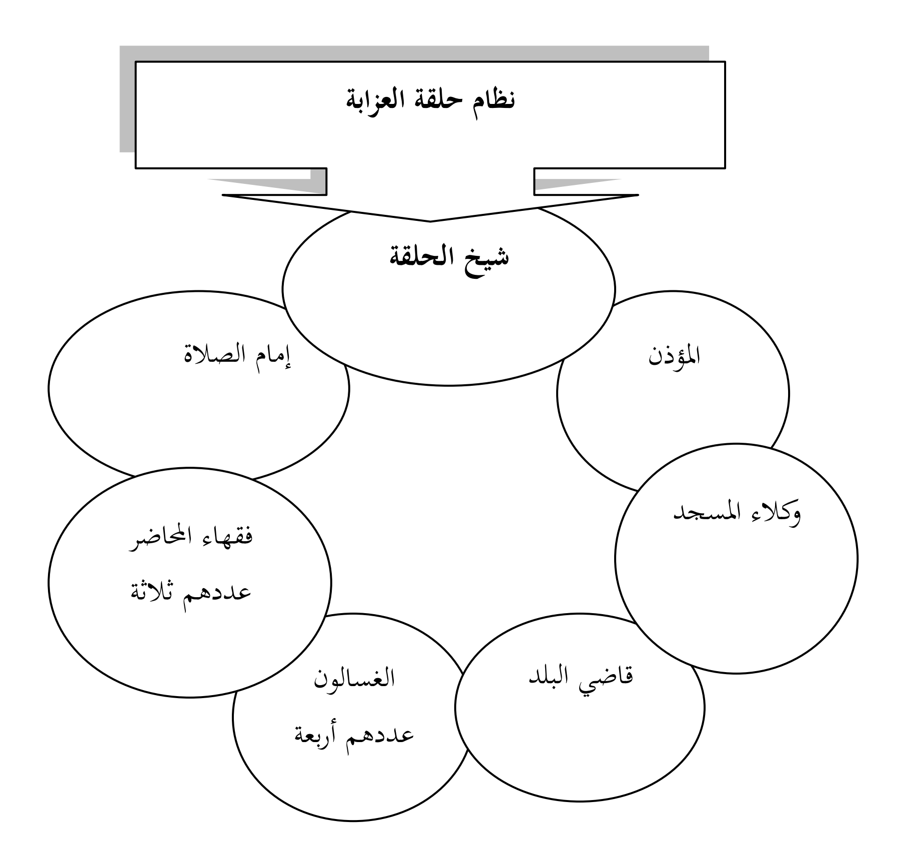
3- روبيانشي روبير: العزابة –حلقة الشيخ محمد بن بكر–، ص25.

4- أبو عمار عبد الكافي: المصدر السابق، ص18.

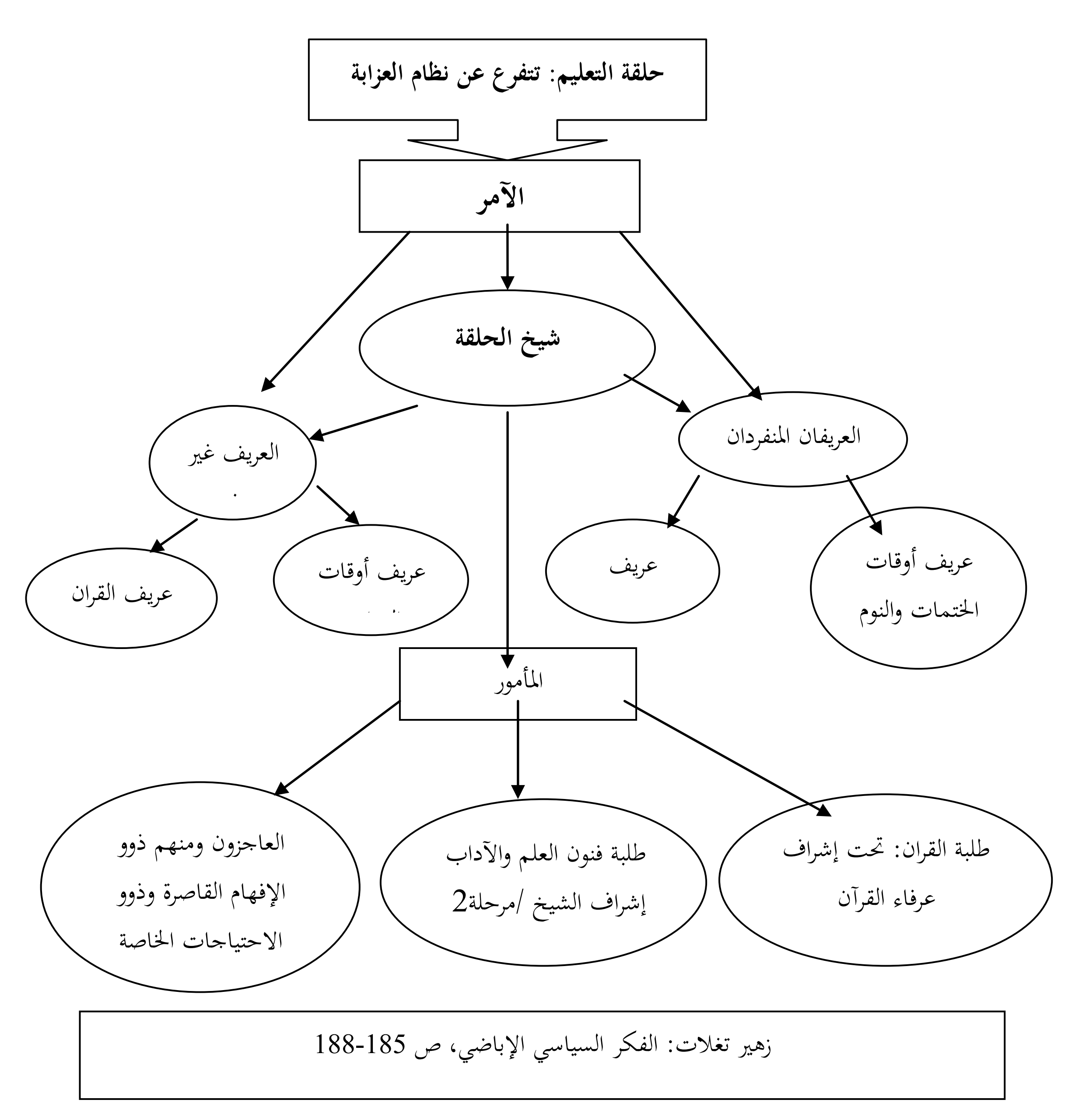
5- العريف: يجمع على عرفاء، وهم أعضاء حلقة العزابة تتجسد مهمتهم في الإشراف على التلاميذ تعليما ومراقبة، ينظر، بحاز وآخرون: المرجع السابق، ص686، عبد الحميد زيدور: العريف ودوره التعليمي والتربوي في النظام التعليمي عند إباضية المغرب الأوسط. مجلة الناصرية. جامعة معسكر، ع.4، 2013.، ص 401-420.

6- روبيانشي: العزابة –حلقة الشيخ محمد بن بكر–، ص40.

7- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.



[1]- شعباني صلاح الدين: التربية والتعليم عند الإباضية بالمغرب الإسلامي. رسالة ماجستير، جامعةالجزائر، (2004/2003)، ص112.



زهير تغلات: الفكر السياسي الإباضي، ص 185-188

عرف هذا النظام مع السنين تطورا في الشروط والمهام والعدد.

دور محمد بن بكر في بعث النشاط الفكري من خلال حلقة العزابة:

كانت حلقة العزابة بمثابة الشرارة الأولى في إنبعاث الحركة العلمية من جديد في ورجلان وغيرها من مناطق تواجد الإباضية، من خلال تنشيط حركة التعليم وتطوره وتحسين المستوى الفكري لأفراد المجتمع الإباضي بشكل منظم وفعال، وانتشار التعليم على نطاق واسع مع مراعاة المستويات والأفهام، فقد ورد عن أبو محمد ويسلان(حي بعد431هـ/1039م) أن "تعلم مسألة في الفروع كعبادة ستين سنة، ومن حمل كتابا الى بلد لم يكن فيه، فكأنما تصدق بألف حمل دقيقا على أهل البلد"[1].

هذا انطلاقا من قاعدة الإيمان قول وعمل، فحرصوا على أن يحقق كل فرد منهم الحد الأدنى من العلم حتى لا يكون إيمانهم مبنيا على خطأ أو مجرد اعتقاد فارغ، وأن يكون له حظ وافر من العمل حتى يكون إيمانه كاملا، ومن ثم صناعة الرجل الذي يستطيع أن يقدم الحجج عن المذهب الذي يؤمن به "فكان يتولى التدريس وإعداد الطلبة في هذه المرحلة ثلاثة شيوخ، أبو يعقوب محمد بن يدر (ق5هـ/11م)[2] وهو شيخ بنفوسة مقصدًا للمبتدئين، فإذا انتظموا في حلقته عَلمهُم السير وآداب الصالحين ثم ينقلهم إلى محمد بن سودرين(ق5هـ/11م)[3] فيجرون قراءة القرآن ويتعلمون اللغة والإعراب، ثم ينتقلون إلى أبي عبد الله محمد بن بكر فيعلمهم أصول الدين والفقه، فكان العزابة في ذلك الزمان يشبهون الشيوخ الثلاثة بثلاثة نجارين أحدهم يحسن قطع الخشب، والثاني

1- الشماخي: السير، ج2، ص590.

2- محمد بن يدر أبو يعقوب (ق5هـ): من جبل نفوسة، شكل مع محمد بن بكر، ومحمد بن سودرين، منظومة تربوية تدريجية لتعليم التلاميذ، كان يتولى فيها المرحلة الابتدائية، ينظر، معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج2، ص397.

3- محمد بن سودرين (400-450هـ): من بلاد الجريد، رحل الى ورجلان وكانت له بها حلقة بأريغ، تمثل التعليم المتوسط، ثم ينتقل تلاميذ هذه الحلقة الى التعليم العالي في حلقة محمد بن بكر، قتل في غارة المعز بن باديس على قلعة بني درجين، ينظر، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص381.

يشقها وينشرها، والثالث يركب الألواح ويسمرها"[1]، وكان هذا الأخير يشجع طلبة العلم لدراسة الكلام وإتقانه.

يعتبر الإباضيون محمد بن بكر الفرسطائي العنصر الأنشط في نشر المذهب الإباضي بالشمال الإفريقي وإحيائه عمليا من خلال نظام حلقة العزابة، وينسب اليه رد قبيلة بني مصعب[2] البربرية التي كانت تجاهر بالعقيدة المعتزلية الى المذهب الإباضي[3]، ولاشك أن هذا العمل يستوجب معرفة واسعة بفنون الجدل والكلام والمناظرة، حتى يتمكن من إقناعهم بوجهة نظره وردهم الى مذهبه "فرجعوا إلى دين الحق، والطريقة المرضية"[4]، يؤكد هذا المجهود على تجدد النقاش في المسائل الكلامية، وهي ضرورة لنشر المذهب والرد على المخالف، ولنم يرد عنه أنه ترك تأليفا كلاميا ينسب إليه، مع ذلك نقل تلامذته بعض آرائه الكلامية خاصة تلميذه المباشر أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي(ت471هـ/1078م) في كتابه "التحف المخزونة"[5] يتحجج بآرائه يشير الى ذلك بالراوية عنه ويصرح بالرواية عنه وينسب اليه آراءه[6].

تأسست حلقات جديدة من طرف الجيل الأول من تلاميذة محمد بن بكر للعمل على ترسيخ المذهب في أقاليم خارج التجمع الإباضي بورجلان، من ذلك نماذج ذلك تأسيس حلقة للعزابة بجربة من طرف تلميذه أبو الربيع سليمان بن يخلف أن حصّل علم

1- الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص397-398.

2- قبيلة بربرية تحولت من الواصلية الى الإباضية زمن محمد بن بكر الفرسطائي في القرن الخامس هجري، سكنت واد ميزاب وأصبح يطلق عليها بني مزاب ينظر، الشماخي: ج3، ص872. إبراهيم بحاز: الميزابيون المعتزلة(قراءة جديدة لنصوص قديمة)، مجلة الحياة، العدد01، جانفي1998، نشر جمعية التراث، غرداية. ص124-125.

3- تاديوش ليفتسكي: مقالات مختارة ضمن دراسات استشراقيه في المذهب الإباضي، ج3، ص15.

4- الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص183.

5- عمرو خليفة النامي: دراسات عن الإباضية، ص222.

6- أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي: التحف المخزونة، تحقيق محمود الأندلسي والمبروك المنصوري، مقدمة التحقيق، ص19.

الكلام بأريغ[1] وفد على جربة للغرض نفسه والاستزادة من الفقه وفروعه، و تشاور مع أهلها ليأسسوا حلقة جديدة للعزابة بجربة وجعلوا على رأسها الشيخ أبي محمد ويسلان[2].

وكان لأبو يحيى زكريا بن فصيل(ت508هـ/1114م) وأخيه يونس وأبي بكر بن يحي[3] وهم من التلاميذ المباشرين لمحمد بن بكر كذلك إكمال مهمة تدريس علم الكلام بجربة بعد انتقال أبو الربيع سليمان بن يخلف الى تملوست[4]، فكان لحلقة العزابة التي أسسها محمد بن بكر الفضل في تكوين أكبر أئمة الكلام الإباضي في القرن الخامس والسادس هجريين.

وكان من مهام حلقة العزابة "الرد على طوائف الموحدين[5] من أهل المذاهب أو الغالية والملحدين"[6] وتثبيت المذهب في نفوس الأتباع، ذلك ما يتناسب مع المرحلة التي التي كن يعيشها المذهب الإباضي، فالصراع الفكري كان على أشده بين مختلف المذاهب والفرق.

بعد الجهود التي بذلها محمد بن بكر وأعضاء حلقته بدأت حركة التأليف الفردية والجماعية في النشاط، وتوج هذا النشاط بصدور عدة تأليفات فقهية وعقدية، وأصبح للمغاربة مصادرهم المحلية الخاصة العقدية منها والفقهية والكلامية[7]، ومن نماذج هذا

1- أريغ: جذم من قبائل البرانس البربرية، تطلق هذه التسمية حاليا على واحات في شرق الجزائر ينظر: ابن خلدون، العبر، ج6، ص117.

2- فرحات الجعبيري: نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة، ص156.

3- أبو يحيى زكريا بن فصيل وأخيه يونس وأبي بكر بن يحي: أرسلهما والدهما فصيل بن أبي مسور الى محمد بن بكر بأريغ للتعلم عليه وتأسيس حلقة للعزابة بأريغ، ينظر: الدرجيني، ج1، ص168-170.

4- قصر بجبل دمر جنوب تطاوين وسط بلد تسكنها القبائل الوهبية، أنظر، الشماخي: السير، ج3، ص841.

5- الموحدون: مصطلح إباضي يطلق على من أقر بجملة التوحيد، ويراد به في المصادر الإباضية القديمة غير الإباضية من المسلمين، ينظر، معجم مصطلحات الإباضية، ج2، ص1056.

6- أبو عمار عبد الكافي: سير، ص15.

7- مصطفى باجو: أبو يعقوب الورجلاني أصوليا، ص90.

النشاط ما كان من طلبة العزابة لما اجتمعوا على تأليف كتاب في المذهب يسهل على المبتدئين حفظه وجعلوه خمسة وعشرين جزءا[1]، وهو ما يشبه اليوم فرقة بحث تجمع متخصصين في مجالات متنوعة تنتج موسوعات علمية في كتاب متكامل[2] خلال القرن(5هـ/11م) يعرف بدوان العزابة[3].

يعد هذا المنتوج الفكري من أقدم الموسوعات الفقهية المؤلفة جماعيا، وما ذلك غريبا عن إباضية المغرب الإسلامي التي كانت روح التأليف الجماعي هي ما يميزها عن غيرها من فرق الإسلامية الأخرى[4]، يساهم العلماء كل في تخصصه في تأليف كتاب شامل متكامل، يوفر مادة فقهية وعقدية لجموع الإباضية، تحفظ لهم أصالتهم وتعرف المخالفين بأن لهم فهم لقضايا الفقه والعقيدة جدير بالاحترام.

1- الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص456.

2- عمرو خليفة النامي: دراسات عن الإباضية، ص25.

3- تجدر الإشارة هنا الى أن هناك عملين مختلفين بنفس الطريقة عادة ما يقع الخلط بينهما، أحدهما أُلِّف في غار أمجماج بجزيرة جربة في تونس يقع في اثنى عشر جزء، على رأس القرن الرابع هجري، والآخر أُلِّف في وادي أريغ في خمسة وعشرين جزء، في النصف الأول من القرن الخامس هجري، ويشترك الديوانان في كونهما أُلِّفا في نفس الفترة زمنية متقاربة، وكلاهما في الفقه، مما أوقع النساخ والدارسين في الخلط بينهما، فيسمون أحدهما بديوان الأشياخ والأخر بديوان العزابة ولكل مؤلفوه، فالذين ألفوا يوان الأشياخ في غار أمجماج، هم:أبو عمران موسى بن زكرياء المزاتي، أبو محَمَّد عبد الله بن مانوج اللمائي الهواري، أبو عمرو النميلي الزواغي، أبو يحيى زكرياء بن جرنان النفوسي، جابر بن سدرمام المزاتي، كباب بن مصلح المزاتي، أبو مجبر توزين المزاتي، قام الباحث محمد البجاحي بإنجاز دراسة وتحقيق على هذا الديوان مطبوعة عن دار أطلس بطرابلس. أما الذين ألفوا ديوان العزابة في وادي أريغ، هم: يخلفتن بن أيُّوب الزنزفي، محمد بن صالح المسناني النفوسي، ومن قنطرار يوسف بن موسى، ومن تيجديت يوسف بن عمران بن أبي عمران المزاتي، ومن أريغ الشيخ عبد السلام بن سلاّم والشيخ جابر بن إبراهيم. ينظر، الدرجيني: المصدر السابق، ج2، 409. الشماخي: السير، ج2، ص589-591، ص627. فرحات الجعبيري: نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة، ص139، 145.

-PREVOST Virginie: Mağmāğ et les sept savants, la création du Dīwān al-'azzāba-,P39-42.

4- محمد الشيخ: علم الكلام الإباضي بشمال افريقيا، مجلة التفاهم، العدد.40، 2013، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ص174.

هذا ويرجح بعض الباحثين في التراث الإباضي أن كتاب العقيدة المنسوب الى عمرو بن جميع(720هـ/1320م)[1] المترجمة من البربرية الى العربية في القرن(8هـ/14م)، يرجح أن كتابته كانت في القرن (5هـ/11م) من طرف أفراد حلقة العزابة، وهو المعروف بعقيدة العزابة، والحسم في الموضوع حسب عمرو خليفة النامي في حكم المستحيل[2] لغياب الإثباتات الكافية، فكان لحلقة محمد بن بكر دور كبير في تطور الفكر الديني الإباضي وقد بلغ الفكر العقدي الإباضي مع تلاميذ الحلقة أوج تطوره[3] خاصة مع الجيل الثاني من تلاميذ الحلقة.

في هذا الجو التربوي العلمي الذي وفرته حلقة العزابة ترسخت أقدام المدرسة الإباضية رسوخا متينا في ورجلان خاصة خلال القرنين(5-6هـ/11-12م)، وكانت إذ ذاك مزدهرة في مختلف فروع المعرفة، لذلك تعد هذه الفترة العصر الذهبي للإبداع العلمي الإباضي[4].

1- عمر بن جميع(أبو حفص)(645-720هـ/1247-1320م): ولد بجربة ودرس بمدارسها ثم رحل الى بلاد الجريد، من تلاميذة أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني صاحب كتاب الطبقات، متكلم إباضي، ومترجم كتاب عقيدة التوحيد من البربرية الى العربية، وهي من المتون التي يحفظها إباضية المغرب الأوسط بعد كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام، لنقل أركان التوحيد وتفاصيله للطلبة بالمتون كما هي طريقة الأولين خصوصا الغير ناطقين للعربية منهم، كانت محل عناية وشرح وعناية من طرف الكثير من العلماء، قام الباحث عمر بن أحمد بازين بتحقيق هذا النص سنة(2003م)، وهي غير "عقيدة نفوسة" التي يحفظها أهل نفوسة بعد كتاب الله وسنة رسوله كذلك من تأليف أبو زكريا الجناوني(ق5هـ/11م)، قام المستشرق بيير كوبرلي بإنجاز دراسة جامعية عليها، ينظر: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص317. فرحات الجعبيري: مقارنة بين كتاب الوضع مختصر في الأصول والفقه لأبي زكريا الجناوني وكتاب مختصر الخصال لأبي إسحاق الحضرمي(ق5هـ/11م)، ص189-190.

2- عمرو خليفة النامي: دراسات عن الإباضية، ص231.

3- المنصف قوجة: تاريخ الإباضية الديني والسياسي، ص95.

4- فرحات الجعبيري: البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، ج1، ص177. عمار طالبي: آراء الخوارج الكلامية، ج1، ص215.

يرى الباحث علاوة عمارة بعد دراسة إحصائية لعدد الشخصيات العلمية في بجاية الحمادية التي تصدرت النخبة العلمية خلال الفترة (395-547هـ/1004-1152م) أن ورجلان احتلت المرتبة الثالثة من حيث الأهمية بأكثر من ثمانية عشر(18) شخصية علمية[1]، تتناسب هذه الفترة التاريخية مع تأسيس حلقة العزابة في ورجلان، ولعل تشخيص بعض النماذج من الإنتاج الفكري لعلماء الإباضية خلال فترة البحث يعطي صورة ناصعة للوضع الثقافي والفكري المزدهر.

ومن جملة أعلام **الجيل الأول** الذين تتلمذوا مباشرة على يد مؤسس الحلقة برز منهم:

أبو العباس احمد بن محمد بن بكر(ت504هـ/1110م):

ابن مؤسس حلقة العزابة وهو حلقة في نسب الدين، موسوعي المعرفة بمثابة دائرة معارف يجول في كلّ ميدان، ترك مجموعة من الكتب تعتبر كلها من الأمهات في الشريعة على المذهب الإباضي، تركته العلمية تتجاوز خمسة وعشرين كتابا[2]، شارك في تأليف ديوان العزابة، ومن أهم كتبه كتاب "**مسائل التوحيد مما لا يسع الناس جهله**" في العقيدة والكلام ضمنه عدة مسائل كالولاية والبراءة، والإمامة[3]، وكتاب الجامع المعروف ب "**أبي مسألة** "في جزئين وهو في الفروع[4]، وكتاب "**تبين أفعال العباد**" في ثلاثة أجزاء[5]، وكتاب "**القسمة وأصول الأرضين**" في ثمانية أجزاء، يتألف كتاب القسمة

[1]– علاوة عمارة: دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،2008، ص105.

[2]– الوسياني: سير، ج1، ص371.

[3]– فرحات الجعبيري: البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، ج1، ص116.

[4] – الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، ج2، ص 365.

[5]– معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج2، ص49.

من جزئين وهو في الفرائض، وأصول الأراضين من ستة أجزاء يتحدث فيه عن البناءات والطرق بما يجب أن يوافق الشريعة وهو بمثابة قوانين عقارية[1].

أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي(ت471هـ/1079م):

من أنجب تلامذة مؤسس الحلقة والساعد الأول له، قضى شطرا كبيرا بورجلان ملازما لأستاذه محمد بن بكر الفرسطائي حتى وفاته، عرف بكثرة رحلاته في مواطن الإباضية، من أهم آثاره كتاب "**التحف المخزونة في إجماع الأصول الشرعية**"[2] الذي يعتبره من أجل التصانيف في الأصول والكلام[3]، يمثل هذا الكتاب البداية لمرحلة الذروة لتطور علم الكلام الإباضي، مضمون الكتاب مسائل العقيدة والكلام بأسلوب جدلي يضاهي ما كتب في عصره من علماء المذاهب الأخرى في المغرب والمشرق كابن حزم والباقلاني والجويني[4]، تطرق فيه لمختلف الآراء الكلامية كمسألة الولاية والبراءة، وحقيقة الإيمان والكفر[5] ومسألة خلق القرآن، الإمامة ومسالك الدين، مسألة الصفات، مع بعض بعض المسائل الفلسفية كالجواهر والأعراض والحركة والسكون والمعرفة ووسائلها.

الكتاب أصل ومادة أولية في الشكل والمضمون لمن كان بعده من علماء الكلام الإباضية، فأغلب من كتب في الكلام الإباضي هم من تلاميذته المباشرين وغير المباشرين كأبي يعقوب الورجلاني في كتابه "الدليل والبرهان" الذي ينقل عنه عدة فقرات

1- عمر لقمان بوعصبانة: معالم الحضارة الإسلامية بورجلان، ص143. الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، ج2، ص 365.

2- معجم مصطلحات الإباضية، ج2، ص216.

3- البرادي: الجواهر المنتقاة، ص220.

4- أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي، التحف المخزونة، تحقيق محمود الأندلسي والمبروك المنصوري، مقدمة التصدير، ص2.

5- فرحات الجعبيري: البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، ج1، ص114-115.

يشرحها ويعلق عليها[1]، والمعرف عنه أنه كان يعلم تلامذته الكلام بعد أن اجتمع إليه عدد كبير من التلاميذ من مختلف مواطن الإباضية[2].

الكتاب هو ثمرة دروس ألقاها بجامع جربة[3]، حوصل فيه جملة آراء الإباضية الكلامية بنوع من التوسع في بسط المسائل وتحليلها بالمقارنة مع من سبقه، خاصة وأن دروسه في الكلام موجه لطلبة متخصصين، تزامن ذلك مع بداية القرن الخامس هجري في تاريخ الإباضية حيث اكتملت فيه الصورة النهائية لتطور العقيدة الإباضية، ودخلت الدراسات الكلامية في طور جديد من النشاط والحيوية من خلال ظهور العديد من المؤلفات أكثر تخصصا وتنظيما[4].

أبو زكريا يحيى بن أبي بكر(ت471هـ/1078م):

صاحب كتاب "**سير الأئمة وأخبارهم**" اهتم بسير المشائخ من أهل المغرب خاصة، عليه اعتمد كل أصحاب السير والطبقات كالدرجيني والشماخي[5]، يعتبر الكتاب من المصادر الأساسية في تاريخ الإباضية بالمغرب الإسلامي، فرغم الطابع التاريخي للكتاب إلا أنه يحتوي في الكثير من صفحاته المناظرات الكلامية التي كانت بين الإباضية ومختلف الفرق الأخرى.

1- أبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي: التحف المخزونة، مقدمة التحقيق، ص34.

2- عمرو خليفة النامي: دراسات عن الإباضية، ص222.

3- فرحات الجعبيري: البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، ج1، ص114.

4- أبي خزر يغلا بن زلتاف: كتاب الرد على جميع المخالفين، المصدر السابق، مقدمة التحقيق، ص09. وقد قام الباحث محمود الأندلسي بتحقيق هذا الكتاب، وراجع هذا التحقيق الدكتور المبروك المنصوري سنة(2009)، كما قام الباحث حمزة بن بوسهال بومعقل بإعداد دراسة وتحقيق جديد حول الكتاب نشرته جمعية التراث بغرداية سنة(2017).

5- معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج2، ص452.

الجيل الثاني: الذين تتلمذوا على تلاميذ مؤسس الحلقة

تبغورين بن عيسى الملشوطي(النصف الأول من ق06هـ/12م):

مؤلفاته كانت مرجعا عند الإباضيّة في علم الكلام والفقه منها كتاب "**أصول الدّين**" تحدث فيه عن الأصول العشرة بنبرة كلامية من أهمها التوحيد، القدر، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين وألا منزلة بين المنزلتين، الأسماء والصفات، الأمر والنهي، والولاية والبراءة، الأسماء والأحكام، كما وقف على مسائل آخرى كمسألة الكسب وخلق القرآن ورؤية الله[1].

الكتاب عبارة عن مدونة متكاملة تعكس عقائد الإباضية بشكل مبسط ولا تخلو من العمق في التحليل والقوة في الحجاج، وقد كان محل عناية وشرح من طرف الكثير من علماء الإباضية كحاشية الشّيخ يوسف بن محمد المصعبي(ت1187هـ/1773م)[2]، وحاشية الشّيخ أبوستّة محمّد بن عمر القصبي المشهور بالمحشيّ(ت1088هـ/1677م)[3]، و"مرآة الناظرين في أصول تبغورين" لعمرو بن رمضان التلاتي(ت1187هـ/1773م)، وشرحه من المعاصرين امحمد بن يوسف أطفيش (ت1332هـ/1914م)[4].

1- بيير كوبرلي: مدخل الى دراسة الإباضية وعقيدتها، ص107.

2- أبو يعقوب يوسف بن محمد المصعبي: من بلدة مليكة بميزاب استقر بجربة، تصدر للفتوى بها، اشتهر بالمحشي الثاني بعد أبي ستة لكثرة حواشيه، ينظر: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص492

3- محمد بن عمر القصبي: من أشهر علماء الإباضية بجربة، له حواش عديدة على أمهات الكتب الإباضية، بلغ عددها عشرين حاشية، لذلك اشتهر بالمحشي، ينظر: معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج2، ص388.

4- امحمد بن يوسف اطفيش: أهم علماء الإباضية المعاصرين يعرف بقطب الأئمة نشأ بغرداية، ترك العديد من المؤلفات في شتى أصناف العلوم منها المطبوع والمخطوط، ينظر، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص 399-405. قام الباحث عمرو خليفة النامي بتحقيقه ملحقا أطروحته للدكتوراه بعنوان "دراسات عن الإباضية"، من جامعة كمبرج الإنجليزية سنة (1971)، ونشرت الرسالة مترجمة الى اللغة العربية عن دار الغرب الإسلامي سنة2001، وأعاد الباحث عامر ونيس تحقيقه وصدر هذا التحقيق مطبوعا عن مكتبة الجيل الواعد بسلطنة عمان سنة(2005).

وينسب له كتاب آخر في علم الكلام عنوانه "**الجهالات**"[1] وهو أبرز كتاب اشتهر به، هذا الأخير كان كذلك محل عناية من طرف علماء الإباضية، فقد وضع الشّيخ أبو عمّار عبد الكافي شرحا عليه[2]، ووضع يوسف بن محمد المصعبي(ت1187هـ/1773م) حاشية على شرح أبي عمار عبد الكافي في التوحيد وعلم الكلام[3].

رد في هذا الكتاب على من خالفه في مذهبه، يعتمد الملشوطي في هذا الكتاب أسلوب الحوار بطرح أسئلة افتراضية وهمية يمكن أن تخطر في ذهن السائل من المخالفين ثم يجيب عنها "وفي هذا الكتاب يضع المؤلّف الأسئلة عن مختلف المسائل الكلامية الخاضعة للنّقاش ويجيب عنها تباعا"[4]، صيغ بأسلوب علمي يفترض فيه السؤال من المخالف ويقوم بالرد عليه، وهو نفس الأسلوب المعتمد عند أبي عمار عبد الكافي وأبي يعقوب الورجلاني، بغية تمكين التلاميذ من اكتساب فنون الرد والدفاع عن

---

[1]– اختلف حول أصول تسميته بين ثلاثة احتمالات،1– في حين يرى أصحاب كتاب معجم مصطلحات الإباضية أن سبب التسمية كونه مجهول المؤلف أو أن مسائله المبحوث عنها مجهولة قبل بيانها وإيضاحها 2–وحسب الباحث عبد الرزاق بلقاسم تسمية الكتاب بالجهالات مشتق من عبارة اصطلاحية موجودة في كل مصادر علم الكلام و هي عبارة "ما لا يسع الناس جهله" والتي تقابلها عبارة "ما يسع الناس جهله" واختزالهما ينتج كلمة الجهالات كما اختزل علماء المنطق عبارة "ما يصدق على" في مصطلح الماصدق (يطلق هذا المصطلح على عدد الأفراد اللذين يصدق عليهم مفهوم أو تعريف واحد) وعلى نفس المنوال صيغ مصطلح الديانات المشتقة من جملة "تدين بي" وهي كثيرة الاستعمال في المصادر الإباضية 3– الجهالات نسبة الى انتشار الجهل في زمن المؤلف، يبدوا من الاحتمالات الثلاثة أن الاحتمال الثاني أقرب للواقعية، يرجح بعض الباحثين أن نسبة هذا الكتاب الى الملشوطي مشكوك فيها نظرًا للطابع التجميعي لنصوص الكتاب وأسلوبه الغير متجانس، زمن ثم يحتمل أن يكون الكتاب مؤلف جماعي، وقد علمت من طرف الباحث بلقاسم عبد الرزاق (جامعي مهتم بالتراث الإباضي) أنه على وشك الانتهاء من تحقيقه في إطار إعداد أطروحة دكتوراه علوم بجامعة قسنطينة ينظر: بيير كوبرلي، المرجع السابق، ص45–46. معجم مصطلحات الإباضية، ج1، ص217.

[2]– يرجح أن نسبة هذا الكتاب الى الملشوطي مشكوك فيها، ويرجح أنه مؤلف جماعي نظرا الطابع التجميعي لنصوص الكتاب وأسلوبه الغير متجانس، ينظر: بيير كوبرلي، مدخل الى دراسة الإباضية وعقيدتها، ص45–46.

[3]– بيير كوبرلي: المرجع نفسه ص492. قام الباحث عامر ونيس من كلية الزيتونة للشريعة بتحقيقه ودراسته في إطار إعداد رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة سنة(1986).

[4]– عمرو خليفة النامي: دراسات عن الإباضية، 2002، ص224.

مبادئ الإباضية والإجابة عن جميع الأسئلة المحتملة في أصول الدين وله كتاب في أصول الفقه عنوانه "الأدّلة والبيان"

أبو عمار عبد الكافي(ت570هـ/1174م):

يرى الأستاذ عمار طالبي في كتابه "أراء الخوارج الكلامية" أنه من أعظم مؤلفي الإباضية مقدرة على الجدل والنظر، بل لا يقل عن متكلمي المعتزلة والأشاعرة في الإحاطة بمذهبه والدفاع عنه[1]، له عدة مؤلفات في العقيدة وعلم الكلام منها: كتاب "**الموجز في تحصيل السؤال وتلخيص المقال في الرد على أهل الخلاف**" المعروف اختصارا بكتاب "**الموجز**"، يتميز بأسلوب أدبي عال ومنهج كلامي متماسك، وهو إضافة مميزة للمدرسة الكلامية الإباضية في مجال الإقناع والمناظرة، يستنتج من عنوان الكتاب أنه مخصص للرد على المخالفين للعقيدة الإباضية والدفاع عنها محتويا على مناقشات كلامية بأسلوب جدلي وهو في جزئين أفرد الجزء الأول للتوحيد والجزء الثاني جمع فيه المسائل الكلامية الأخرى قام الدكتور عمار طالبي بتحقيقه.

وله كذلك كتاب آخر عنوانه "**كتاب شرح الجهالات**" المنسوب لتبغورين بن عيسى الملشوطي، وسع فيه الإجابات التي قدمها الملشوطي، مع تدعيمها بإثباتات جديدة ومفصلة[2]، والكتابان يتشابهان في المحتوى والأسلوب الى حد كبير، وله كتاب آخر في "**سير الحلقة**" وضع فيه بعض الترتيبات الجديدة لتنظيم حلقة العزابة التي تزعم مجلسها، قام الدكتور مسعود مزهودي بتحقيقه ونشره.

---

[1]- عمار طالبي: آراء الخوارج الكلامية، ص219.

[2]- عمرو خليفة النامي: دراسات عن الإباضية، ص225. قام الباحث ونيس بن عامر بإعداد دراسة وتحقيق عليه في إطار تحضير دكتوراه الحلقة الثالثة في أصول الدين من جامعة الزيتونة، ينظر، ونيس بن عامر: الشيخ أبي عمار عبد الكافي–كتاب شرح(الرد على) الجهالات– دراسة وتحقيق، رسالة دكتوراه، كلية الزيتونة للشريعة وأصول الدين، الجامعة التونسية، 1985.

أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الورجلاني (ت570هـ/1174م):

من أهم مؤلفاته كتاب "**الدليل لأهل العقول لباغي السبيل بنور الدليل لتحقيق الحق بالبرهان والصدق**" في ثلاثة أجزاء المعروف اختصارا بكتاب "**الدليل والبرهان**"، وهو في أصول الدين يعتبر أهم التآليف في علم الكلام الإباضي، وضع نصوصا لتلاميذ الحلقات لتدريبهم على علم الكلام وعلى فن المناظرة[1]، يكشف عنوان الكتاب عن حقيقة المذهب الإباضي والرد على المخالفين.

يتضمن الكتاب أهم المسائل الكلامية وموقف الإباضية منها كمسألة الصفات، وخلق القرآن، ورؤية الله في الأخرة، ومسألة الولاية والبراءة والوقوف والشفاعة ومسألة الجبر والاختيار، كما يناقش فيه مختلف الفرق الأخرى كالمعتزلة والأشاعرة بأسلوب حواري يمزج في اثباتاته بين النص الشرعي والحجج العقلية.

وله كتاب آخر "**كتاب العدل والإنصاف في أصول الفقه والاختلاف**" وهو كتاب في أصول الفقه كما يتضح من العنوان إلا أنه يحتوي على بعض الآراء الكلامية، اختصره الشماخي أبو العباس في كتاب "مختصر العدل والإنصاف"[2]،

ونظرا لقوة الطرح عند كل من أبي عمار عبد الكافي وأبي يعقوب الورجلاني لا يخلو مصدر من مصادر التراث الذي جاء بعد القرن السادس من الإحالة على كتاب "الموجز" أو "كتاب الدليل والبرهان"[3].

1- المنصف قوجة: تاريخ الإباضية الديني والسياسي، ص111. قام الباحث بوسعيد صالح من جامعة الزيتونة بإنجاز دراسة وتحقيق لهذا الكتاب في إطار إنجاز أطروحة دكتوراه، وقام الشيخ سالم بن حمد الحارثي من سلطنة عمان كذلك بتحقيقه ونشره.

2- تاديوش ليفتسكي، دراسات شمال افريقيا، ج1، ص23.

3- فرحات الجعبيري: البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، ص178.

أبو عمر عثمان بن خليفة السوفي(ق06هـ/12م):

أحد أعلام الإباضية البارزين، نشأ في عصر ازدهرت فيه الحركة العلمية بورجلان، قال عنه الشماخي: "كان إماما في العلوم لاسيما الكلام" من أهم أثاره "**كتاب السؤلات**" وهو كتاب في الفقه وعلم الكلام، من ضمن ما يحتويه أجوبة مفصلة على أسئلة مختلفة في المبادئ العقدية للإباضية[1]، يحتوي الكتاب على أكثر من تسعين سؤالا غير متساوية في الحجم في جميع مسائل الأصول، تمكن دارسها من الإجابة على أي سؤال محتمل.

و"**رسالة في الفرق**" وهي عبارة عن بحث في العقيدة[2]، تناول فيها الإفتراقات الإباضية، وعدد مسائل الخلاف الفقهية والكلامية بين الإباضية الأم(الوهبية) والفرق المتفرعة عنها، كما رد على فرق الخوارج والمرجئة والقدرية والجبرية والشيعة، قال أبو عمرو خليفة السوفي في مستهل رسالته: "ثم إني مجيبكم على بيان ما اختلف الأفراق من جميع ما مضوا ...وشرح ذلك وتلخيص ما دانت به كل فرقة وبانت به من الكفر والخزي"[3].

1– المرجع نفسه: ص50. ولا يزال الكتاب مخطوطا، وقد علمت من طرف أحد الباحثين المهتمين بالتراث الإباضي أن الكتاب حقق من طرف الأستاذ فخار الحاج عيسى خصير بن محمد وهو قيد الطبع في خمسة مجلدات، ولم ينشر بعد.

2– تاديوس ليفتسكي: المؤرخون الإباضيون في افريقيا الشمالية، ص72.

3– أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي: رسالة في فرق النكار الست وما زاغت به عن الحق وبعض الفرق الأخرى، ص08، 57. زهير تغلات: «فرق الإباضية بين مخطوط رسالة الفرق»، ص96. قام الباحثان عامر ونيس وزهير تغلات بإنجاز دراسة عن الرسالة نشرها الأول بنص مرقون مهدى للمكتبة البارونية بجربة سنة(2001) والثاني نشرها بمجلة الكوفة التي تصدرها جامعة الكوفة بالعراق، ع.7، 2014 ثم ضمن كتاب له "الفكر الإباضي ـ التجليات السياسية والحضارية ـ" .

أبو سهل يحيى بن إبراهيم الورجلاني (ق6هـ/12م):

من المصادر الكلامية الإباضية كتاب "**عقيدة في معرفة التوحيد والفرائض**" لأبي سهل يحيى الوارجلاني، الموضوع الأساسي للكتاب هو العقيدة وعلم الكلام وإن غلب عليه الجانب الأخلاقي[1]، بالإضافة الى مسائل آخرى فقهية، ومن المسائل الكلامية في الكتاب: التوحيد وصفات الله وما يلزم عن ذلك من ردود على مختلف الفرق التي تخالف الإباضية في مسألة من مسائل الكلام كالرد على المشبهة في الصفات والقدرية والمرجئة في مسألة الخلود.

وتجدر الإشارة هنا خاصة مع هؤلاء الأعلام الثلاثة (أبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي، أبو عمار عبد الكافي، أبو يعقوب الورجلاني) الى دخول الأشاعرة في صلب مناقشاتهم الكلامية بعد أن هبت رياحهما في مناطق الإباضية[2]، وهذا ما يفسر قمة الإبداع الكلامي الإباضي خلال القرن السادس هجري، وأزهى عصور الإباضية من حيث الإنتاج الفكري.

هذا التطور في الدراسات الكلامية يعود في الحقيقة الى أسباب عديدة منها ما كان قبل تأسيس حلقة العزابة عندما كانت بلاد المغرب الإسلامي تعرف مختلف التيارات

1- فرحات الجعبيري: البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية، ج1، ص120، الهامش رقم1. تم تحقيق الكتاب من طرف المستشرق بيير كوبرلي ضمن ملاحق إعداده رسالة دكتوراه حول الإباضية وعقيدتها، منشورة في مجلة الكراسات التونسية التي تصدرها كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة تونس، الحلقة الأولى في العددين(121-122) مع ترجمة الى الفرنسية سنة (1982م) ثم الحلقة الثانية في العددين المواليين(123-124)، إلا هذا التحقيق لم يكن في المستوى المطلوب حسب الدكتور مصطفى بن محمد شريفي، انطلاقا أولا من اعتماده على نسخة واحدة، هذا وقد ختم الباحث مصطفى بن محمد شريفي مقاله التعريفي بعقيدة التوحيد بدعواه للقراء من أجل تحقيقها من جديد بعد حصوله على العدد الكافي من نسخ المخطوطة للكتاب. ينظر: مصطفى بن محمد شريفي: "عقيدة في معرفة التوحيد والفرائض" لأبي سهل يحيى بن ابراهيم الورجلاني، مجلة الحياة، العدد 01جانفي1998، نشر جمعية التراث، القرارة، ص178. دراسات وأبحاث عن الإباضية "ببليوغرافيا"، نشر جمعية التراث، غرداية، د ت، ص104.

2- الجعبيري: المرجع السابق، ج1، ص118.

الفكرية الإسلامية الوافدة من المشرق، ولم يكن إباضية المغرب ليشذو عن التأثر بهذا الجو الفكري الذي لا محال سيجسد صراعا فكريا بين مختلف المذاهب والفرق، وهو جو كذلك يساعد على نمو وتطور علم الكلام، هذا ناهيك عن الانقسامات الإباضية، بل أكثر من ذلك ظروف تأسيس وتشكيل المقالات العقدية في المشرق، فالمعلوم أن البصرة موطنهم الأصلي وما كانت تمثله هذه المدينة من قيمة رمزية باعتبارها موطن العلم الأول[1]، وباعتبارها من عواصم الثقافة الإسلامية.

فقد كانت البصرة موطن أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة وواصل بن عطاء زعيم المعتزلة، وما كان بينها من نقاشات خاصة حول مسألة القدر، هذا الاحتكاك كان في بلاد المغرب كذلك، فقد ذكر ابن الصغير في كتاب "أخبار الأئمة الرستميين" مجادلاتهم زمن الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي، ليأتي الدور على العزابة في حفظ الوجود الإباضي بعد أن توفر لها رصيدا مهما من الإرث العقدي، فتوجه أعضاؤها الى حسم المسائل العقدية من خلال التماس الحجج العقلية والنقلية عن طريق التعليم والتلقين أوعن طريق المناظرة أو كتابة الردود والتأليف.

تدل هذه المصادر عن صراع معرفي دائم من أجل إثبات الذات مع الأخر، وخاضوا في جميع مسائل الكلامية دون أي هاجس، أكثر من ذلك يتجاوزون ما هو متداول ويفترضون مسائل كلامية محتملة ويقدمون إجابات عليها وفق نسق إذا كان السؤال كذا...فالرد يكون كذا، بأسلوب يجمع بين النقل والعقل ويميل الى الاختصار والدقة والوضوح بعيدا عن التعقيد المصاحب للمقولات الكلامية عند المعتزلة مثلا.

---

[1]– يتردد في الأخبار الإباضية القديمة مثل يقول" نشأ العلم في المدينة، ونما في البصرة، وطار الى عمان" وأضيف اليه "ثم يقع، وإنما يقع رأس الدين بالمغرب، والشيء إذا وقع لا يرفع من سطحه ولا من أصله وإنما يرفع من عند رأسه". ينظر، بيير كوبرلي: مدخل الى دراسة الإباضية وعقيدتها، ص73، 457.

يغلب على المؤلفات في أصول الدين أو علم الكلام الإباضي الصبغة التعلمية بهدف تلقين المتعلمين أصول المذهب الإباضي بأسلوب حواري قائم على طريقة السؤالات أو الأسئلة سواء كانت حقيقية أو افتراضية، بمعنى أن المؤلف يفترض سؤالا من مخالف على نحو فإن قالوا ..فإن سألو... إن قُلتَ قُلتُ، وإن سأل سائل، هذا الأسلوب يهدف الى تبسيط التعقيد الذي تتسم به المقالات العقدية وجعلها في متناول المتعلمين، وسد أي ثغرة فكرية أمام الخصوم لتهافت المقالات الإباضية، ثم يضع الاجابة التي يعتقد أنها مقنعة وحاسمة، وعادة ما تكون الإجابة في فقرات لا تتعدى مجموعة من الأوراق، ثم ينتقل الى السؤال الموالي، وهكذا لدرجة أن بعض المصادر استمدت اسمها من السؤال مثل كتاب "السؤالات" لعمرو بن خليفة السوفي وكتاب "الجهالات" لتبغورين بن عيسى الملشوطي.

تتضمن الكثير من المصادر الاباضية في علم الكلام أو أصول الدين كثير من المضامين الفقهية واللغوية، مما يصعب عملية تصنيفها بدقة فيمكن أن تصنيف في أكثر من مجال، مما يفسر الطابع الموسوعي لأصحابها، ولتقارب وتداخل هذه المعارف وحاجه بعضها لبعض لفهم مسألة ما.

اللافت للانتباه أن جل الأعمال والمؤلفات كانت بعد نهاية القرن السادس هجري عبارة عن شروحات أو اختصارات أو حواشي وتعليقات على مؤلفات فترة البحث، بعد أن سكنت الفعالية الكلامية الإباضية شأنها شأن الفرق الأخرى مما يدل فعلا أن الفترة ما بين القرن الرابع والسادس هجري هي أزهى فترات الإبداع الكلامي الإباضي.

تآليف أهل المغرب[1][2]

العنوان	المؤلف		التخصص	الزمن	ملاحظة
جوبات الأئمة	رسائل الأئمة الرستميين الى رعياهم منها رسالة محمد بن أفلح في الرد على من لا يقول بخلق القرآن		فقه+ علم الكلام	ق03هـ	
تفسير القرآن	هود بن محكم الهواري(ق3هـ)		تفسير	ق03هـ	محقق
تفسير القرآن	عبد الرحمان بن رستم(171هـ/788م)		تفسير	ق02هـ	
لم يذكر عنوان الكتاب	سعد بن أبي يونس		/		
الرد على جميع المخالفين	أبو خزر يغلا(380هـ/990م)		في الكلام	ق04هـ	محقق
لم يذكر عنوان الكتاب	سعيد بن زنغيل(أوائل القرن4هـ)		من سياق الحديث يحتمل أن يكون في الكلام	ق04هـ	
التحف المخزونة	أبو الربيع سليمان بن يخلف(ت471هـ/1079م)		في علم الكلام وأصول الفقه	ق05هـ	الجزء الأول موجود وهو محقق
لم يذكر عنوان الكتاب	منسوب الى أبو سليمان داود بن أبي يوسف		في الفقه		
أصول الدين	تبغورين بن عيسى الملشوطي النصف الأول من (القرن06هـ)		أصول الدين وعلم الكلام	ق06هـ	محقق
لم يذكر عنوان الكتاب	أبو عمران موسى بن زكريا		في الفقه		
ديوان غار امجاج في 12جزء	سبعة من المؤلفين		في الفقه	ق05هـ	موجود
ديوان الأشياخ في 25جزء	//		في الفقه	ق05هـ	موجود ولكن حدث خلط بينه وبين دوان غار أمجاج يُعمل

[1]– يقصد بأهل المغرب إباضية ورجلان وبلاد الجريد مع جزيرة جربة.

[2]– البرادي: الجواهر المنتقاة، ص219–221، البرادي: رسالة فيها تقيد أصحابنا الإباضية، تحقيق عمار طالبي ضمن كتاب أراء الخوارج الكلامية، ج2، ص287–294.

					على تحقيقه
أصول الأراضين 25جزء	أبو العباس أحمد بن محمد(ت504هـ/1111م)		في العمارة	ق06هـ	محقق
تبين أفعال العباد 03 أجزاء	//		أصول الدين وعلم الكلام	ق06هـ	
جامع أبو مسألة	//			ق06هـ	
السير في الدماء	//		في الفقه	ق06هـ	محقق
كتاب الجنازة	//		في الفقه	ق06هـ	
كتاب مبيض في الألواح لم يذكر عنوانه	//		/	ق06هـ	
كتاب الجهالات	تبغورين بن عيسى الملشوطي النصف الأول من (القرن06هـ)		في علم الكلام	ق06هـ	نسبه المتأخرون للملشوطي، وهو محقق
السؤلات	أبو عمرو عثمان بن خليفة(القرن06هـ)		في علم الكلام	ق06هـ	غير محقق، يعمل أحد الباحثين المعاصرين على تحقيقه
السيرة في أخبار الأئمة في جزئين	أبو زكريا الورجلاني(ت474هـ/1081م)		في الأخبار	ق05هـ	محقق
أجوبة وفتاوي في علم الكلام	//		في علم الكلام	ق05هـ	غير محقق
الموجز	أبو عمار عبد الكافي(ت570هـ/1174م)		في علم الكلام	ق06هـ	محقق
شرح الجهالات	//		في علم الكلام	ق06هـ	محقق
كتاب الفرائض	//		في الفقه	ق06هـ	/
كتاب الفروع	//		في الفروع	ق06هـ	/
العدل والإنصاف	أبو يعقوب الورجلاني(ت570هـ/1174م)		في أصول الفقه	ق06هـ	محقق
الدليل والبرهان	//		في علم الكلام	ق06هـ	محقق
كتاب الترتيب في	//		في الحديث	ق06هـ	محقق

الصحيح					
كتاب في التفسير لم يذكر عنوانه وهو كتاب ضخم في 08 أسفار، كل سفر في 700ورقة	//		في التفسير مع بعض المسائل الكلامية لما يتعل الأمر بتفسير مسألة الإمامة	ق06هـ	مفقود
كتاب المعلقات في أهل الدعوة	مجهول		في الأخبار	ق06هـ	الحاج سليمان بن إبراهيم با بزيز
الشيطان	مجهول		في الفروع	/	غير مرغوب في دراسته، يحتمل أن يكون من تأليف أحد المخالفين للمذهب، يبدوا أن العنوان الأصلي للكتاب محرف، الغرض من ذلك التشويش على أفكار صاحبه
مجهول	أبو محمد واسلان بن أبي صالح		في الفروع	/	
جوابات بن خلفون	أبو يعقوب يوسف ابن خلفون(ط12، 550-600هـ/1155-1203م)		في الفقه	ق06هـ	محقق
طبقات المشائخ	أبو العباس أحمد الدرجيني(670هـ/1271م)		في التراجم	ق07هـ	محقق
عقيدة التوحيد	أبو سهل يحيى بن ابراهيم(ط12: 550-600هـ/1155-1203م)		في التوحيد والتصوف	ق06هـ	محقق

تآليف أهل نفوسة

العنوان	المؤلف		التخصص	الزمن	الملاحظة
أصول الدينونة الصافية	عمروس بن فتح المساكني(283هـ/896م)		عقيدة وعلم الكلام	ق03هـ	العنوان من وضع النساخ وهو محقق
اللقط في أربعة أسفار	لم يذكر المؤلف			/	
كتاب في الفقه في سبعة أجزاء لم يذكر عنوانه	أبو زكريا يحيى الجناوني		في الفقه	ق05هـ	
كتاب الوضع أو اللمع	//		أصول الفقه وعلم الكلام	ق05هـ	محقق
كتاب في الرد على من لا يقول بخلق القرآن	ابراهيم الغدامسي		علم الكلام	قبل القرن 09هـ	ذكر المستشرق مونتيلنسكي أنه رآه ووصفه أنه كراس صغير
كتاب في علم الكلام بدون عنوان	مجهول		علم الكلام	/	
كتاب الإيضاح	لعامر بن علي الشماخي(ت792هـ/1389م)		في الفقه المقارن	ق09هـ	محقق
كتاب القواعد(قواعد الإسلام)	اسماعيل بن موسى الجيطالي(ت755هـ/1349م)		في أصول الدين	ق09هـ	محقق
كتاب شرح القصيدة النونية في التوحيد	//		في أصول الدين	09هـ	

ما يلاحظ من الجدولين السابقين:

فمن مجموع ما ألف (46) مؤلف في مختلف فروع الدين نجد (16) بما يوافق (34,78%) تأليفا صريحا في علم الكلام، منها(10) بما يوافق(21،73%) في الفترة ما بين منتصف القرن الخامس هجري حتى نهاية القرن السادس هجري، وهو ما يتوافق مع أوج نشاط حلقة العزابة، ومنها(08) بما يوافق(39،17%) تآليف في فروع أخرى يتحدث أصحبها في ثنايها عن بعض القضايا الكلامية على علاقة بمسائل الفقه وأصوله أو التوحيد أو التاريخ والتراجم، كلها يتوافق كذلك مع الفترة بين منتصف القرن(05هـ/11م) حتى نهاية القرن(06هـ/12م)، وإذا نظرنا الى المؤلفات الكلامية التي تسبق تأسيس حلقة

العزابة نجد (04) تآليف بما يوافق(8،69%)، أما بعد نهاية القرن (06هـ/12م) فهي (05) تآليف بما يوافق (10،86%) في مجملها تأليف غير صريحة في علم الكلام كالفقه المقارن أو أصول الدين.

تدل هذه الأرقام على ما يلي:

- دور العزابة في تنشيط الحياة الثقافية بورجلان بصفة عامة والدراسات الكلامية بصفة خاصة.

- تصدر الدراسات الكلامية ما بين القرنين الرابع والسادس هجريين يدل على أن الفترة كانت شديدة الصراع الفكري مع مختلف المذاهب الأخرى خاصة الأشاعرة.

- تصدر الدراسات العقدية وقضايا الخلاف الكلامي باقي الدراسات الأخرى مرد ذلك الى طابع التميز الذي تحرص عليه الإباضية.

- انتقال مركز الثقل الثقافي الإباضي من جبل نفوسة الذي عرف أوج ازدهاره الأول في القرون السابقة، خاصة منها القرنين (2-3هـ/8-9م) مع الإمامة الرستمية، الى بلاد الجريد وجربة ثم ورجلان، خاصة بعد واقعة مانو(283هـ/896م)، فالمقارنة بين الجدولين السابقين تأكد ذلك بوضوح فقد، كان عدد التآليف أهل المغرب(36) تأليف وأهل جبل نفوسة (10) تآليف.

الفصل الرابع:

المناظرات الإباضية

1-المناظرات مع المخالفين(الجدل الخارجي)

- المناظرات الإباضية المالكية
- المناظرات الإباضية المعتزلية
- المناظرات الإباضية الشيعية

2-الإباضية الوهبية في مواجهة الفرق الإباضية الأخرى: (الجدل الداخلي)

- المناظرات الوهبية والنكارية.
- المناظرات الوهبية الخلفية.
- المناظرات الوهبية النفاثية.
- المناظرات الوهبية الفرثية.
- المناظرات الوهبية السكاكية.

تعتبر المناظرات[1] من أهم الوسائل الفكرية والأدبية لنشر دعوة مذهبية، أو للدفاع عنها أو لمنافسة المذاهب الأخرى، فهي مجال رحب تتاح فيه الفرصة لإبراز القدرات العلمية والبراعة في ترتيب الحجج، الهدف منها إظهار الحقيقة، ومن ثم يتطلب فيمن يكون أهلا للمناظرة أن يكون صاحب زاد المعرفي الكبير وسعة الأفق، وتعقد المناظرة بين طرفين مختلفين في المذهب أو العقيدة لبحث مسألة من المسائل الفقهية أو العقدية أو غيرهما من أجل إقناع الخصم بوجهة نظر ما، عن طريق حوار مستمر في شكل سؤال وجواب تستخدم فيها طرق الاستدلال والبرهنة العقلية والنقلية.

تعقد المناظرات في مجالس عامة أو خاصة في مراكز علمية، أوفي المساجد وحتى البيوت، ولا تشذُ الإباضية في توظيف المناظرة لأجل الدفاع عن تصوراتها المذهبية، بل نجد في ثنايا المصادر الإباضية ما يدعو الى اكتساب هذا الفن وإتقانه حتى يتعود أفراد المجتمع الإباضي على مناظرة مخالفيهم والرد عليهم، لما لهذا الأسلوب من أثر في إطلاق اللسان وتقوية الحجة والقدرة على الارتجال، وحسن استخدام المعلومة، كل ذلك مدعاة للثقة بالنفس ومن شأن ذلك حفظ المذهب الإباضي من الذوبان في الآخر وترسيخه في وجدان الأتباع، وتوجيههم فكريا ليكونوا دعاة للمذهب في المستقبل.

بل هي عندهم وسيلة من وسائل التربية وإثبات المستوى العلمي ما لم تؤدي الى تغيير الصدور[2]، فقد اختبر الوفد المشرقي الذي زار تيهرت فترة إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن الرستمي(ت208هـ/823م) رجلا من رجال الإباضية بأنه عالم بعد اختباره،

---

[1]- المناظرة في اللغة مشتقة من الفعل ناظر، يقال ناظر فلاناً أي صار نظيرًا له، أي المماثلة والندية والتقابل، "وهي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهارا للصواب" تكون في شكل أسلوب الحوار العلمي يبنى على الجدل غرضه الحقيقة، وترغيب الناس في طلب العلم، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ج5، ص215. الجرجاني: التعريفات، ص295. أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص53.

[2]- الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص 79.

وجرت بينه وبينهم مناظرات شهدوا له في الأخير بعُلو كعبه في العلم وقالو: لا نعلم أحدا بالمشرق والمغرب مثل هذا العالم[1].

حدود المناظرة وشروطها:

أفرد أبو يعقوب الورجلاني(570هـ/1174م) فصلا للمناظرة وشروطها في كتابه "الدليل والبرهان"، وذلك في خضم الرد على الأشاعرة في باب الصفات، أولها الاتفاق بين المتناظرين أن الله لم يفرد نفسه بلغة غير لغتنا التي استعملناها بيننا، فمراعاة اللسان التي يقع به التناظر من شأنه أن يؤدي الى وضوح المعنى، وبيان قوة الحجة وصحتها وتماسك البرهان سواء كان عقليا أو شرعيا أو لغوياً.

-ألا يطلق على الباري سبحانه ما لم يأذن به الشرع، أو معنى يحيله العقل، لاتفاقنا نحن وهم على أن الله "ليس كمثله شيء"، والإقرار بالحق إذا ظهر والإذعان له وحسن الأدب في المناظرة[2].

لا يكتفي العلامة اسماعيل الجيطالي(ت750هـ/1349م) بالشروط التي تتعلق بمحتوى المناظرة بل يشرحها و يزيد عليها شروطا تتعلق بالشكل حتى تحقق الأهداف المنشودة:

-أن تخلو المناظرة من الخداع الفكري والتلاعب بالألفاظ والعبارات بغرض تضليل الخصم واستمالة الجمهور والتشفي رياءً وسمعة، ولا ينبغي له أن يكون معجبا بجداله.

-ومن الأحسن أن تكون المناظرة في خلوة، لأن الخلوة أجمع للفهم وأدرك للحق، وحضور الجمهور يحرك دواعي الرياء، ويهيج الحرص على نصرة كل واحد منهما لنفسه محقاً كان أو مبطلاً، ويبعد حب الانتصار والظهور.

---

[1]- هذا العالم هو أبو مرداس مهاصر السدراتي، ينظر، مقرين البغطوري: سير مشائخ نفوسة، تحقيق توفيق عياد الشقروني، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2009، ص57. الشماخي، السير، ج2، ص302.

[2]- أبو يعقوب الورجلاني: الدليل والبرهان، ج1، ص 54-55. ج3، ص333.

-أن يكون المناظر من المجتهدين حتى إذا أدرك الحق مع الخصم ترك رأيه، أما إذا كان من المقلدين فقد يقع في الإحراج اذا ظهر له ضعف رأي صاحب مذهبه، وأن يكون الهدف من المناظرة طلب الحق لا غير"[1] بعيدا عن التعصب والانفعال، فليس الغرض إفحام الخصم وترهيبه وتهديده، وليس الغرض الشهرة ونيل المنصب، والتقرب من الحكام، وينبغي الالتزام بالنتائج التي وصلت إليها المناظرة.

-وعلى المناظر أن يتجنب السخرية والشتم، والحسد والحقد والاستكبار، ويقدم على ذلك تقوى الله.

هذه مجموعة من الخصائص الخلقية والعلمية والنفسية يوجبها علماء الإباضية أن تتوفر في المناظر، وهي ما يعرف عند أصحاب علم المناهج ب "الروح العلمية" التي تمكن صاحبها من بلوغ الحقيقة، وإن كانت هذه الخصائص تعبر عن ما يجب أن يكون وهو المطلوب، إلا أن واقع حال هذه المناظرات يُنبئنا أنها كثيرا ما كانت لأغراض غير علمية.

سنتطرق إلى بعض هذه المناظرات وأحوالها مقتصرين على المناظرات المباشرة، إلا ما كان مع الفرق المنشقة عن الإباضية فقد نورد مناظرات غير مباشرة نظرا للإهمال الذي لقيته هذه المجموعات من المؤرخين، أما ما كان من شأن المناظرات غير المباشرة مع الفرق المخالفة الأخرى فقد وردت في الفصول السابقة كإستشهادات أو توضيحات في مسائل كلامية.

1- إسماعيل الجيطالي: قناطر الخيرات، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1983،ج1، ص141-144، عبد الرحمن عثمان حجازي: تطور الفكر التربوي في الشمال الإفريقي، ص140.

1- المناظرات مع المخالفين(الجدل الخارجي).

المناظرات بين الإباضية والمالكية.

نظرة المالكية الى الإباضية:

تعود جذور اختلاف الإباضية مع المالكية إلى الأحداث الأولى التي عرفتها بلاد المشرق، وكان من محاورها شرعية خلافة عثمان بن عفانﷺ، وخلاف علي بن أبي طالبﷺ وأصحابه في قضية التحكيم، فتأييد الإباضية للمُحكمة والخروج عن الحاكم مناقض للموقف المالكي الذي يرفض الحكم على الصحابة والخروج عن طاعة الحاكم، الأمر الذي نتج عنه بروز مقالات دينية ذات صبغة سياسية اجتماعية متناقضة تماما تطورت الى مسائل كلامية بامتياز، كمسألة الإمامة وشروطها، وحكم مرتكب الكبيرة، ومسألة خلق القرآن، لكن هذا لا ينفي طابع التقارب بينها في مقالات أخرى كمقالة القدر، والحجة(أولية النقل على العقل) ومقالة الجبر والاختيار.

انعكست هذه الخيارات الفكرية على الصراع المذهبي ببلاد المغرب بين الإباضية والمالكية، ومن صور ذلك ما نقله الونشريسي(914هـ/1508م) في كتاب "المعيار" من فتاوى المالكية في حق الإباضية، فقد أفتى أبو القاسم اليسوري(ت460هـ/1068م) في جماعة من الإباضية أظهروا ممارسة الشعائر الدينية على مذهبهم بمسجد خاص بهم، أفتى بمنع دخول عزابتهم إليه ويعمر بأهل السنة، وأن أنكحتهم من السُنيات تفسخ ويضربون الى أن يتوبوا[1].

وترد فتوى أخرى من أبي الحسن اللخمي(ت478هـ/1085م) تشبه الأولى بعد أن ورد إليه سؤال في قوم من الإباضية أظهروا مذهبهم في وسط مالكي، ولهم مسجد خاص يجتمعون فيه ويصلون صلاة العيد فيه، فعزم العامل على الإقليم هدم مسجدهم وإلغاء

---

[1]- الونشريسي أحمد بن يحيى: المعيار المغرب عن فتاوي أهل افريقية والأندلس والمغرب، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ج2، ص445-446، وكذلك ج10، ص149-153.

عقود أنكحتهم مع السُنيات، فأجاب: إن ذلك من شأنه أن يفسد على الناس دينهم، ومن واجب الحاكم أن يمنعهم عن ذلك، فإن لم يمتنعوا أدبهم وسجنهم وبالغ في ضربهم وأما المساجد فلا تهدم بل تخصص لأهل السنة[1].

ووردت فتوى أخرى في كتاب "المعيار" تحذر من تعليمهم، والاقتصار فقط على تحفيظ القرآن الكريم لأولادهم، وإن غلب الظن أنهم يستعينون بتعلم القرآن على تعلم كتب مذهبهم يحرمون من ذلك، وإن علمتم فأدوا عنكم المظالم فلا بأس[2].

تجاوز الاختلاف العقدي والفقهي بينهما إلى حد التعصب في بعض الأحيان ومن صور ذلك نسبة بعض المصادر السنية للإباضية فرقاً لا نجد لها ذكر في المصادر الإباضية[3]، وإن ذُكرت فمن جهة التبرؤ منها، واضح من هذا اعتبار الإباضية من الخوارج وهي تهمة لازمتها طوال تاريخها في بلاد المغرب، مما يوحي أن بعض الكُتاب لم تتوفر لديهم فرصة الاطلاع الجيد على حقيقة الإباضية[4]، انعكس ذلك على أدبياتهم الى يومنا هذا، فلا تكاد تخلو كتاباتهم من جمع الحجج التي تبرؤهم من تهمة الخوارج.

ومن صور التعصب كذلك غفلة المصادر المالكية عن الحديث عن مقاومة الإباضية للشيعة في بلاد المغرب الإسلامي(عن قصد أو غير قصد)، حتى يحظى المالكية وحدهم بشرف مقاومة التشيع، وحتى لا يسجل التاريخ أي فضل للإباضية في مقاومة التشيع، وتتكرر هذه الغفلة كذلك مع الحديث عن القبائل الزناتية بالمغرب الأوسط والأدنى حاملة لواء الإباضية في مقومتها للفاطميين دون الإشارة إلى مذهبها

1- الونشريسي: المعيار ،ج2، ص446-447. الهادي روجي ادريس: الدولة الصنهاجية، ج2، ص360.

2- الونشريسي: المصدر نفسه،ج8، ص237-238، ج 2، ص446. الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج2، ص359.

3- الشماخي: السير، ج1، ص54.

4- سيف بن سالم الهادي: الإباضية والمالكية في الغرب الإسلامي، ص210.

لتقزيم دور الإباضية في مواجهة التشيع[1]، هذا ناهيك عن الحرص في كيفية ممارسة الشعائر الدينية شعارا للهوية المذهبية والانتماء السياسي.

وإن كان هذا لا ينفي الكثير من صور التسامح المذهبي بين أنصار المذهبين فقد ذكر الدرجيني أن أحد شيوخ المذهب أبو محمد جمال المدوني(حي بعد:354هـ/967م)[2] كان يصلي بجماعة أكثرهم أهل الخلاف ممن يرى القنوت في صلاة الصبح[3]، فكان يقنت بالآيات التي فيها الدعاء، فذلك من شأنه عدم فساد الصلاة على مذهب الإباضية، فكانوا يشكرونه ويثنون عليه[4].

نظرة الإباضية الى المالكية:

وأما من صور المالكية عند الإباضية ما أورده الوسياني في كتابه "السير" أن أبي نوح صالح بن إبراهيم(حي في557هـ/1161م) ذكر أن أبا عبد الله محمد بن سليمان الأبدلاني(ق6هـ/12م) كان بحلقته في وغلانة[5]، ووجد فيها رجلا عالماً من الحشوية[6]

1- حسن حافظي علوي: مراجعات حول الصراع السني الإباضي ببلاد المغرب، ضمن كتاب الصراع المذهبي ببلاد المغرب، ص88-97.

2- قال عنه الدرجيني "فقيه الأسلاف.. الشامل ما أشرف على الشتات.. وهو من السباق في العلم والورع والندى"، كان عاملا لأبو خزر يعلا بن زلتاف على ورجلان حين خرج على الفاطميين بعد مقتل أبا القاسم يزيد بن مخلد، جهز قوة من ورجلان إلى بغاي الا أن أبا خزر تعجل الخروج قبل وصول المدد من ورجلان فكانت الهزيمة مع من معه من الإباضية سنة(354هـ/967م)، ينظر: الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص345، معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج2، ص114.

3- لا شك أنه يقصد بذلك المالكية فهم يقنتون في صلاة الصبح على عكس الإباضية، والمسألة مسألة فقهية خلافية.

4- الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص347.

5- من قرى ورجلان .

6- الحشوية: يطلق هذا الإسم على الذين تمسكوا بظاهر النصوص ويجرون آيات الله على ظاهرها، أدى بهم هذا الفهم في الكثير من الأحيان الى التجسيم نظرا لمغالاتهم في ذلك، ينظر، التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق لطفي عبد البديع، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، 1963، ج2، ص166. واضح من سياق الحديث أن الراوي يقصد الطعن في المالكية.

يقال له: علي بن حمزة الرقاري[1] فقال لمن حضر من شيوخ وغلانة: "عند من ضيافة العزاب اليوم؟ فقيل له: عند صالح بن حسان[2]، فقال نعم، هو لها أهل، فلما حضر الطعام، دخل العزاب الدار قبله، وبعثوا الى علي بن حمزة، فلما جاء تفسح له العزاب فكل يدعوه الى الجلوس بجنبه، فجعل يحلف لهم لا يقعد، فقال لهم عبد الله: لا يقعد إلا حذائي(بجانبي) فقعد، ومرت الإيمان لا يبالي بها، فجعل يأكل ووقع كساؤه حتى بدت أحقاره وخواصره من نهمه وهلعه، فأخذ العزاب اللحم فأعطوه، وقد وصآهم أبوعبد الله على ذلك، إذ هو وصية العزاب إذا جلس معهم غيرهم من أهل البلد، فكيف والحشوي ضيفهم، فدفع له أبو عبد الله اللحم، فحلف وأخذه، وكل من دفع له سبق اليمين، ثم أخذ بعدها ولا يبالي باليمين، وقال لأبي عبد الله: نحن العلماء كالخيط النعام نحك حيث أردنا بأعناقنا. فقال أبوعبد الله: أضل الله من أضله، هذا لسوء أدبه ورغبته، وشدة جفائه وبرمه"[3].

يلاحظ من هذه الرواية نظرة الاحتقار للأخر حتى ولو كان عالما، من خلال عدم تأدبه في الأكل أولا واليمين التي كان يتلفظ بها ولا يلقي لها بالا ثانيا، في مقابل ذلك حسن أدب العزابة وشيخهم ومدى كرمهم.

والمتفحص للرواية جيدا يرجح أن الشخص الذي تحدث عنه ليس من أهل الفقه، فقد يكون شخصا له مكانة ومحبة عند قومه، ولا يمكن أن يكون عالما.

وقد يصل الاختلاف إلى حد التعصب واستخدام العنف، من ذلك أن رجلا طعن في دين الوهبية من المخالفين في قرية من قرى بلاد الزاب في عهد فتوح بن أبي الحاجب

1- لم نعثر له على ترجمة.

2-لم نعثر له على ترجمة.

3- الوسياني: سير، ج2، ص622-623.

المزاتي[1](ق4هـ/10م)، فغضب لذلك وأفتى بجواز هدر دمه، وقُتل الرجل غيلة ولم يعرف قاتله عند قومه، وقد أثنى الشيخ على القتلة وشكرهم على فعلهم[2].

وإن كانت هذه النماذج في فترات تاريخية متقطعة لا تعبر عن الصورة الحقيقية للعلاقة بينهما، فصور الإعتدال والتسامح المذهبي تكاد تطغى على طبيعة العلاقة بينهما[3]، فشهادة ابن الصغير في كتابه "سير الأئمة" عن عدالة الأئمة الرستميين وتسامحهم، والعلاقة الطيبة بين الرستميين بتيهرت والأمويين بالأندلس، وتتلمذ الطلبة الإباضيين على علماء المالكية في الأندلس والقيروان، وكذا الحال مع الطلبة المالكيين على علماء الإباضية بتيهرت شواهد على ما نقول.

المناظرات بين الإباضية والمالكية:

ومن صور التناظر بينهما ما ورد عن أسد بن الفرات (ت217هـ/828م) الذي كان في مجمع من الطلبة يفسر قوله تعالى﴿**فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي**﴾[4] قال: "ويل لأهل البدع، هلكت هوالكهم، يزعمون أن الله عزّ وجلّ خلق كلاماً يقول ذلك الكلام المخلوق، وعن أبي عثمان سعيد ابن الحدّاد(ت302هـ/915م) قال: حدثت عن أسد بن الفرات(ت212هـ/827م) أن أصحابه كانوا يقرأون عليه يوما في تفسير المسيب بن شريك(أبي سعيد التميمي الكوفي) إلى أن قرأ القارئ ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾[5]، وكان أبو حفص سليمان الفراء(ت269هـ/883م) جالسا بين يديه فقال له: يا أبا عبد الله من الانتظار، وكان الى جانب أسد نعل غليظ، فأخذ أسد بتلابيبه وأخذ

1- فتوح بن أبي الحاجب المزاتي(ق4هـ/10م): جعله الدرجيني من الطبقة السابعة (300-350هـ)، فقيه إباضي سكن إحدى قرى الزاب في النصف الأول من القرن الرابع هجري، ينظر، الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص347، الشماخي: السير، ج3، ص996.

2- الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص347-348.

3- Alloua Amara: La structuration des ibadites-wahbites au Maghreb (xie-xve siècle). p262 .

4- سورة طه: الآية 13-14.

5- سورة القيامة: الآية 22-23.

بيده الأخرى نعله وقال: أي والله يا زنديق لتقولنها أو لأبيضنّ عينيك، قال نعم، ننظره"[1].

يظهر من نهاية هذا الحوار أنه كان مسبوقا بمناظرات دار محتواها حول مسألة خلق القرآن ومسألة الرؤية بين الإباضية والمالكية، ولا تذكر المصادر المالكية تفاصيلها، فهي كعادتها لا تشهر برجال الفرق المخالفة خاصة وأن سليمان الفراء محسوب عندهم على المعتزلة[2]، وإن كانت المصادر الإباضية تعتبره إباضي المذهب[3]، إذ تظهر نهايتها لجوء أسد بن الفرات الى القوة والنفوذ لفرض موقفه، ما يوحي أنه لم يتمكن من إقناع خصمه بالحوار السلمي، واضطر خصمه الى التسليم بموقفه حفاظا على نفسه من الأذى.

ولا شك أن الإباضية مقصودة بهذا التبديع، فقد ذكرت كتب التراجم أن سحنون بن سعيد (240هـ/854م) إمام المالكية في زمانه لما ولي القضاء للأغالبة عزل أصحاب الفرق المبتدعة عن الناس من خلال تفريق حلقهم التي كانت تقام بالجامع، كانت فيه حلق من الصفرية والإباضية والمعتزلة[4]، وهي صورة من صور تضيق المالكية على الإباضية في بلاد المغرب، هذا الموقف كان قدوة لمن جاء بعده من المالكية.

---

[1]- المالكي: رياض النفوس، ج1، ص265.

[2]- ذكر المالكي في هذا الشأن أن البهلول بن راشد أراد أن يعرف ما تحتج به القدرية من أحد جلسائه، فامتنع عن الإجابة حتى تفرق مجلسه، ثم قال له: هو كلام تصحبه الشياطين...فتزينه في قلوب العامة، وفي مجلسك من لا يفهم ما أتكلم به من ذلك، فلا آمن أن يحلو قلبه منه شيئ، فقال له البهلول: والله لأقبلن رأسك، أحييتني أحياك الله، ينظر، المالكي: رياض النفوس، ج1، ص204. وللتعريف أكثر بسليمان بن حفص الفراء ينظر الفصل الأول من البحث، ص55-56.

[3]- الوسياني: سير، ج1، ص328. الشماخي: السير، ج2، ص415.

[4]- القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، ج2، ص347-348، عبد العزيز المجدوب، الصراع المذهبي في إفريقية الى قيام الدولة الزيرية، ص69.

ومن الذين اشتهروا بالمناظرة في عهد الأغالبة العنبري(260/874هـ)[1] الذي كانت له مناظرات مع الجعفري السني(ق3هـ/9م)[2] في حضرة الأمير الأغلبي زيادة الله الأول(201-223هـ/818-838م) الذي كان من دعاة مسألة خلق القرآن[3].

أورد ابن الصغير(ق3هـ/9م)[4] مناظرة له مع أحد وجوه الإباضية يسمى سليمان ويكنى أبا الربيع بعد أن أنكر عليهم الخوض في اختلاف الصحابة والتشنيع على بعضهم، خاصة وأن المالكية يتولون جميع الصحابة ويترضون عنهم، قال: "من أين زعمتم وزعم أصحابك وغيرهم من الحجازيين وأهل العراق أن الرجل إذا زوّج ابنته البكر وهي صغيرة وأدركت أن لا خيار لها في نفسها، وأنتم تقولون أن الرجل إذا زوّج أمته وعتقت أن لها الخيار ولا فرق بين الأمة وبين الصغيرة، لأن الأمة لم يكن لها حكم في

---

[1]- ترجم له القاضي عياض وذكر أنه سمع من سحنون بن سعيد وكان له مقام عند زيادة الله الأول، يحتمل أن يكون إباضيا رغم أن بعض المصادر تشير الى أنه معتزلي بحجة قربه من زيادة الأول، ومناظرته للجعفري(العقد الثاني من ق3هـ) في خلق القرآن، ينحدر من قسطيلية المعروف عنها أنها من مواطن الإباضية بالمغرب الأدنى، وقد كان محل نقد من طرف أبي حسان اليحصبي(ت226هـ/841م)-(كان سحنون ممن يأخذ عنه، كان مفوها حاضر الحجة = قويا على المناظرة ذابا عن السنة قليل الهيبة للملوك)-، بعد الخوض في هذا النوع من المسائل، وقال عنه أصحاب كتاب معجم أعلام الإباضية أنه من المناظريين عن الإباضية، إلا أن مصادرهم معاصرة، وبقي الحكم عليه احتمالي لا يتجاوز الترجيح، ينظر، القاضي عياض: ترتيب المدارك، ص441. المالكي: رياض النفوس، ج1، ص286، عبد العزيز المجدوب: الصراع المذهبي في إفريقية الى قيام الدولة الزيرية، ص142. معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ص322.

[2]- لم أعثر له على ترجمة.

[3]- عبد العزيز المجدوب: المرجع السابق، ص141.

[4]- يذهب محققا كتاب "أخبار الأئمة الرستميين" للابن الصغير، محمد ناصر وإبراهيم بحاز الى احتمال أن يكون ابن الصغير شيعي المذهب لاعتبار أنه يستشهد في كتابه هذا بحديث "من كنت مولاه فعلي مولاه" على خصومه يدل على الاعتقاد بصحته لكونه علويا شيعيا، ولكن يبدوا أن بن الصغير في استشهاده هذا هو إنكار على الإباضية الخوض في خلافات الصحابة والتشنيع على بعضهم، خاصة وأن جماعة السنة توالي جميع الصحابة وتترضى عنهم، والحديث السابق مروي في كتب السنة، قال ابن الصغير متحدثا عن الإباضية "وإن كنا للقوم مبغضين ولسيرهم كارهين ولمذهبهم مستقلين" ينظر، ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، ص27، 102. ومقدمة المحقق في نفس المصدر، ص12-13. والراجح أنه مالكي المذهب بدليل ما ورد في الكتاب حين خاطبه مناظره الإباضي بقوله "من أين زعمت وزعم أصحابك وغيرهم من الحجازيين، وكلمة الحجازيين تطلق عادة في المصادر على أصحاب مكة والمدينة.

نفسها، وإنما كان الحكم لسيّدها. فلما عتقت وصار الحكم إليها، جعلتم لها الخيار، والصغيرة لم يكن لها حكم في نفسها، وأن الحكم لسيدها. فلمّا أدركت صار الأمر إليها. فلم منعتموها ما أجزتم للأمة والمعنى واحد"[1].

قال ابن الصغير: ان صحة ذلك من القرآن ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[2]، فيرد عليه خصمه: عجبا منك، أنا أسألك عن عقد النكاح ونسخه وأنت تخبرني عن عدد المويسات (اللائي بلغن سن اليأس)، وعدد اللائي لم يحضن، فقال ابن الصغير: فهل يقع طلاق من غير أن يكون عقد نكاح؟ قال: لا، قلت: في المويسات فمنهنّ اللائي قد بلغن من السنين ما لا يحضن مثلهن، قال: نعم، قلت: واللائي لم يحضن من الصغر، قال: نعم، قلت: فأوجب الله عليهنّ عددا، قلت: أمن طلاق أم من غير طلاق؟ قال: من طلاق، قلت: فيكون طلاق من غير عقد نكاح، فسكت ولم يرد جوابا[3].

تبرز هذه المناظرة الإختلاف بين المتناظرين في تفسير الآية ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾[4]، فابن الصغير فسّر "لم"، بأنها لا تعني النفي القاطع، فهي تنطبق على الفتيات الصغيرات اللائي لم يبلغن سن الحيض، بينما خصمه فسرّها على أنها تعني النساء المسنات[5].

---

[1]- ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، ص104.

[2]- سورة الطلاق: الآية 4.

[3]- ابن الصغير: المصدر السابق، ص105-106.

[4]- سورة الطلاق: الآية 5.

[5]- إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، ص300.

تُظهر هذه المناظرة تفوق ابن الصغير على خصمه الإباضي في موضوع فقهي محض، ولا تسجل المصادر الإباضية هذه المناظرة والتي على شاكلتها لأنها قد تكون مصدر تثبيط للأتباع، ومن المحتمل أن تكون هناك مناظرات أخرى لا تذكرها المصادر الإباضية، وإن كانت الموضوعية العلمية تقتضي من مُتقصي أحداث التاريخ تسجيل الأمجاد والبطولات والمآسي والانهزامات.

وإن كانت هذه المناظرة تظهر تفوق السني إلا أنها تعبر عن روح التسامح المذهبي والفكري اللامحدود الذي كان يطبع الحياة الثقافية في العصر الرستمي، وواضح من سياسة التسامح المذهبي المرادف لانتشار الجدل وشيوع المناظرات ودعوة مختلف المذاهب لها أنها تهدف إلى محاولة إقناع الغير بمذهبهم.

وذكر أبو زكريا في كتابه سير الأئمة أن أبا القاسم يزيد بن مخلد(ت358هـ/968م) لقي أبا إبراهيم[1] المشبه وكان من الوراقين في القيروان وهو يكتب تشبيه الله بخلقه، فجرى بينهما كلام كثير حتى قال له أبو إبراهيم " إن كنت تزعم أن الله ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض فأخبرني عمن أراد أن يبطل ربه كيف يقول، فرد عليه: يقول مثل قولك فانقطع الكلام بينهما"[2]، أي إذا وصفته بصفات الحدوث الزمت فناء الحادث فأبطلت بقاءه[3].

1- لم أعثر له على ترجمة، يرجح أنه مالكي المذهب، فقد ذكر أبو زكريا رواية تفيد ذلك، فقد سأل أبوعبد الله محمد بن بكر سأل الشيخ أبا نوح سعيد عن الرواية التي يؤثرها أهل التشبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالو لم تمتلئ جهنم حتى يضع الجبار قدمه، فتنزوي من نواحيها وتقول قطني قطني" فقال الشيخ: إن كانت الرواية صحيحة، فلها مخرج ومعنى قدمه ما قدم لها من أهل الشقاوة، قال الله تعالى﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ سورة يونس، الآية:2. وليس يريد قدم الجارحة. ينظر، أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص245-246.

2- أبو زكريا: المصدر السابق، ص208. الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، ج2، ص361-362

3- الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص123.

ومن صور المناظرات بين المالكية والإباضية ما تذكره كتب السير الإباضية من مناظرة المالكية لفقيه الإباضية أبي عمرو عثمان خليفة السوفي(ق06هـ/12م) بعد رحلته الى الحامة ببلاد الجريد لتفقد أحوال الإباضية، فوجد أن البلاد صارت للمالكية بتحول الكثير من الأتباع الى المالكية بعد مقتل أبي القاسم مخلد بن كيداد سنة(ت358هـ/968م)، وانتقال أبي خزر يعلى بن زلتاف (ت380هـ/990م) مع المعز الفاطمي إلى القاهرة، فأراد أن يشد من عزيمة من بقي على مذهب الإباضية ويثبتهم على المذهب.

ولم تكاد أخباره تصل إلى المالكية، حتى دبروا له مكيدة بعدما علموا بهدفه، فأجمعوا رأيهم على مناظرته بأسئلة محضرة مسبقا وقدموه للمناظرة، فسألوه: هل يجوز في مذهبكم نكاح نسائنا؟ وكان رده إذا كان نكاح الكتابية جائز فكيف بالمسلمة، قالوا: نزلتنا منزلة اليهود والنصارى، فقام العامة عليه شتما وطردا، ونفوا الوهبية، وأكرهوا من بقي على الرجوع إلى مذهبهم، وغسلوا المسجد الكبير من مساجد الوهبية، وزعموا أن ذلك تطهيرا له[1].

يظهر من سياق المناظرة أن إجابة السوفي لا يقصد بها التحقير، فالمقصود جواز الزواج بالسُنيات في المذهب الإباضي، الا أن المحاور المالكي كان قصده مراوغة من كان في المجلس من العامة وشحنها تعصبا للمذهب، وقد وقع السوفي في فخ حُضر لهُ مسبقا، فكان عليه أن ينتبه إلى مفعول كلمة الكتابية(اليهودية والنصرانية) التي أثارت عليه العامة، هذا النوع من المناظرات لا يحترم شروط المناظرة العلمية فالغرض منها التشّهير بالخصم.

1- الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص483-484، الشماخي، السير، ج2، ص639.

ولم تكن مناظرات الإباضية دائما على هذه الشاكلة، فقد نزل أبو القاسم بن العمودي وكان من مشائخ المتصوفة قادما من توزر على قاضي نفطة(عمر بن عزوزة النفطي) فأكرمه وكان ممن دُعي الى حضور المجلس أبو الحسن علي بن العزابي[1]، فعرفه به، فلما علم أنه إباضي قال بن العمودي أهو من اللذين يبغضون عليا –يقصد علي بن أبي طالب رضي الله عنه– قال العزابي: من أنبأك هذا يا شيخ؟ قال: كذا يذكرون عنكم، قال: لا، قال: كان أبي من فقهاء الوهبية وقد سماني عليا، ثم أخذ معه في مواضيع أخرى حتى استمال قلبه ولم يفترقا حتى قال له أبا الحسن أريد أن لا تفارقني مدة إقامتي بهذا البلد[2].

كان الحذر مطلوبا بقوة عند الإباضية في التعامل مع المخالفين، فقد لام الشيخ ميمون بن أحمد المزاتي(ق6هـ/12م)[3] جماعة من الوهبية حين قدَّموا يوسف بن أحمد الوسياني[4](ق6هـ/12م) لرجل من المخالفين[5] طلب مناظرتهم، فرغم أن يوسف بن أحمد مشهود له بالعلم والحفظ إلا أنه ليس أهلا للمناظرة، قال الدرجيني: "فأبرزوا له يوسف فذاكره في مسألة يحفظها سردا، فتلعثم فيها ولم يتكلم بفائدة تقنع"[6]، ولم يذكر موضوع

---

[1]– كان المالكية يطلقون هذا اللفظ على أتباع المذهب الإباضي بعد تأسيس هذا النظام، كان هذا العزابي(أبو الحسن علي) من المقربين عند القاضي وكان فقيها، وربما دُعي الى المجلس للمناظرة.

[2]– الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص516-517.

[3]– ميمون بن أحمد المزاتي أبو العباس(ق6هـ/12م): جعله الدرجيني من الطبقة الحادية عشرة(500-550هـ/1105–1155م) من علماء درجين بجنوب تونس، ينظر: الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص511، معجم أعلام الإباضية، ج2، ص434.

[4]– يوسف بن أحمد الوسياني(ق6هـ/12م): من تلامذة أبي عمار عبد الكافي و أبي عمرو عثمان بن خليفة السوفي، هو الذي أملى كتاب السؤالات، ترك كتابا يعرف ب "التقيد" في أشعار مشائخ الإباضية وهو باللغة البربرية، ينظر: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص493.

[5]– ذكر الدرجيني أن هذا الرجل قدم من توزر إلى نفطة فهو إمّا مالكي أو نكاري ويرجح أنه مالكي، باعتبار زوال شدة تأثير النكارية في هذا العصر، وزوال الفرق الإباضية الأخرى، من جهة أخرى سيادة المذهب المالكي خاصة بعد هجرة الفاطميين إلى مصر.

[6]– الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص512.

المناظرة، وهو الأمر الذي ينعكس سلبا على الأتباع نظرا لما تتمتع به المناظرة من قوة إعلامية ترويجية بشكل عام.

ونظرا للتقارب بين للإباضية والمعتزلة في الأصول، استفاد الكلام الإباضي من الأسلوب الجدلي المعتزلي واستمدوا منه حججا لمقارعة الأشاعرة بعد أن تمكنوا من ناصية اللغة والمنطق اليوناني(المنطق الأرسطي) المحرك للجدل والمنظم له وفق قوانين معلومة[1].

وبناء على ذلك فإننا لا نتوقع العثور على مناظرات بين الإباضية والأشاعرة إلا ابتداء من النصف الثاني من القرن الرابع هجري، وفي سياق الحديث عن الأشاعرة والرد عليهم ذكر أبو يعقوب الورجلاني(ت570هـ/1174م) هذه المناظرة: "وقد جرى لي كلام مع الفقيه يحيى بن أبي بكر بن الحسن بن الشيخ يوسف بن نفاث[2] مناظرة في سلجماسة[3] في مثل هذا(أي مسألة جواز الخروج عن الحاكم) فقال لي: أول من سن الخروج على السلاطين أبو بلال مرداس بن أدية(ت61هـ/670م)[4]، فقلت له: إن له في ذلك أسوةً حسنة، فقال: أوَ حسنة؟ فقلت: أوَ سيئة؟ فقال: ومن هو؟ فقلت: طلحة والزبير رضي الله عنهما، فقال لي: إن طلحة والزبير اجتهدا فأخطآ، فقلت: ولعل هذا اجتهد

1- أبو عمار عبد الكافي: الموجز، ج2، ص9-12، بيير كوبرلي: مدخل الى دراسة الإباضية وعقيدتها، ص444.

2- لم نعثر على ترجمته يحتمل من سياق المناظرة أن يكون أشعريا مالكيا، رغم ورود اسم اباضي (يوسف بن نفاث) في سلسلة نسبه، فاحتمال أن يكون تحول من الإباضية إلى المالكية، هو أو أحد أبنائه.

3- كان للورجلاني رحلة الى بلاد السودان من ورجلان على طريق جادوا ثم زويلة الى الكانم (موضع شرق بحيرة تشاد) وصولا الى قريب من خط الاستواء، فيحتمل أثناء عودته عرج على طريق سلجماسة، ينظر: يحيى بن بهون: رحلة الورجلاني، بدون دار نشر، ط1، 2006، ص18-19.

4- أبو بلال مرداس بن أدية(ت61هـ/681م): من أئمة المذهب الإباضي الأوائل، عاصر الإمام جابر بن زيد وأخذ عنه، وهو ممن أنكر التحكيم وشهد واقعة النهروان، خرج على بني أمية مع أربعين رجلا سميو بالشراة، قتل مع جميع أصحابه وهم يصلون الجمعة من طرف جيش الأمويين الذي سيره الوالي عبيد الله بن زياد اليه، ينظر: معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق، ص439–440.

فأصاب؟ فقال لي: أوَ أصاب؟ فقلت له: ولعله اجتهد فأخطأ؟ فقال: الله يغفر للجميع"[1].

وفي "السؤالات"[2] قال الشيخ أبو عمرو عثمان بن خليفة: التقيت مع التقيوسي[3] بنفطة فجرت بيننا محاورة ومناظرة حتى قال: عجبا منكم أبا عثمان؟ لمَ تُسمُّون صاحب الكبيرة كافراً؟ لمَ لا تسمُّونه ضالاً فاسقاً و تُسمُّونه كافراً؟ - وكان فقيها ونحويا- فقلت له: تُسمُّونه فاسقاً؟ قال: نعم، فقلت له: كيف قال الله تعالى في سورة السجدة؟ قال: وكيف قال؟ فقلت: قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾[4]، فلمَّا فهمها ووعاها قال: والله لقد ذكرتني شيئا لقد نسيتُه، وعلم أن الكفر والفسق واحد"[5].

الإباضية والمعتزلة:

[1]- أبو يعقوب الورجلاني : الدليل والبرهان، ج3، ص82. علي يحيى معمر : الإباضية بين الفرق الإسلامية، ص398.

[2]- سبق التعريف بهذا الكتاب في الفصل الثالث من البحث، ينظر، بيير كوبرلي: مدخل الى دراسة الإباضية وعقيدتها، ص50.

[3]- لم أعثر له على ترجمة، ومن سياق المناظرة يبدوا أنه مالكي المذهب.

[4]- سورة السجدة: الآية 18.

[5]- علي يحي معمر : المرجع السابق، ص408.

المناظرات بين الإباضية والمعتزلة بالمشرق:

كانت مسألة القدر أهم مسألة اختلف فيها الإباضية مع المعتزلة، فقد أورد الدرجيني في كتاب "الطبقات" المناظرة التي كانت بين زعيمي الفرقتين أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة(ت145هـ/762م) وواصل بن عطاء(ت181هـ/748م) بمكة المكرمة، قال الدرجيني "حكى بعض أصحابنا أن واصل بن عطاء المعتزلي صاحب عمرو بن عبيد[1](ت144هـ/761م) كان يتمنى لقاء أبي عبيدة ويقول "لو قطعتُه قُطعت الإباضية، قال: فبينما هو في المسجد الحرام ومعه أصحابه إذ أقبل أبو عبيدة ومعه أصحابه فقيل لواصل: هذا أبو عبيدة في الطواف، قال: فقام اليه واصل فلقيه وقال: أنت أبو عبيدة؟ قال: نعم، قال: أنت الذي بلغني أنك تقول: إن الله يعذب على القدر؟

فقال أبو عبيدة: ما هكذا قلته، لكن قلت أن الله يعذب على المقدور.

فقال أبو عبيدة: وأنت واصل بن عطاء؟ قال: نعم، قال: أنت الذي بلغني عنك أنك تقول ان الله يعصى بالاستكراه؟

قال: فنكس واصل رأسه فلم يجب بشيء، ومضى أبو عبيدة وأقبل أصحاب واصل يلومونه يقولون كنت تتمنى لقاء أبي عبيدة فسألته فخرج وسألك فلم تجب، فقال واصل: ويحكم بنيت بناء منذ أربعين سنة فهدمه وأنا قائم، فلم أقعد ولم أبرح مكاني"[2].

وفي سياق أخر قال أبو سفيان محبوب بن الرحيل(ق2هـ/8م): أتى حمزة الكوفي (ق2هـ/8هـ) أبا عبيدة مسلم ليذاكره في أمر القدر، فخرجنا الى منزل حاجب الطائي(ق2هـ/8م)، فتناظرا كثيرا، وآخر ما سمع من أبي عبيدة: يا حمزة على هذا فارقت

---

[1]- ينظر ترجمته في، ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج3، ص460-462. أحمد بن يحيى المرتضي: طبقات المعتزلة، ص35-39.

[2]- الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص246.

غيلان الدمشقي(ت113هـ/731م)، فخرج، فكلمه حاجب...فقال حمزة: إنما أخذت هذا القول عن المسلمين[1]، ثم أمر الناس بالتفرق عنه وطرد من مجالسهم.

ويبدو أن مسألة القضاء والقدر التي أثارها الجبرية والمعتزلة كانت تربك علماء الإباضية ولا تجد عندهم حلا مقنعا، ربما ذلك ما يفسر إشهار سلاح البراءة في حق من يخوض في مثل هذه المسائل، كما هو الحال مع حمزة الكوفي الذي طرد من المجالس وهو من رجالات المذهب بعد أن اعتنق وجهة نظر المعتزلة في مسألة القدر، إذ بهذا السلاح يُفرض الانضباط وتستقيم الجماعة مما يساعد على ولاء الأفراد والمحافظة على الجماعة من التأثر بالغير، فالمرحلة حاسمة تقتضي الوحدة والقوة والتخطيط الاستراتيجي للانتشار والتمكين.

يبدو أن التناظر بين الإباضية والمعتزلة كان رائجا في عصر أبي عبيدة باعتبار أن البصرة التي تعد عاصمة الفرق والمذاهب الموطن الأول لكلهما، من ذلك مساءلة بعض التلاميذ له حول مسألة النصراني الذي يدعو إلى دينه مجوسي ولم تبلغه دعوة النبيﷺ، فأجابهم على مسألتهم وأشهر في وجوههم سلاح البراءة، تهديدا لهم على أن يعودوا إلى مثل هذه المسائل.

امتد الجدل حول هذه المسألة الى الزعيم الثالث للإباضية ببلاد المشرق الربيع بن حبيب(ت170هـ/786م)، إذ تورد المصادر الإباضية أن هذا الأخير زار ضمام بن السائب(ق2هـ/8م)[2] ووجد عنده رجلا يسأله "أيكون الله أمر العباد بأمر، ثم يحول بينهم وبينه؟ قال الربيع: أتوفيق الله وتسديده وفضله وإحسانه ومنّةُ على أبي بكر وعمر

---

[1]- الشماخي: السير، ج1، ص198.

[2]- ضمام بن السائب(ق2هـ/8م): الطبقة الثالثة(100-150هـ) من أئمة الإباضية بالمشرق وهو من تلامذة جابر بن زيد من أثاره كتاب "روايات ضمام بن السائب" وكتاب " الحجة على الخلق في معرفة الحق"، ينظر: الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص208-248، الوسياني: سير، ج1، ص394.

كتوفيقه وتسديده وفضله ومنّة وإحسانه على أبي جهل؟ قال: لا والله، قال ضمام: أشدد يدك عليه يا ربيع، أي أقم عليه الحجة"[1].

واستمر هذا الجدل الكلامي بين الإباضية والمعتزلة زمن أبي سفيان محبوب بن الرحيل(ق2هـ/8م) الذي تولى قيادة الإباضية بعد الربيع بن حبيب (ت170هـ/786م)، فقد ذكر هذا الأخير في حديثه عن مناقب أبي أيوب وائل بن أيوب الحضرمي[2] "ورأيت جزءا فيه مناظرة أبي أيوب للمعتزلة مع رجل منهم يقال له كهلان وأصحابه"[3]، وقد وضعهم في مرتبة من ينازع الله في سلطانه.

المناظرات بين الإباضية والمعتزلة بالمغرب:

أن جذور الردود والمناظرات الكلامية بين الإباضية والمعتزلة في بلاد المغرب مرجعها مناظرات علماء المشرق للمعتزلة خاصة مناظرات أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة، فقد كانت المناظرات بينهما يصل صداها بلاد المغرب[4].

قاد المدرسة الإعتزالية بإفريقية ابن أبي الجواد(ق3هـ/9م)، وأبو إسحاق المعروف بالعمشاء، وسليمان بن أبي حفص الفراء(ت269هـ/883م)[5]، ولا تسعفنا المصادر في تسجيل المناظرات بين الإباضية والمعتزلة في إفريقية ربما لتقارب الكبير بينهما وإن كان ذلك لا ينفي وجودها، ومن المحتمل أن تكون قد جرت مناظرات بين الإباضية والمعتزلة

[1]- الشماخي: السير، ج1، ص200.

[2]- الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص278.

[3]- الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص220.

[4]- إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، ص335. المنصف قوجة: تاريخ الإباضية الديني والسياسي، ص83.

[5]- عبد العزيز الجذوب: الصراع المذهبي في إفريقية الى قيام الدولة الزيرية، ص106، وقد لمح الهادي روجي ادريس الى إمكانية أن يكون سليمان بن حفص الفراء إباضيًا تحول الى مذهب المعتزلة ثم عاد الى مذهبه الأصلي، ينظر الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، ج2، ص362، الهامش رقم2.

في القيروان لما كان المسجد الجامع يجمعهما قبل تشريدهم من طرف القاضي سحنون[1].

وأما في شأن المغرب الأوسط فقد أورد ابن الصغير في "أخبار الأئمة الرستمين" تفاصيل المواجهة الفكرية والعسكرية بين الإباضية والمعتزلة[2]، فلما رأى الإمام شدة شوكتهم وكثرة عددهم أرسل الى جبل نفوسة في طلب العون العسكري[3]، والمدد الفكري.

فعلى الرغم من رواج العلوم وتوفر المناخ الفكري المناسب للتنافس بين مختلف المذاهب، ورغم رسوخ قدم الإمام عبد الوهاب في العلم وخبرته في مناظراته للمعتزلة من خلال عدة جولات، إلا أن الإمام عبد الوهاب أراد حسم الصراع وإظهار التفوق خاصة وأن الأمر يتعلق بالمعتزلة لبراعتها بفنون الجدل والكلام، إذ أن أي احتمال في انهزام الإباضية الفكري أمام المعتزلة قد يشكل ضربة قاضية لدولته الفتية.

استجاب أهل نفوسة لاستغاثة عبد الوهاب وكان الوفد المرسل أربعة نفر مهدي النفوسي الويغوي[4](ت196هـ/811م) متخصصا في المناظرة والرد على المخالفين، زوده الإمام عبد الوهاب بخبرته في مناظرة المعتزلة وأيوب بن العباس[5](حي بعد204هـ/819م) في المبارزة ومحمد بن يانس[6](ق3هـ/9م) في التفسير[7]، والرابع اسمه محمد أبو محمد

---

[1]- جودت عبد الكريم يوسف: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية، ص104.

[2]- ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، ص82.

[3]- فرحات الجعبيري: التجربة السياسية عند الإباضية، ص182،174.

[4]- مهدي النفوسي الويغوي (ت196هـ/811م): من علماء جبل نفوسة له براعة في المناظرات، قال عنه الدرجيني "هو المقوم في علم الجدال"، كانت له ردود على أراء نفاث بن نصر زعيم النفاثية التي انشقت على الإباضية زمن عبد الوهاب، توفي في حصار عبد الوهاب لطرابلس، ينظر: معجم أعلام الإباضية، ج2، ص427.

[5]- أيوب بن العباس(حي بعد204هـ/819م): من مشائخ جبل نفوسة، ولاّه الإمام عبد الوهاب على جبل نفوسة اثر فتنة خلف بن السمح، ينظر: معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج2، ص65-66.

[6]- ومحمد بن يانس(ق3هـ/9م): من علماء جبل نفوسة يعتبر حلقة في نسب الدين، اشتهر ببراعته في تفسير القرآن، القرآن، ينظر: معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج2، ص395-396.

[7]- أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص102-107.

وقيل أبو الحسن الأبدلاني، وجعل عبد الوهاب لغلمانه العتق لمن يبشره بوصول وفد جبل نفوسة[1].

ذكرت جل المصادر الإباضية المناظرات التي كانت بين وفد جبل نفوسة والمعتزلة ولكنها لا تذكر الموضوع والتفاصيل وتكتفي بذكر أجوائها كالتحضير المسبق قال الإمام عبد الوهاب لمهدي النفوسي: "إنه جرى بيني وبين هذا المعتزلي المنتحل للمناظرة وجوه منها أريد أن أعرضها عليك"[2] وأخذ في الحديث بما كان بينهما حتى إذا زاغ المعتزلي بيّن مهدي للإمام زيغه "ههنا ذهبت لك بالحجة وحاد عن المحجة"[3]، وتكتفي المصادر بوصف أجواء المناظرة صعوبتها ودرجة تعقيدها الى حد أن الإمام عبد الوهاب لم يتمكن من مجاراة ما كان يدور من كلام بينهما، وهو على ما هو عليه من العلم فاستوى مع غيره من العامة[4]، ثم تذكر في الأخير النصر المؤزر على المعتزلة الفكري والعسكري.

هذا في ظل غياب مصادر المعتزلة في بلاد المغرب الإسلامي، فلا شك أن هذه المناظرة كانت في المسائل الخلافية بين الإباضية والمعتزلة كالمنزلة بين المنزلتين، والجبر والاختيار، هذا وتتحدث المصادر الإباضية عن مناظرات مهدي النفوسي سبقت يوم المعركة مع أهل الخلاف "إني رددت الى مذهب الحق سبعين عالما"[5]، ولاشك أن منهم معتزلة.

1– الشماخي: السير، ج2، ص282، أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص104، الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص58-59.

2– أبو زكريا: المصدر السابق، ص106.

3– أبو زكريا: المصدر نفسه، ص106، الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص60.

4– الدرجيني: المصدر نفسه، ج1، ص61-62، إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، ص336–337. ويرجح الباحث جودت عبد الكريم يوسف أن عدم نقل المؤرخين الإباضيين تفاصيل المناظرة الى احتمال أن تكون تفاصيلها ليست في الأمور الشرعية، وذكرها قد يسبب إحراجا للأمام وإلا كيف لا يفهمها الإمام عبد الوهاب وهو إمام المذهب. ينظر، جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، دوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1992، ص467.

5– الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص60.

قال ابن الصغير في وصف جو المناظرات الإباضية المعتزلية: وقع جمع بين الإباضية والمعتزلة لمناظرة- نادى زعيم المعتزلة عبد الله بن اللمطي(أواخر ق3هـ/9م)[1]، فأجابه، قال هل تستطيع الانتقال من مكان لست فيه الى مكان لست فيه؟ قال: لا، قال هل تستطيع الانتقال من مكان لست فيه الى مكان أنت فيه؟. قال: لا، قال: هل تستطيع الانتقال من مكان أنت فيه الى مكان لست فيه؟ قال: إذا شئت، فقال خرجت منها يا ابن اللمطي[2].

وكان من عادة الخلفاء الفاطميين جمع علماء الفرق للتناظر وذكر بعض المعتزلة في مجلس أبي تميم المعز (341-362هـ/953-972م) الذي كان يحضره أبو نوح سعيد بن زنغيل(ق4هـ/10م) - بعد أن عفى عنه وجعله من خاصته إثر موقعة بغاي- أن أسماء الله متغايرة كزيد وعمرو، لأن الأسماء عندهم هي الألفاظ كمستاوة[3]. قال أبو نوح: أليس لهما مغير غيرهما، فجعل زيدا غير عمرو، قال المعتزلي: نعم، قال أبو نوح: يلزمك أن يكون الله غير الرحمان، وأن مغيرا غيرهما، جعل هذا غير هذا، فأراد الجواب، فأنكر أبو تميم قوله، وقال: هذا الكفر بعينه[4].

وأرسل أبوتميم الى أبي نوح سعيد بن زنغيل ليناظر معتزليا فكان الحوار التالي: سأل أبو نوح السؤال التالي: ما الدليل على أن لهذه الصنعة خالقا؟ قال فلبث جلساؤه

---

[1]- عبد الله بن اللمطي(ق3هـ/9م): كان معاصرا للإمام أبي اليقظان محمد بن أفلح(261-281هـ) كان غاية في علم الكلام، وكان يرد على الفرق وينقض مقالات المبتدعة، وألف كتاب في ذلك، يبدوا أنه مفقود، ينظر، الشماخي: السير،ج2، ص362. معجم أعلام الإباضية،ج2، ص259-260. تاديوس ليفتسكي: المؤرخون في افريقيا الشمالية، ص43.

[2]- ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، ص82. الشماخي: المصدر السابق، ج2، ص362. البرّادي: الجواهر المنتقاة، ص179-180.

[3]- من الألقاب التي تطلق على النكارية الإباضية ومستاوة نسبة إلى قبلة بربرية كانت سندا ليزيد بن فندين الذي خرج على الإمام الرستمي عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم، ينظر: معجم مصطلحات الإباضية: ج2، ص953، 1027.

[4]- الشماخي: السير، ج2، ص532. أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص227.

حينا ساكتين، ثم أخذوا في الجواب، فما وافقوا بجواب قاطع، فقال أبوتميم أجيبوا ابن زنغيل، قال أبو نوح فرأيت في وجه أبي تميم إرادة الجواب، فقلت إن رأى مولانا أن يتفضّل على رعيته بالجواب فليفعل، فرأيت في وجهه تبسما وانطلاقا، فقال يا سعيد يقال لهذا السائل إشرح سؤالك لكي تستحق جوابا، وفي شرح سؤاله جواب قوله، وقوله الصنعة دليل على الصانع[1].

إن المناظرة على بساطتها تظهر تفوق المناظر الإباضي وهو ما تحرص المصادر الإباضية عليه، وإن كان محتوى المناظرة يدل على المستوى الفكري المتواضع للمعتزلي ومن معه، وهو احتمال ضعيف فكيف لشخص يدعى لمناظرة في مجلس مرموق كهذا يعجز عن مجاراة خصمه بهذه البساطة، وقد تكون المناظرة مبتورة بما يخدم هذا التفوق باعتبار أنها لا تظهر المقالات الإباضية ولا المعتزلية.

وقد حافظ المنصور بن بلكين(373-385هـ/984-995م) خليفة الفاطميين في بلاد المغرب على سنة جمع علماء الفرق للتناظر، من ذلك ما كان بين ابن حمو المعتزلي وأبي نوح سعيد بن زنغيل(ق4هـ/10م)، فسأله أبو نوح عن علامة الصنعة. فقال: الحدث والحركة والسكون والانتقال والزوال، قال: قلت له: وكل محدث مخلوق، قال: كل مخلوق محدث، وليس كل محدث مخلوق، قال أبو نوح فيلزم أن القديم خالق وغير خالق، قال: القديم كله خالق، قال أبو نوح: والكفر محدث مخلوق، قال وهو مضطرب الكفر مخلوق لي، قال أبو نوح: فهو إذا مربوب لك ومألوه، فأنت إله فعلك وربه، قال: في اضطراب كذلك لا يلزمني ذلك المخلوق، إذا كان مخلوقا لي، أن يكون مربوبا لي. قال: قلت: يلزمك أن يكون مخلوقا لله غير مربوب له.

1- أبو زكريا: المصدر نفسه، ص226. الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص123.

ومن شدة تعقيد المسألة أن المنصور لم يفهم فحوى الحوار الجدلي، قال المنصور: ماذا يقول هذا الشيخ؟ فبسط له أبو نوح المسألة قال: يقول لله خلق، وأن له خلقا. أن له خالقا غير ما خلقه الله وكل انفرد بما خلق، قال له: لقد جعلت لله شريكا، وهذا هو الشرك بعينه"[1].

توحي هذه المناظرة بمستوى عال في التخاطب والجدال من خلال تمكن الخصمين من آليات الاستدلال المنطقي، وإن كانت المصادر الإباضية تبرز تفوق أبي نوح سعيد بن زنغيل بدافع مذهبي من خلال إظهار اعجاب المنصور بن بلكين به، وإن كان محتوى المناظرة تكشف عن نقاط الخلاف بينهما، من خلال الموضوع العام للمناظرة وهو مسألة خلق الأفعال هل هي للإنسان أم لله؟ (مقالة الكسب والاختيار).

فإن كانت المعتزلة ترى حرية اختيار الإنسان لأفعاله، وعليه تحمل نتائج أفعاله حتى يكون الجزاء في الآخرة مبرر، فإن الإباضية ترى بالكسب فالله خالق للعبد وأفعاله وهو مكلف، لا يغيب عن علمه شيء وهو موقف الأشاعرة وعموم أهل السنة، وهو من أوجه التقارب بينهما مما يفسر المكانة العلمية التي حظي بها أبو نوح عند الخليفة المنصور هذا إذا اعتبرنا أن المنصور كان على عقيدة أهل السنة.

يقدم عبد الرحمن عثمان حجازي تبريرا آخر لنتائج المناظرة فالغرض منها إفحام الخصم وإظهار ضآلة منزلته العلمية، وعدم السماح له بالتقرب من السلطة، بمبرر أن الجدل الذي كان بينهما جدل عقيم وإلا فما الداعي لإبراز معتقدهما أمام من يخالفهما التصور، وما الإجابات المبهمة والتردد فيها إلا دليل على أن كلا منهما يحاول إخفاء معتقده الحقيقي، ويبدي خلاف ذلك تقية للتقرب من الحاكم السني[2]، ولكن هل كان

1- أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص238-239. الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص148. الشماخي: السير، ج2، ص538.

2- عبد الرحمن عثمان حجازي: تطور الفكر التربوي في الشمال الإفريقي، ص111.

الخليفة يجهل مقالاتهما؟ هذا أمر مستبعد. قال أبو نوح : ناظرت عن هذه النحلة بين يدي أبي تميم، وأبي منصور، وأبي الخطاب(حاكم زويلة) سائر الفرق، ولم يبق مذهب إلا غلبته وقهرته[1]، وهو دليل على أنه لم يكن يخفي مذهبه.

وإن كانت المناظرات الكلامية التي تدور حول تصورات فلسفية يسعها اختلاف المذاهب أو تقاربها ليست كمسألة الإمامة مثلا، حيث تحسم بالسيف ولا يسع المخالفين تسامح ولا غفران، فالحكام يهمهم توطيد ركائز دولتهم، أما الجدل الفكري فترف يتداولونه لا يضرهم في شيء وقد يخدمهم بإبراز تفوقهم- فغلبة السيف يصاحبها قوة الحجة- وإظهار تسامحهم مع مخالفيهم فكري.

واستعان الخليفة الفاطمي- العزيز بالله نزار المكنى بأبي منصور (ولي العهد سنة365هـ/976م بمصر) بالشيخ أبي خزر يعلا بن زلتاف الذي صحبه الخليفة الفاطمي أبو تميم المعز إلى مصر سنة(362هـ/973م)[2] للرد على المعتزلي الذي تفوق على علماء مصر فناظره أبو خزر وغلبه[3].

تجدر الإشارة هنا إلى أن الكثير من المناظرات المبثوثة في المصادر الإباضية أو المالكية تكون مبتورة أحيانا وناقصة لا يفهم منها التفاصيل الجزئية من أدلة وبراهين رغم وضوح موضوع المناظرة العام، يفسر ذلك بطابع التعقيد الذي تحمله المناظرة خاصة إذا كان موضوعها عقديا محضا يصعب على الناقل فهمها ونقلها للآخرين، لما تتطلبه من مستوى فكري رفيع وإلمام بمواضيع علم ، مثل المناظرة التي كانت على نهر مينا بين المعتزلة والإباضية" فخرج عالمهم(المعتزلة) وبرز إليه مهدي(من وفد نفوسة) فتناظرا

1- الشماخي: السير، ج2، ص541.

2- إبراهيم بحاز: الدولة الرستمية، ص341.

3- أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص234. الشماخي: المصدر السابق، ج2، ص535.

حتى غاصا لا يفهم ما يقولان من الحاضرين إلا الإمام[1]، وقد اتفق مهدي النفوسي مع أصحابه على اشارة تدل على انتصاره بنزع شاشيته عن رأسه ووضعها تحت ركبتيه[2]، وهي دلالة واضحة على التعقيد الذي كان يطبع المناظرة الأخيرة التي نقلتها جل المصادر الإباضية.

ومثل مناظرة حمزة الكوفي لأبي عبيدة في مسألة القدر، وبعد أن تناظرا كثيرا وكان آخر ما سمع من أبي عبيدة: يا حمزة على هذا فارقت غيلان[3]، فيكتفي الناقل بذكر الموضوع العام وبعض التفاصيل الجزئية هذا ناهيك عن طول المناظرة أحيانا أخرى وتعدد مواضيعها مما يشتت تركيز المستمع، فيعسر على الشاهد نقل المناظرة بتفاصيلها، هذا مقارنة مع المناظرات التي تحمل الطابع الفقهي فهي أكثر سهولة من حيث الاستيعاب والفهم، ومن ثم السهولة في نقلها من طرف الشاهد أو الناقل.

استمر الجدل الكلامي مع المعتزلة بنفس الحدة في الفترة الفاطمية، لتقل حدة هذا الجدل تدريجيا مع دخول أفكار الأشاعرة إلى بلاد المغرب، خاصة بعد زوال الحماية السياسية التي كانوا يحضون بها من طرف بعض أمراء الأغالبة، ليتحول الجدل الكلامي من إباضي معتزلي إلى إباضي شيعي و إباضي أشعري.

---

[1]- الشماخي: السير، ج2، ص284.

[2]- أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص108.

[3]- يقصد غيلان الدمشقي(106هـ/724م)، الشماخي: المصدر السابق، ج1، ص198.

الإباضية والشيعة.

المناظرات بين الإباضية والشيعية:

شارك علماء الإباضية في المجالس المخصصة للمناظرة التي كان يعقدها الأمراء والوزراء الفاطميون، فقد كان أبو تميم المعز لدين الله الفاطمي(341–365هـ/952–975م) يجمع بين يديه علماء الفرق يتناظرون، وقد أشارت الى ذلك المصادر الإباضية الى العديد من هذه المناظرات التي تفوق فيها علماء الإباضية باعتراف المخالفين[1]، يقول الشيخ الإباضي أبو نوح سعيد بن زنغيل (ق4هـ/10م) عن نفسه "ناظرت عن هذه النحلة بين يدي أبي تميم وأبي منصور (بلكين بن زيري الصنهاجي(361–373هـ/972–984م) ولم يبق مذهب إلا غلبته"[2]، وكان أبو تميم المعز لا يخفي إعجابه بمجادلات علماء الإباضية فكانوا محل احترام وتقدير، إذ قال عن يغلا بن زلتاف(ت380هـ/990م) عالم ورع، وعن سعيد بن زنغيل فتى مجادل[3].

من أهم المناظرات التي سجلتها المصادر مناظرة حول مسألة الخلق[4] ومناظرة أخرى حول نفس المسألة عند الدرجيني[5]، كما ذكر الشماخي مناظرة في حديثه عن ترجمة أبي القاسم يزيد بن مخلد(ت358هـ/968م) وإن كانت مع معتزلي في بلاط أبي تميم المعز الفاطمي[6].

اصطحب المعز الفاطمي معه الى مصر سنة(362هـ/972م) أحد أعلام الإباضية في الكلام أبو خزر يغلا بن زلتاف(ت380هـ/990م) لما علم فيه من قوة في العلم وقدرة

1– أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص226. الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص136. صنفتها في مبحث المناظرات بين الإباضية والمعتزلة.

2– الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص353.

3– المصدر نفسه، ج1، ص 123.

4– أبو زكريا: المصدر السابق، ص212

5– الدرجيني: المصدر السابق،ج1، ص147-148

6– سبق الإشارة الى تفاصيلها في مبحث المناظرات الإباضية المعتزلية.

على الجدل والمناظرة[1]، ولما تسامع علماء مصر بخبر أبي خزر اجتمعوا لمناظرته، ثم أمسكوا عن ذلك بعد اشارات فهموها من لقائهم به تدل على باع طويل في العلم والمناظرة، وألقوا السلم دون كفاح[2].

واستعان الخليفة الفاطمي- العزيز بالله نزار المكنى بأبي المنصور(365-386هـ/975-996م) بيغلا بن زلتاف من جديد للرد على المعتزلي الذي تفوق على علماء مصر، فناظره وغلبه[3]، قال "المعتزلي: ما ناظرت مناظر قطعني إلا شابا بالمغرب"[4]، دون أن تذكر المصادر تفاصيل المناظرات وحيثياتها، ولا أصحابها ومذاهبهم، وإن كان ذلك يعطي الدلالة الواضحة عن مدى تطور علم الكلام في بلاد المغرب بصفة عامة، رغم ما كانت تمتله مصر من ثقل تقافي في البلاد الإسلامية، و باعتبار أنها كانت أقرب الى أرض المشرق، وكان قبل ذلك محمد ابن سحنون(ت256هـ/870م) أثناء رحلته الى الحج قد تفوق في مناظراته بمصر على رجل يهودي عرف بقوته في المناظرة وأسلم في الأخير على يديه[5].

فرغم الاختلاف العقدي بين الإباضية والفاطميين إلا أن المصادر التاريخية تذكر بعض التقارب بأهداف متباينة من الطرفين[6]، فقد كان علماء الإباضية يستدعوْن الى

1- الدرجيني: طبقات المشائخ، ص 138.

2- المصدر نفسه، ج1، ص141.

3- الشماخي: السير: ج2، ص535، أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص234.

4- الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص143.

5- المالكي: رياض النفوس: ج1، ص352. الدباغ: معالم الإيمان، ج1، ص81. القاضي عياض، المدارك: ج1، ص429.

6- رغم الاختلاف السياسي والمذهبي بين الإباضية والشيعة، فقد كان الفاطميون سبب سقوط الرستميين، إلا أن هناك هناك تقارب بينهما حتى ولو كان ضعيفا في بعض المسائل العقدية كمسألة الصفات وخلق القرآن والرؤية، ووجه هذا التقارب يعود الى أثر أفكار المعتزلة فيهما. ينظر، عدون جهلان: الفكر السياسي عن الإباضية من خلال أراء الشيخ امحمد بن يوسف أطفيش، رسالة ماجيستر في الفلسفة، جامعة الجزائر، 1986-1987، ص115. مسعود مزهودي: جبل نفوسة في العصر الإسلامي الوسيط، ص242.

مجالس الفاطميين ويلقون الاحترام والتقدير، ويستعين بهم الخلفاء في الرد على أهل الخلاف بعد أن عفى عن الشيخين أبو خزر يغلا بن زلتاف وسعيد بن زنغيل أثر واقعة بغاي وجعلهما من خاصته.

إن مسعى تقرب المعز الفاطمي من الإباضية يدخل في اطار تهدئة الأجواء ببلاد المغرب بعد سلسلة الثورات المتتالية لجموع الإباضية الوهبية والنكارية، وتعزيز سلطته بزرع الفرقة بين جموع الإباضية، فالطبيعي أن تكون الإباضية الوهبية المقصد الأول للمعز الفاطمي لعدة اعتبارات:

- لرفضها التحالف مع أبو يزيد مخلد النكاري في ثورته على الفاطميين.
- اعتدالها السياسي والفكري مما يسهل قنوات الاتصال والاتفاق.
- بروز الإباضية الوهبية كقوة جديدة بعد القضاء على ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد إذ أن قبيلة مزاته الإباضية كانت تعد وحدها ثمانية عشر ألف فارس الى حدود سنة(325هـ/937م)[1].
- ظهور بوادر تحالف جديد للأموين في الأندلس مع لإباضية الوهبية.
- ضمان طرق التجارة التي كانت تمر عبر مناطق نفوذ الإباضية سواء باتجاه المشرق أو باتجاه الجنوب وهي مورد اقتصادي هام[2].
- التخطيط المعز لمرور سلمي وهادئ الى عاصمته الجديدة القاهرة، خاصة وأن طريق الرحلة الى مصر يعبر عبر أهم معاقل الإباضية ببلاد المغرب الإسلامي جبل نفوسة وبلاد الجريد مصطحبا معه يغلا بن زلتاف أهم شخصية اباضية[1].

1- أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص178.

2- المبروك المنصوري: الفكر الإسلامي في بلاد المغرب تشكله وتطوره وانتشاره، ص273.

تجتمع هذه العوامل في تشكل هذا التقارب لأبعاد سياسية واقتصادية مصلحية واضحة تحت غطاء مبدأ "التقية" لكل منهما، فقد كان تقرب الإباضيين تقية ليكونوا على اطلاع بتخطيط الحكّام وتوجيهاتهم، وكذا الأمر بالنسبة للفاطميين يقربون علماء الإباضية حتى يكونوا تحت مراقبتهم[2].

إن هذا التقارب ما يلبث أن يتلاشى حين نقارن بين المقالات العقدية لكل منهما، فقد أجاب ماكسن بن الخير الوسياني(ت491هـ/1097م) عن سؤال: "هل تجوز المُوارثة بين الشيعة وبيننا"- أي الإباضية- فكان رده "كلا إن كانوا ينكرون التعطيل، وأجل إن كانوا يقولون بالتفضيل"[3]، أي تفضيل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وسئل أبو زكرياء يحيى بن ويجمن الهواري[4](ت467هـ/1074م) عن حديث منسوب الى الرسولﷺ مفاده أن صنفين من الناس سيضلان طريق السلامة من أجل علي بن أبي طالبرضي الله عنه، أحدهما لغلوه في حبه، والأخر لغلوه في كرهه، فأجاب أن الشيعة قد اتخذوا من علي موقفا مماثلا لموقف النصارى إزاء المسيح عليه السلام، في حين يرى الخوارج الصفرية أن مرتكب الكبيرة مشرك، وعلى هذا الأساس اعتبروا عليا من هذا الصنف"[5].

وقد أفصح أبو يعقوب الورجلاني من المتأخرين عن موقف الإباضية من الشيعة بوصفهم جهلة قدحوا في الإسلام والنبوة والألوهية[6]، أما التأويل الباطني على طريقة

1- حسن بوبيدي: بلاد المغرب الإسلامي بين التعايش والصراع المذهبي–قراءة في الاستغلال السياسي والتأثير العقدي والفقهي– مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، المجلد11، العدد01، 2018، ص218–219.

2- عبد الرحمن عثمان حجازي: تطور الفكر التربوي في الشمال الإفريقي، ص115.

3- الهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، ج2، ص368.

4- من علماء الإباضية سمي "بصاحب الغوامض" لقدرته الفائقة في تسهيل المسائل المعقدة وهو ممن روى عنه الوسياني وصاحب كتاب السؤالات، ينظر: الدرجيني، طبقات المشائخ، ج2، ص415-417، معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج2، ص464.

5- الدرجيني: المصدر السابق: ج2، ص415. الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج2، ص،368.

6- أبو يعقوب الورجلاني: الدليل والبرهان، ج1، ص44.

الشيعة فمرفوض جملة وتفصيلا[1]، إلا بدليل عقلي أو شرعي وليس في العقليات ما يبطله ولا ورد في الشرع ما يمنعه[2].

ينفرد الداعي ادريس عماد الدين بذكر تفاصيل ما كان بين الخليفة الفاطمي المنصور(334-341هـ/946-953م) وأبو يزيد مخلد بن كيداد(ت336هـ/947م) حين ألقي عليه القبض، فأمر بإحضاره لإقامة الحجة عليه، فلما دخل على المنصور قال: السلام عليك.

قال المنصور: السلام على من اتبع الهدى، ولا سلام على من كفر وعصى، أي عدوّ الله، كيف رأيت صنع الله؟ ألم ينصر الحق على قلة أنصاره وخذل الباطل على كثرة أعوانه؟ فطأطأ أبو يزيد رأسه وتابع المنصور كلامه وقال: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾[3]، فرفع أبو يزيد رأسه وقال: أقدرك الله والعفو أولى بك.

فقال المنصور: أي عدو الله تشتُم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؟

قال: معاذ الله، وكيف أشتم عليا ونحن حزبه الذي نصرناه على أهل الشام[4].

فقال المنصور: أو كان علي محتاجا الى نصرك؟ كلا والذي فضله وكرمه، سيفُ عليّ ناصره والله مؤيده، لا أنت ولا غيرك. وزاد المنصور على ذلك: أولم تشتم من هو خير من خيرات علي؟ فقال أبو يزيد: ومن هو خير من خيرات علي عندك؟

1- بيير كوبرلي: مدخل الى دراسة الإباضية وعقيدتها، ص445.

2- أبو يعقوب الورجلاني: الدليل والبرهان، ج3، ص23-24.

3- سورة الأنفال: الآية 48.

4- يقصد واقعة صفين بين علي ومعاوية رضي الله عنهما سنة(37هـ/657م).

قال المنصور: أمير المؤمنين أبو القاسم(أبو القاسم محمد بن عبيد الله المهدي الملقب بالقائم بأمر الله(322-334هـ/934-946م) الذي جمع الله له شرف النبوة والإمامة بمحمد وعلي وفاطمة صلوات الله عليهم.

قال: معاذ الله، لا والله ما شتمته، فقال المنصور: كذبت.

قال أبو يزيد: بأي شيء كذبتني وأنت لم تسمع ذلك مني؟

قال المنصور: إن لم أسمعه فقد سمعه كافة أوليائنا من أصحابنا.

قال أبو يزيد: بلى قد كانت معي عامة لا خلاق لهم.

قال المنصور: تكلم آمنا بملء فيك: ما الذي نقمت فيه على أمير المؤمنين؟ يقصد أبو القاسم محمد بن عبيد الله المهدي.

قال: كان أبو القاسم كريما حوله قوم سُوء هجّنوه.

فقال له المنصور بماذا؟

قال أبو يزيد بعد أن ألح عليه المنصور بالقول: هذه القبالات التي فيها الجور على المسلمين، فقمت منكرا لذلك أريد اصلاح أمور الناس.

قال: فهل علمت أن ذلك من رأي أمير المؤمنين وأمره؟ قال أبو يزيد: لا أعلم، إلا أنهم قد فعلوا.

قال المنصور: فهلاً كنت تشكو ذلك الى أمير المؤمنين وتطلعه عليه، فإن غير المنكر، كان الذي أردت، وإن هو لم يفعل اتخذت بذلك عليه الحجة؟ وأضاف: وإنما قمت كما زعمت للإسلام محتسبا. قال: أبو يزيد نعم.

قال المنصور: فهل غير الإسلام، ونقض شريعة محمد صلى الله عليه وسلم وبدل وأهلك أمته غيرك؟ قال أبو يزيد: وكيف؟ قال: وكيف أيضا؟ قال: نعم وكيف؟

قال المنصور: بما ارتكبت من المحارم، وصغرت من العظائم، وسفكت من الدماء، وهتكت من الحرمات. قال أبو يزيد ذلك من أقوام سوء اتبعوني.

قال المنصور: عن معرفة منك أم عن جهل؟ قال: بل عن جهل مني بهم.

قال: أولا يوجب عليك فعلهم حجة عند الله ولا عند عباده؟ قال أبو يزيد لا.

قال المنصور: إذا كنت لا ترى الحجة عليك واجبة بفعل أصحابك، فمن أين رأيت الحجة واجبة على أمير المؤمنين بفعل عبيده في أقصى البلدان، وملكه بحمد الله أوسع من البحر الذي فيه الجواهر والغثاء؟ فسكت أبو يزيد، وأضاف المنصور: ما تقول في بني كملان هؤلاء خاصة؟ قال: قوم سوء ملاعين.

قال المنصور: قد نقضت قولك وأكذبك لسانك إذ زعمت أنك جاهل بأهل الشر من أصحابك، ثم هذا قولك في بني كملان وهم عمدتك وعقدتك، وآخر من حصل معك من أصحابك أصحاب الشيطان، ويل لك من الله. وأضاف: برئت الى الله منك لمّ نقضت اعتقادك وخالف قولك فعلك؟ قال أبو يزيد بماذا؟

قال المنصور: بالفرار من الزحف، فهو من الكبائر عند أولياء الله، وعندكم أيضا أعداء الله، وأنت القائل إن الموت أشهى عندك من الحياة والضامن لأصحابك أنك لا تنهزم أبدًا. فقال أبو يزيد: ومتى انهزمت؟

قال المنصور: ألم تنهزم من سوسة، ثم من القيروان، ثم من تامديت، ثم دامران ثم قدورة والى أرض السودان، ثم الى الجبال، ثم الى تاموروت[1]؟ قال: لم أهرب، ولكني دخلت الغرب.

قال المنصور: دخلت الغرب بشدودك رواحك من القيروان، ورحلت مشتهيا لدخول الغرب؟ بل أخرجك والله ابن رسول الله بذي الفقار سيف جده، صاغرا مهزوما ذليلاً خازياً خائفاً طريداً، فدخلت الغرب بزعمك والله وصغارك، بعار الأمد وخزي الأبد في الدنيا،﴿وَلَعَذَابُ الْآَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[2]، ثم أضاف: لمَ استعملت الكذب الذي هو عار ونار؟ قال: ومتى كذبت؟

قال المنصور: ومتى صدقت؟ أوليس من كذبك وزورك كتابك بالأمس الى الأموي الشقي[3] تدعي فيه أنك حصرتني وقتلت رجالي وأخذت فازتي، وأني محصور بمدينة المسيلة؟ قال: ما كتبن هذا؟ فأمر المنصور بإحضار رسائله الى الناصر الأموي بالأندلس، فتحرج أبو يزيد من ذلك وطلب العفو.

قال المنصور: تصف نفسك بالعقل والدهاء، وترى نفسك لتدبير الحروب، وقَود الجيوش وسياسة الأمور، وامرأة من جهلة الناس أعقل منك؟ قال: ومن هي؟

قال المنصور: امرأتك التي حذرتك من سوء العواقب، وأمرتك بما لو أطعتها فيه لكان في طاعتها رشدك، من النزول إليّ والاعتراف بذنبك والتوبة الى الله ربك، وأعلمتك أنك إن لم تفعل كنت مأسورا، وأن الله لا يدعك حتي يأخذك بكبير جُرمك وعظيم ذنبك. فقال: لقد قالت ذلك.

1- المواضع المذكورة في النص هي المواضع التي مر بها أبو يزيد مخلد بن كيداد بعد أن فشل في حصار المهدية وانهزامه في معركة القيروان، ينظر: الداعي إدريس عماد الدين: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، ص405-437.

2- سورة القلم: الآية 33.

3- يقصد الخليفة الأموي عبد الرحمان الناصر(316-349هـ/ 929-961م).

قال المنصور: أتدري بم بلغت ما بلغت على خساستك ونذالتك وسقوطك وخمولك وجهلك؟ قال أبو يزيد: للقيام الله. قال المنصور: معاذ الله، من قام لله نصره الله، ولن يقوم لله إلا أولياء الله. فقال أبو يزيد: بماذا تقول؟

قال المنصور: بهوانك والله على أمير المؤمنين(القائم بأمر الله)، وإنك تعلم أنه لو برز إليك لدق عنقك ووقص ظهرك، ولكنه أبى ذلك، احتقارا لك واستصغارا لشأنك. ولقد سمعته يقول: لو أخذ عدو الله بحلقتي هذا الباب ما خرجت إليه، ليقضي الله أمرا كان مفعولا، وليبتلي الله المؤمنين فيمحق الكافرين، والذي نفسي بيده لينجز الله وعده لنا ولو كره المشركون. فسكت أبو يزيد، وأضاف المنصور: قد أخذتك بالسيف قهرا، وصرت في يدي قسراً أسيرا بلا عقد ولا عهد، فلأقتلنك قتلة هي أضر عليك من كل قتلة. قال أبو يزيد: كيف؟

قال المنصور: بالإحسان إليك، والإفضال عليك والرفق بك، ثم لا ينالك من عقوبتي شيء أكثر من سجنك في دار واسعة ورزق جاري لتعلم أني ولي الله وابن رسوله، وأن الله فضل أخلاقنا كما طهر أعراقنا، ليكون ذلك قاتلا لك غماً وهماً، وحصرةً وكمداً على ما فاتك من الفوز بطاعتنا، وعلى ما أعده الله لك من العذاب بمعاندتنا، وأمر بعدها بإخراجه[1].

تظهر المناظرة التحيز الواضح للداعي إدريس للشيعة وهو ما يوافق مذهبه، بل يحتمل انطلاقا من سيرة أبو يزيد النكاري أن هناك تحريف في ردوده على أسئلة المنصور من ذلك شتمه لأتباعه حين سأله عن بني كملان[2] فقال: قوم سوء ملاعين،

[1]- الداعي إدريس عماد الدين: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، ص445-451. ويشير القاضي نعمان الى هذه المناظرة ولا يذكر تفاصيلها، ينظر، القاضي النعمان: المجالس والمسايرات، ص336.

[2]- لم نتمكن من التعرف عليهم.

وكذلك حين اتهمه بسب أبو القاسم فقال: كانت معي عامة لا خلاق لهم، فكيف لأبو يزيد أن يشتم أنصاره.

خاصة وأن الرواية تنفرد بها المصادر الشيعية ولا تذكرها المصادر الأخرى الإباضية والسنية، هذا ناهيك عن حالة الضعف التي كان عليها أبو يزيد، فالمناظرة لم تكن متكافئة بين الطرفين ولم تتوفر فيها شروطها.

2- الإباضية الوهبية في مواجهة الفرق المنشقة عنها: (الجدل الداخلي).

التحذير من الجدل الداخلي:

إن كان علماء الإباضية يشجعون الإقدام على اكتساب فن الكلام والمناظرة مع المخالفين تماشيا مع طبيعة المرحلة لأثر ذلك في الأفراد، فالاعتزاز بالانتماء والثقة في النفس هو سر المحافظة على المذهب، لا يكون ذلك الا بالتكوين العلمي العقدي فقد ذكر الوسياني عن أبي زكريا فصيل بن أبي مسور (ق5هـ/11م) قال: "لا يكون المرء فقيها وعالما بدينه حتى يكون عالما بدين غيره"[1]، في مقابل ذلك لم يكن شيوع الجدل والمناظرة داخل المذهب محببا، فقد حذر الإمام يعقوب بن أفلح ابنه أبا سليمان من قراءة ديوان أحمد بن الحسين الأطرابلسي(ت269هـ/882م) الذي أغواه الشيطان فزاغ عن الإباضية[2].

وقد حكم عبد الله بن سجميمان(ق6هـ/12م)[3] وهو أحد تلاميذ أبي عمرو عثمان بن خليفة السوفي(ق6هـ/12م) بالكفر على من صوّب مقالة مخالف أو قال: خير منّا[4].

ذكر الوسياني أن الشيخ يحيى بن زكريا الزواغي(ق 5هـ/11م) وجد أحد الشيوخ- يوسف بن موسى القنطراري(ق5هـ/11م)[5]- يقرأ كتاب "الإشراف"[6] وهو من وضع رجل

1– الوسياني: سير، ج1، ص301

2– المصدر نفسه، ج1، ص328. ابن سلّام: بدء الإسلام وشرائع الدين، ص134-135، الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص106، ج2، ص477.

3– عبد الله بن سجميمان النّصيري(ق6هـ/12م): جعله الشماخي من الطبقة الخامسة، متكلم اباضي من الشيوخ التحقيق الذين عُرض عليهم كتاب السؤالات لأبي عمرو عثمان بن خليفة السوفي. ينظر: الشماخي: السير، ج2، ص694.

4– المصدر نفسه، ج2، ص694.

5– في رواية الشماخي أن أبا زكريا يحيى بن أبي زكريا سعى الى الصلح بين رجلين- عبد الله بن عيسى، ويوسف بن موسى- بسبب وشاية الأول بالثاني عند المشائخ عندما وجده يقرأ في كتاب "الإشراف على مسائل الخلاف" ينظر، الشماخي: المصدر السابق، ج1، 139.

6– كتاب "الإشراف على مسائل الخلاف" ويبدو من سياق رواية الشماخي أنه كتاب للمخالفين في الفقه المقارن، والكتاب حسب ما يظهر من العنوان هو كتاب الإشراف على مذاهب الأشراف لأبي بكر محمد بن ابراهيم النيسابوري

من أهل الخلاف، فتوجه الى تونين[1] عند المشايخ فأخبرهم بما رأى، فبعثوا اليه بالخطة والهجران[2] عقابا وتأديبا له على قراءة كتب المخالفين، ولم يشر الى طبيعة الكتاب ولا مضمونه، ولا حتى من هؤلاء المخالفين أهم إباضية نكارية أم مالكية، فأسرع الى طلب العفو والتوبة، قال: فلاموني ثم ردوني، فدعا الشيخ أبو الربيع سليمان بن يخلف وأبو اسحاق إبراهيم بن يوسف ومن معهم ألا يبارك الله فيمن يقرأها[3].

وهو نفس الكتاب الذي تعرض بسببه أبو يعقوب يوسف بن خلفون(ق6هـ/12م)[4] الى نقمة المشائخ بعد إثبات مطالعته له[5]، وفي نفس السياق ذكر الوسياني من روايات أبي محمد ويسلان بن أبي صالح اليريساني(ق5هـ/11م) حكى له عزابي مسألة من كتاب فقال له اجتنب ذلك الكتاب لئلا يحول بينك وبين دينك[6]، ولم يذكر كذلك إسم الكتاب ولا صاحبه ومذهبه.

الشافعي(ت318هـ) المشهور بابن المنذر النيسابوري جمع فيه المذاهب الإسلامية، وذكره الشيخ أبوسعيد الكدمي العماني (من علماء الإباضية بالمشرق في ق4هـ) باسم آخر "زيادات الإشراف" تعقبه أبو سعيد في مسائله، ينظر: الشماخي: السير، ج2، ص645، الهامش رقم01.

[1]– موضع جنوب شرق البلاد التونسية معناها بالبربرية الآبار، ينظر، الشماخي: المصدر السابق، ج3، ص844.

[2]– المصدر نفسه: ج2، ص634. أما عن الخطة: بكسر الخاء وإدغام الطاء، تعني إقصاء الفرد من حلقة العزابة، كما تطلق على هجران الشخص نتيجة مخالفته للعرف، ينظر: معجم مصطلحات الإباضية، ج1، ص343.

[3]– الوسياني: سير، ج2، ص720.

[4]– أبو يعقوب يوسف بن خلفون المزاتي: (ط12: 550–600هـ/1155–1203م) من علماء ورجلان عاصر فترة ازدهارها الفكري، عاصر الشيخ أبو يعقوب الورجلاني وأبو عمار عبد الكافي، اشتهر بدراساته المقارنة، مما جلب عليه متاعب من شيوخ قومه بعد أن اتهم بمخالطة كتب المخالفين والاستهزاء بكتب المذهب، فهُجر مدة ثم رفع عنه بعدما تبين لقومه هدفه النبيل، من أهم مؤلفاته "أجوبة بن خلفون" في الفقه المقارن حققه الدكتور عمرو خليفة النامي ملحقا بأطروحته الجامعية(دكتوراه). ينظر، الدرجيني: ج2، ص495–498. البرادي: الجواهر المنتقاة، ص221. معجم أعلام الإباضية، ج2، ص487–488.

[5]– الدرجيني: المصدر السابق، ج2، ص496، الشماخي: المصدر السابق، ج2، ص645.

[6]– الوسياني: سير، ج1، ص 316، الشماخي: المصدر نفسه، ج2، ص559.

وفي رواية آخر حكيت له مسألة من كتاب، فقال لمن حكاها: ارفع كتابك إلى النهر واغسله، وهو تحذير وتخويف منه[1]، والأكيد أنه من كتب المخالفين.

استمر هذا المنع حتى القرن السادس هجري، فقد ذكر الدرجيني أن الشيخ أبا محمد عبد الله اللواتي(ت528هـ/1133م)[2] كان يحذر من مجالسة المخالفين ومطالعة كتبهم ومخالفة الأئمة[3]، ويشدد على ذلك بترديده لفظة "احذروا" خمس مرات ناهيك عن ألفاظ أخرى تدور في فلكها ك "اجتنبوا" و"نهى عنه"[4] بعد أن تفرقت جموع الإباضية الى فرق اجتهدت في الفقه والكلام حتى ضلت كأحمد بن الحسين(ت269هـ/882م) ومن بعده سليمان بن يعقوب(ق4هـ/10م).

إن مرد هذا التشديد من مطالعة كتب المخالفين وتأثيره على الأتباع والتشديد على من يخوض فيها بسلاح البراءة والهجران، هو وإدراكهم لحجم الخطر على الأتباع والدعوة بصفة عامة، جعل رجال الإباضية يعون أن الدخول في متاهات الجدل الفكري قد يشتت ذهن الأتباع وينقص من عزائمهم، ويتبع ذلك فشل المشروع السياسي الإباضي في إقامة كيان سياسي في المشرق والمغرب، فالمرحلة مرحلة الدعوة والتأسيس لا تتناسب إطلاقا مع الجدل الكلامي خاصة الداخلي، الذي قد يسبب الفرقة والتحزب، وهو ما لا يخدم الهدف المنشود الانتقال من الكتمان الى إمارة الظهور، هذا ما يفسر إقدام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة على طرد مجموعة من تلامذته كانت لهم اجتهادات

1- الوسياني: سير، ج1، ص316، الشماخي: السير، ج2، ص 559.

2- عبد الله بن محمد اللواتي العاصمي أبو محمد: (432-528هـ/1040-1133م) فقيه إباضي اشتهر ببراعته في التفسير، عاش متنقلا بين مواطن الإباضية أريغ والزاب ووغلانة، تخرج عليه علماء منهم أبو الربيع سليمان بن عبد السلام الوسياني صاحب كتاب السير، ينظر، معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج2، ص273.

3- الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص476-477.

4- زهير تغلات: فرق الإباضية بين مخطوط " رسالة الفرق" وبعض أهم مؤلفات الإباضية، ص108.

عقدية وفقهية خالفوا فيها جمهور الإباضية وهم عبد الله بن عبد العزيز، وأبو المعروف شعيب، وأبو المؤرج عمرو بن محمد، وحاتم بن منصور، وعبد الله بن يزيد الفزاري[1].

كما توارث هذا التشديد تلاميذة أبي عبيدة وذلك ما أوصى به حاجب الطائي، عبد الملك الطويل(ق2هـ/8م)[2] "إذا كان أحد يعيب عليه المسلمون في أشياء تكون منه- فيما بينه وبين الله- فاستروا عليه وعظوه وأحضروه مجالسكم وارفقوا به جهدكم، عسى الله أن يتوب عليه، وإن عابوا عليه في خلافهم في الدين، يريد أن يشغب ويفتق عليهم فتقا، فأبدوا عورته واهجروه، واعلموا الناس به حتى يكونوا منه على حذر[3].

ومن ذلك ما ذكره المليح(ق2هـ/8م) عن شعيب بن المعرف لما منع من دخول مجلس حاجب وسمح له أي المليح هو ورجل آخر بدخول المجلس[4] نظرا لمواقفه المخالفة لمذهب الوهبية التي كانت وراء إقصائه من جماعة الوهبية.

يلاحظ مدى مبالغة الإباضية في التحرز والحذر وتجنب أفكار المخالفين خشية التأثر بهم وفقدان الأنصار، ولكن رغم ذلك وقع الشقاق وخرج من رحم الإباضية الأم فرق كان لها شديد الأثر في تشتت الأتباع.

1- عمرو خليفة النامي: دراسات عن الإباضية، ص201.

2- جعله الشماخي من الطبقة الرابعة (150-200هـ).

3- الشماخي: السير، ج1، ص223.

4- المصدر نفسه، ج1، ص226.

المناظرات الوهبية النكارية:

يشكل النكار أحد أبرز فروع الإباضية التي لعبت دورا هاما في تاريخ المغرب الوسيط سياسيا وعسكريا وعقديا، بإكسابها تنظيرا عقديا وفقهيا يميزها عن الإباضية الوهبية، ومن الطبيعي أن تطغى أحداثها على سير التاريخ الإباضي ببلاد المغرب، فكان حظها في السجال الفكري مع الوهبية في المشرق والمغرب وافرا بالمقارنة مع الفرق الإباضية الأخرى.

ومن المناظرات التي كانت بينهما ما كان بين عالم الوهبية أبي نوح سعيد بن زنغيل(ق4هـ/10م) ويحيى الأعرج النكاري عميد توزر في العلم، حول التوحيد والشرك في أواسط القرن الرابع هجري هذا نصها "فسأله أبو نوح عمن دعا مشركا الى الإسلام وأخذ يعلمه التوحيد كلمة كلمة، فما تراه مشركا أو مسلما: إن قلت مسلما، فيصح ببعض التوحيد، وإن قلت مشركا فبماذا أشرك؟ أبما علم أم بما بقي؟ فأفحمه وقال: لا أعلم. فقال له الشيخ: لا تحتشم، وقفت حيث وقف إمامك عبد الله بن يزيد. وعندهم أن الحجة لا تقوم إلا بالسماع، وقولنا إنه أشرك بما لم يسمع"[1].

قال أحد التلاميذ لأبي نوح في موضع آخر بعد انتهاء المناظرة " أرأيت إن قال يحيى، إنما أشرك بالذي لم يسمع؟ قال أبو نوح: فإن قال إنه أشرك بالذي لم يسمع، فهو الرجوع الى قولنا، حجة الله تقوم بسماع وبغير سماع، وهذا ما قامت عليه الحجة بغير سماع، وإن قال إنما أشرك بالذي سمع، قال: فيقال له إسرار التوحيد خير من إظهاره، ويلزمه أيضا أن يكون ترك التوحيد إيمانا ويكون فعله كفرا"[2].

وذكر الوسياني من روايات أبي موسى يزيد وضمام ولده عن أبي محمد عبد الله شيخه أن امرأة تنازع عليها الوهبية والنكار، فتركهم الوهبية حتى انتجعوا الى السوق، ولم

---

[1]- الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص149، الشماخي: السير، ج1، ص56-57 في الهامش، ج2، ص538.

[2]- أبو زكريا يحيى: سير الأئمة وأخبارهم، ص240، الدرجيني: المصدر السابق، ج1، 149-150.

يبق في الحي غير أبي موسى- وهو ذاهب البصر- والنساء والولي والناكح من الوهبية، فأنكحوها بمحضر أبي موسى والنساء، وسأل أبو موسى المرأة عن الإجازة والرضى بفعل الولي فجوزت ورضيت بما فعل الولي من تزويجها للرجل، فجاءت النكار فقالو: لا يجوز هذا النكاح، لأنه لم يحضر له غير النساء، وشهادة النساء وحدهن لا تجوز، وشهادة الأعمى غير جائزة، وقال لهم الوهبية: النكاح جائز، وشهادة الأعمى جائزة إذا عقل الصوت وفرزها(أي المرأة وصوتها) وبينها من الأصوات، فأمروا نساء الحي أن يجزن على أبي موسى ويُسلمن، ولا يزدن غير السلام واحدة بعد واحدة، حتى يفرغن، فإن عقل المرأة من بين النساء فالنكاح جائز، وإلا فباطل ما كانوا يعملون فأمروا النساء فكل امرأة مضت على أبي موسى سلمت ومضت، حتى جازت عليه العروس وسلمت عليه، فقال لهم أبو موسى: هذه المرأة التي تزوجت فلانا ورضيت بالنكاح، فكبر القوم ودحضت حجة النكار[1].

والحجة على ذلك ما كان من النبي صلى الله عليه وسلم في مرض الوفاة لما أمر بتقديم أبي بكر الصديق رضي الله عنه للصلاة، فنظر فلم يجده فتقدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلما كبر سمع الرسول تكبيرة عمر وعقلها، فقال رسول الله يأبى الله ورسوله ثلاثا، أين أبو بكر؟ مروا أبا بكر فليصل بالناس[2].

وأورد الشماخي في "السير" أن أبا الربيع سليمان بن زرقون(ق4هـ/10م) عرف بتعصبه للوهبية جعل يرد على سؤال حول البراءة من النكار وهو بجبل نفوسة قال "من لم يصب ما ينفق، فليصبح ويلعنهم، فكأنه أنفق جراب دراهم"[3]، وناظرهم وغلبهم وشدد عليهم في أحياء إفريقية، ورد الكثير منهم الى مذهب الوهبية، بعد أن استولى مشائخ

[1]- الوسياني: سير، ج2، ص570-571.

[2]- المصدر نفسه، ج2، ص571.

[3]- أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص196. الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص112.

النكار عليها، فقطع احتجاجهم وطرد من بقي على مذهبهم حتى لم يبق بها للنكار أثر[1]، كان ذلك بعد عودته من رحلته العلمية الى سلجماسة رفقة أستاذه ابن الجمعي[2] وصحبهم في هذه الرحلة يزيد بن مخلد بن كيداد المعروف بصاحب الحمار قبل ثورته على الفاطميين، وقد عاتب قبل ذلك الشيخ أبو القاسم البغطوري(ت313هـ/925م)[3] على توليته نفاث في جبل نفوسة[4].

وجاز ابن زرقون(ق4هـ/10م) على ريصوا [5] وذلك في أيام أبي الخطاب وسيم بن سنتين(ق4هـ/10م) [6] عامل اليقظان[7] فوجد بها أربع فرق من الإباضية: مستاوة، أتباع عبد الله بن يزيد، والخلفية، والنفاثية، وأهل الدعوة (الوهبية)، القضاء والأحكام لأبي الخطاب وسيل الزواغي(ق4هـ/10م)، والفتيا للنكار، وإمامة في صلاة قيام رمضان للخلفية، والأذان للنفاثية[8].

1- أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص195، الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص109، الشماخي: السير، ج2، ص439.

2- من أهل المشرق اشتغل بالتجارة، وكان عالما بعلوم النظر، أنظر الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص109.

3- أبو القاسم سدرات بن الحسن البغطوري(ت313هـ/925م): من أعلام الإباضية بجبل نفوسة، كان ممن نجى من العلماء بعد واقعة مانو سنة(283هـ/896م)، فآلت اليه الفتوى، وكانت له مناظرات مع نفاث بن نصر، ينظر، معجم أعلام الإباضية: قسم المغرب، ج2، ص169.

4- أبو زكريا: المصدر السابق، ص195.

5- جزيرة صغيرة قبالة جزيرة جربة، ينظر: الشماخي: المصدر السابق، ج3، ص 854.

6- أبي الخطاب وسيم بن سنتين الزواغي(ق4هـ/10م) (ط7: 300-350هـ/912-961م): من علماء جبل نفوسة وتولى القضاء بأحد أقاليم الجبل عاتبه قومه على التزامه الأمر لليقظان، وكانت له ردود شافية على ذلك، ينظر، الشماخي: ج2، ص442. الدرجيني: ج1، ص114. معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، ج2، ص445.

7- اليقظان بن أبي اليقظان(294-296هـ/907-909م) أخر أمراء الدولة الرستمية، نال سخط شيوخ الإباضية لاتهامه بقتل أخيه أبي حاتم.

8- أبو زكريا: المصدر السابق، ص197، الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص112، الشماخي: المصدر السابق، ج2، ص441.

ويبدوا أن هذا التقسيم فيه مراعاة قوة الفرقة وأتباعها في المدينة يهدف من ورائه الى مسايرة الفرق المخالفة للوهبية، إذ يظهر أن الوهبية التي كان هو من أنصارها لم تكن لها اليد العليا بدليل إسناده أمر الفتوى للنكارية وما لهذا المنصب من أهمية.

يُنبئ تستر ابن زرقون في مناظرته للنكار على لسان رجل أخر، أن هذه القرائن تدل فعلا على أن أمر الفرق الإباضية كان مستفحلا لا ينفع معه الحسم العسكري، ولذلك كان أسلوب الملاينة والملاطفة أنسب للمحافظة على هدوء الولاية، خاصة أن دولة الرستميين كانت تعيش أخر أيامها، وإن كان هذا المناخ الفكري مناسبا يساعد على شيوع المناظرة والجدل بين الفرق الإباضة.

لما جاز ابن زرقون وجدهم مجتمعين في حلقة على هذه الحال، جلس يستمع لنقاشهم وكان بجانبه رجل أمره أن يسأل صاحب الفتيا وهو نكاري، فلما سمع المسألة تلعثم ولم يستطع الإجابة، فقال ابن زرقون: "أجب الرجل سؤاله، فقال له النكاري أجبه أنت! فطلب ابن زرقون من السائل إعادة سؤاله، فأجابه وزاد فأجابه، فقدموه وجه الحلقة يسألونه والنكاري متروك"[1].

وكثيرا ما كانت المناظرات بين الوهبية والنكار تتجاوز حدود الحجة والبرهان إلى العنف اللفظي والجسدي، ومن ذلك ما كان بين رجل نكاري وآخر وهبي تناظرا فأفضى النقاش الى عراك جسدي فقال أحدهما للآخر: يا حمار، وقال الآخر يا ثور. واستنجد كل منهما بعصبته، فغضبت كل جماعة لما أصاب صاحبهم، فكان منهم لقاء فاقتتلوا قتالا شديدا[2].

---

[1]- أبو زكريا: سير الأئمة، ص197. الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص113.

[2]- الدرجيني: المصدر نفسه، ج1، ص149، أبو زكريا: المصدر نفسه، ص240-241، الشماخي: السير، ج2، ص538.

تجاوز الصراع الفكري بين الوهبية والنكارية حد التناظر والحوار الى القوة والاغتيالات، من ذلك أن رجلا نكاري أظهر الرجوع الى مذهب الوهبية حتى يتمكن من الاقتراب من الشيخ أبي القاسم يزيد بن مخلد(ت358هـ/968م) لأجل اغتياله ولم ينجح[1].

وإن كان ذلك لم يمنع من تخلل العلاقة بينهما فترات من التسامح كما هو الحال مع خلف بن أحمد النكاري(ق3هـ/9م) الذي كانت له صلة رحم مع مقدم الوهبية الشيخ أبي مسور يسجا(ق3هـ/9م) حين اختلف هذا الأخير مع النكار في مسألة وهو غائب، فلما قدم أعادوا عليه المسألة فصوب رأي يسجا وأبطل رأي أصحابه، وكان يقول: "ابن أختي إمامنا أجمعين لحمي ودمي رئيس الكل وجعل يكرر ذلك في مجالسه"[2].

في سنة (449هـ/1057م) زار جماعة من أهل طرابلس أهل ورجلان، وكانت تلك السنة تسمى سنة الزيارة[3]، في هذه السنة المذكورة بلغ المشايخ عن نكار جبل أوراس أنهم شنعوا عليهم، واستعظموا مسيرهم بالجوامع حتى قالو هذه ثيارة، فكتب اليهم المشايخ في شرح آيات من متشابه القرآن ومسائل ذكروها من الكلام، فقالوا: أخبرونا عن ثمانية أوجه لا تقوم إلا بالدلائل وأدلتها، منها اثنان، والآن على واحد، وواحد منها دال على اثنين، وواحد دال على واحد. فبلغنا أنهم أداروها في جبل أوراس فما أجابوا فيها جوابا.

1- الشماخي: السير، ج2، ص524. أبو زكريا: سير الأئمة، ص206-207.

2- الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص338.

3- الزيارة هي جولة تفقدية لمجموعة من العلماء والطلبة لمناطق تواجد الإباضية كجبل نفوسة وورجلان وبلاد الجريد وجربة الغرض منها تفقد أحوال إباضية المناطق المُزارة، بتجديد التواصل وبعث روح التمسك بالمذهب، وما لبثت أن اتخذت كعادة اجتماعية عند سكان وادي ميزاب تقام كل سنة في جو احتفالي في فصل الربيع تحت إشراف شيوخ العزابة يقوم المشاركون فيها بجولة عبر المعالم التاريخية والأثرية. ولا تقتصر هذه العادة على مناطق تواجد الإباضية بل هي عادة اجتماعية تشترك فيها مناطق المغرب الإسلامي بكيفيات ومواسم احتفالية مختلفة ينظر، معجم مصطلحات الإباضية: ج1، ص454. ثياقة الصديق: الممارسات الاحتفالية " الزيارات لدى مجتمعات القصور بالجنوب الغربي الجزائري"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد12 دسمبر 2017، ص315-332.

وأما الوجهان اللذان يدلان على واحد: فحركة الاكتساب وحركة الاضطرار دالتان على الحياة، والواحد يدل على اثنين: فحسن المذاهب يدل على العقل والتكليف. والواحد يدل على واحد: ففعل الاكتساب يدل على الاستطاعة[1].

وأورد كل من الدرجيني والشماخي أن رجلا نكاري سأل الشيخ أبا صالح بكر بن القاسم اليهراسني(ت431هـ/1039م) هل تجوز الصلاة بثوب واحد؟ فقال أبو صالح: نعم إذا ستره، فقال له النكاري: إنما عنيت لك الشاشية، فقال له أبو صالح وأنا قلت لك: إذا ستره[2]. وسأله: أيجوز صوم يوم العيد؟ قال: لا، قال: لم تصومون يوم الجمعة؟ قال: إذا كان في رمضان. فسكت ولم يجد جوابا[3].

وذكر أبو زكريا الورجلاني أن أبا زكريا فصيل بن أبي مسور(ق5هـ/11م) اجتمع مع شيخ من شيوخ النكار بنواحي زواغة[4] فجرى بينهما كلام الى أن قال له النكاري، يا أبا زكرياء: نحن وأنتم كلنا نكار، فقد أنكرنا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ما فعل من التحكيم، أراد النكاري أن يُلبس على الضعفاء(العامة) ويدخل عليهم الوهم بذلك، فإن سكت أبو زكرياء ولم ينقم عليه لزم الفريقين اسم النكار، ففطن الشيخ وقال: أما أنا فلست بنكاري فأفحمه"[5].

[1]– الوسياني: سير، ج2، ص857-858. بن دريسو مصطفى: الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري، ص282-283.

[2]– الوسياني: المصدر نفسه، ص291-292. الشماخي: السير، ج2، ص550.

[3]– الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص358. الشماخي: المصدر نفسه، ج2، ص550.

[4]– من القبائل التي اعتنقت المذهب الإباضي وكانت تقيم في غرب مدينة تيهارت وهي بطن من بطون البرابرة البتر، توزع أفخاذها في نواحي المغرب الكبير، فمنهم جهة طرابلس ولهم هناك الجبل المعروف بدمر، وفي جهة قسنطينة رهط من زواغة، ومنهم بنواحي فاس، ينظر: ابن خلدون: العبر، ج6، ص261–264.

[5]- أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص256. الدرجيني: المصدر السابق، ج1، ص162. أبي الربيع سليمان بن يخلف المزاتي: كتاب السير، تحقيق حاج سعيد مسعود، ط1، 1991، ص23.

يلاحظ الاحتيال على الخصم والتلبيس على العامة من أجل كسب الأنصار، ولذلك أخذ الوهبية على أنفسهم حسم المسائل المختلف حولها أو النوازل الطارئة مع النكار لا تكون الا بتدوير السؤال بينهم خشية الثغرات التي قد تكون منفذا للمخالفين.

من أسباب فشل النكارية في مناظراتهم للوهبية هو تحبيذ هذه الأخيرة الجدل الفكري على الصراع العسكري، من خلال تعاطيهم الجدل الفكري في مجالسهم، ذلك ما توحي به المقارنة الإثنية والقبلية بين التيارين، فالوهبية يسكنون المدن وقاعدتهم الاجتماعية قاعدة حضرية، أما النكار فقد كانوا على أطراف المدينة قاعدتهم الاجتماعية بدوية[1]، ذلك ما يفسر راديكاليتهم الفكرية والعسكرية، وهو ما يذكرنا بتياري الأزارقة في بلاد المشرق، الأمر الذي يفسر لنا ذلك بقاء التيار الأول وزوال الثاني من الخريطة المذهبية لبلاد المغرب الإسلامي، شأنهم في ذلك شأن الصفرية في بلاد المغرب والأزارقة في بلاد المشرق.

يشير الباحث محمد حسن محقق كتاب "السير" للشماخي أثناء حديثه عن الجدل الكلامي بين الوهبية والنكارية الى أثر البيئة ونمط العيش الخاص بكل فئة في صراعها الفكري مثل ما كان بينها في جزيرة جربة حول قسمة المياه[2]، فقد كان قسمها الغربي للوهبية والشرقي الغني بالمياه للنكارية، ومن ثم قد تكون أسباب التفاوت الاقتصادية مادية ساهمت في إذكاء الجدل بينهما وتطورت الى مناظرات كلامية.

1- المنصف قوجة: تاريخ الإباضية الديني والسياسي، ص50.

2- الشماخي: السير، ج1، ص57.

المناظرات الوهبية الخلفية:

ومن المناظرات التي كانت بينهما ما احتج به أبو عبيدة الجناوني(ت بعد 211هـ/826م)[1] على رسولي خلف بن السمح له بخلع ولاية أفلح بن عبد الوهاب وإثبات ولايته هو قال: "فهل أحدث الإمام أو ابنه أفلح حدثا أو أمرا يحل لكما به خلع ولايتهما؟"[2] واحتج عليهما بنفس حجة خلف- انقطاع الحوزات عن بعضها- إلا أن السمح لم يخرج عن الإمام حتى وفاته.

فقال أحد الرسولين: "إننا نخاف إن لم تجب الى طاعة هذا الرجل، إراقة الدماء. فقال أبو عبيدة: أيهما أعظم، إراقة الدماء، أو ترك القيام بدين الله.

فقال له الرجل: إراقة الدماء أعظم، فقال أبو عبيدة: لوكان الأمر كما ذكرتم، ما افترق أصحاب النهر[3]- يقصد المحكمة الأوائل- وغيرهم ولأذعنوا لطاعة الظلمة المسودة وأصحاب النخيلة[4] وأبي بلال مرداس بن أدية وأصحابه، وعبد الله بن يحي، وأبي حمزة وأصحابهما، وأبي الخطاب ومن تبعه من المسلمين، وأبي حاتم ومن تبعه، حتى لا يجتمع منهم اثنان حتى أعد له من أسلاف المسلمين عددا كثيرًا، وإنما أهرقت دماؤهم

1- أبو عبيدة الجناوني تولى ولاية جبل نفوسة لإمام عبد الوهاب ومن بعده أبنه أفلح بن عبد الوهاب، ينظر، معجم أعلام الإباضية: قسم المغرب، ج2، ص244.

2- أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص 130-133. إبراهيم فرغل: الخلفية وحركتهم الإنفصالية في طرابلس الغرب وجبل نفوسة(196-294هـ/811-907م)، مجلة المؤرخ العربي، مصر، العدد19، أكتوبر 2011، ص94-95.

3- النهروان: بلدة بين بغداد وواسط دارت فيها المعركة التي انهزم فيها الخوارج على يد علي بن أبي طالب، وقتل أحد زعمائهم عبد الله بن وهب الراسبي سنة (38هـ/658م)، واثر هذه المعركة دارت وقعة آخرى وهي واقعة النخيلة قرب الكوفة، ينظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج3، ص213،224.

4- النخيلة: موضع قرب من الكوفة اجتمع فيه ما تبقى المحكمة ممن لم يشارك في معركة النهروان وممن بقي منهم بعد المعركة، قضى عليهم معاوية بن أبي سفيان بعد أن استتب له أمر الخلافة، ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5، 278. البرادي: الجواهر المنتقاة، ص 146-147.

على القيام بحق الله، ولم يتركوا القيام بحق الله مخافة إراقة الدماء، ثم قال لهما: إذا كان عندكم إراقة الدماء أعظم من القيام بدين الله فلم يقتل الناس"[1].

ثم يدعو خلف من خلال رسله الى المباهلة اذا لم تقنعهم حججه في يوم الجمعة وعلى صيام فنجعل لعنة الله على الكاذبين، وانتهى أمرها الى حرب في يوم الخميس الثالث عشر من رجب سنة (211هـ/826م)[2] الى غاية القرن السادس هجري بعد أن تخلى زعيمها ولد خلف المدعو الطيب عن مبادئها ورجع الى مذهب الوهبية.

المناظرات الوهبية النفاثية:

كان من الذين تصدوا لنفاث بن نصر مهدي النفوسي(ت196هـ/811م) الذي اشتهر بمناظراته مع المعتزلة بتيهرت، ولا شك أن مناظراته مع نفاث بن نصر (ق3هـ9م) كانت ذات مستوى عالي لبراعتهما بفنون الجدل حتى ضربت بهما الأمثال، قال الدرجيني: "وذكر المشائخ أن مهديا هو أحد من صد مكائد نفاث، وقمع أن يشيع في نواحيه تلك الأحداث"[3].

كما ذكر أبو زكريا الورجلاني في سيره أنه سافر الى بغداد بعدما جد الإمام أفلح بن عبد الوهاب في طلبه، وناظر علمائها بحضرة الخليفة العباسي نفسه[4]، بعدما تناهى الى مسامعه أن الخليفة يطلب حلا لمسألة ومن يجيبه له ما سأل "وقد اجتمعت وجوه

---

[1]– أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص 133. الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص74.

[2]– أبو زكريا: المصدر نفسه، ص 133. الدرجيني: المصدر نفسه، ج1، ص76.

[3]– الدرجيني: المصدر نفسه، ج2، ص 314.

[4]– لم يتسنى تحديد اسم الخليفة العباسي الذي لقيه نفاث بن نصر بدقة، فالمصادر الإباضية تشير الى الحادثة ولكن لا تعطي إسم الخليفة، هذا من جهة ومن جهة أخرى لا تعطي هذه المصادر تاريخ دقيق لهجرته نفاث الى المشرق وتاريخ وفاته ، وهو ما يسهل ربط هذه التواريخ بفترة حكم الخلفاء العباسيين، وما يصعب من الأمر أكثر أن المصادر الإباضية تذكر أن نفاث عاصر فترة حكم الإمام أفلح بن عبد الوهاب(حكم ما بين: 208–258هـ/823–871م) وهي فترة طويلة جدا يصعب معها تحديد تاريخ تقريبي لهجرته، ولم يتسن لنا كذلك في حدود ما وقعت عليه أيدنا من مصادر أخرى ذكر الحادثة، والاحتمال الأقرب الى الصواب هو فترة حكم المأمون أو المتوكل.

بغداد وفقهاؤها وعلماؤها، فطفقوا يسألونه من العلم حتى عيوا، فلم يقدروا على شيء"[1]، وقد أجاب الخليفة على مسألته، فلما انتهت مناظراته سأله الخليفة عن حاجته، قال له نفاث: حاجتي أن تهب لي ديوان جابر بن زيد(ت93هـ/710م) أنسخه، وأجابه الخليفة الى ذلك، والغريب أنه لما عاد الى المغرب وخوفا من وصول الديوان الى خصومه(الوهبية) "انتخب موضعا فحفر له فيه ودفنه ولم يعرف موضعه الى يومنا هذا"[2].

المناظرات الوهبية الفرثية:

ناظر أبو سليمان بن يعقوب بن أفلح(حي بعد311هـ/923م) الشيخ أبا صالح جنون بن يمريان(ق04هـ/10م) في مسألة تنجيس الطعام- بعد أن وجد سليمان أثر فرث- في الطعام، فكان بينهما بعد ذلك مناكرة وتنازع وآل أمرهما الى المباهلة[3]، بعد أن تمسك كل منهما برأيه، فتوجه أبو سليمان الى "كريمة"[4]، وتوجه الشيخ أبو صالح جنون بن يمريان إلى "تيسر سرين" وأعد مصلى، فمكث أبو سليمان بعد ذلك ففضحه الله، وكلّ من تبعه على أثره أباد الله جملتهم[5]، ولم يتجاوز مذهبهم ورجلان[6].

المناظرات الوهبية السكاكية:

وواضح من مبادئ السكاكية أنها كانت تحمل بذور فنائها، وذكر الدرجيني في كتاب الطبقات أن أحد ذرية أَبَدَ الله السكاك كان نزع الى الخلاف والتشاغب في وغلانة، يُفهم من ذلك أنه كانت له مناظرات مع الوهبية، مما جعل الشيخ محمد بن بكر يخرج اليه، ويحتمل أن وهبية وغلانة عجزوا عن مجاراته في جدله معهم بعد أن جلب اليه

1- أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص142. الدرجيني: طبقات المشائخ، ج1، ص81.

2- أبو زكريا: المصدر نفسه، ص145. الدرجيني: المصدر، ج1، ص82.

3- الشماخي: السير، ج2، ص546. الدرجيني: ج1، ص107.

4- هضبة بورجلان كانت حصنا منيعا للإباضية أثناء حصارهم من طرف أبو عبيد الله الشيعي في طريق عودته من سلجماسة.

5- أبو زكريا: المصدر السابق، ص192. الدرجيني: ج1، ص108.

6- نفسه، ج1، ص119.

الاهتمام بما كان يثيره من مسائل، حتى أن أهلها تنازعوا وتدابروا، فقال له الشيخ محمد بن بكر لما علم أنه أحد أسباب الخلاف: "اعلم يا أبد الله أنه ليس واحد أفضل من جماعة غير النبيء عليه السلام، واعلم يا أَبَدَ الله أن من يتكلم وقد احتيج الى كلامه فقد ابتلي ببلية، ومن يتكلم ولم يحتج الى كلامه فقد ابتلي ببليتين"[1]. اعتبرهم الوهبية من المشركين، زال وجودهم أواخر القرن الخامس هجري[2].

مما سبق يمكن القول:

كانت المناظرات إحدى مظاهر النشاط العلمي الذي استخدمه علماء الإباضية للانتصار لمذهبهم في مجادلاتهم مع المذاهب والفرق المخالفة وأبانوا عن مقدرة في الرد على مخالفيهم من خلال المستوى العالي في التحكم في فنيات الجدل من خلال المسائل الكلامية التي كانت تتداول بين المناظرين، تدل على ذلك المصنفات التي وضعها أصحابها في هذا المجال، فكان لهم رصيد هام شأنهم شأن الفرق الأخرى في تطور الدراسات الكلامية ببلاد المغرب

ما يلفت الانتباه أن المناظرات الإباضية التي وردت في كتب السير والتراجم لم تكن منظمة ومبوبة بطريقة واضحة بل كانت متباعدة ومتناثر تخضع لنطق المؤلف، فقد ترد عند الترجمة لشخص ما، أو للحدث التاريخي، وما يلاحظ كذلك أن المناظرات الإباضية مع المعتزلة أخذت النصيب الأوفر من هذه المناظرات بالمقارنة مع الفرق المخالفة، أما مع الفرق الإباضية فكان النصيب الأوفر للنكارية.

إن المتتبع للمناظرات الكلامية التي كانت بين الإباضية وغيرهم يجد تدرجا في التعمق والتعقيد، "فتبدو في بعض الأحيان بسيطة ولا تخلو من الطرافة والأسلوب

[1]- الدرجيني: طبقات المشائخ، ج2، ص384.

[2]- تاديوس ليفتسكي، المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية، ص202.

الجدلي، والمغالطات اللفظية أحيانا"[1]، وأحيانا أخرى بالتجريح وازدراء الخصم والنيل منه.

كانت المناظرات رهينة الثنائية (الهجوم/ الدفاع) يطبعها تضخيم الأنا أكثر مما كانت فرصة للتعايش وقبول الأخر، يحركها هاجس إفحام الخصوم والانتصار عليه ولو بأساليب احتيالية.

تبين هذه المناظرات مدى تطور الدراسات الكلامية الإباضية ببلاد المغرب بداية من القرن الثالث الى السادس هجري، وأسست للتعايش السلمي تارة وتارة أخرى للانقسام والتعصب استجابة لمصالح مختلفة سياسية واقتصادية.

[1]– صالح باجي: الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى، ص44.



الخاتمة

- ساهم توافد التيارات الدينية ببلاد المغرب ونجاحها في تبيئة مشاريعها الدينية والفكرية، -خاصة وأنّها احتمت بكيانات سياسية وجهت الفكر العقدي- في تطور الفكر المغربي، من خلال الجدل الذي كان بين مختلف هذه التيارات، فهيأت العقول ونشطتها للجدل والمناظرة فيما عرض من مسائل دينية، وأسهمت بشكل كبير في انتعاش الفكر الكلامي بالغرب الإسلامي، مما انعكس ايجابا على الفكر الإباضي.

- زادت التحولات المذهبية التي شهدتها المنطقة بداية من القرن الرابع هجري في تأصيل الفكر العقدي الإباضي، وتعميقه خاصة مع الحضور الشيعي والأشعري الذي نشط الجدل الثلاثي الإباضي والمالكي والشيعي، ومع مطلع القرن الخامس هجري أصبح للإباضية بالمغرب الإسلامي رصيدا كلاميا مهما بلغوا فيه الإجتهاد والإبداع، خاصة مع أبي خزر يغلا بن زلتاف(380هـ/990م) وأبو الربيع سليمان بن يخلف المزاتي(471هـ/1079م) وتبغورين بن عيسى الملشوطي(ق6هـ/12م).

- إن الاجتهاد الكلامي الإباضي ببلاد المغرب من أوفى الاجتهادات، ومن أقواها تأصيلا وهو لا يقل شأنا في ذلك عن المعتزلة والشيعة والأشاعرة، الذين ارتبط بأسمائهم علم الكلام في المشرق والمغرب، وما خفوت هذا الاجتهاد إلا لغياب العوامل المحفزة، خاصة السياسية منها التي كانت في صالح هذه التيارات بعد زوال دولتهم، وهوما أدى الى انحصار أتباع المذهب في مناطق محدودة ببلاد المغرب، ومن ثم لم يكن للفكر الإباضي الإطار السياسي المناسب للبروز والنضج، وإن كان ذلك لا يعني القطيعة معها، بل كان الحضور الشيعي والأشعري في بلاد المغرب من أهم العوامل المؤثرة والمحفزة على الإجتهاد الكلامي الإباضي وإن تباينت الأهداف.

- إن الناظر للحراك الفكري الإباضي يجده أنه كان يسعى دائما لإثبات الذات وإحياء المذهب واستمراره، وتثبيت أركانه في نفوس الأتباع والدفاع عنه، ومن ثم كان

ردا على الخصوم أكثر منه تأسيسا نظريا، يظهر ذلك من خلال آثارهم العقدية والكلامية التي أخذ الدفاع عن النفس حيزا كبيرا منها، وذلك على حساب الانتشار والتمكين، بالمقارنة مع الكلام المعتزلي أو الأشعري هو الدفاع عن العقيدة الإسلامية وتثبيتها في النفوس والرد على شُبه المنحرفين بشكل عام، يعود ذلك في تقديرنا الى تهمة "الخوارج" التي ظلت تلاحقهم طوال تاريخهم من طرف مخالفيهم واصرارهم على ذلك رغم براءتهم منها بشكل صريح في جميع كتبهم.

- لم يخرج الاجتهاد الكلامي عند الإباضية ببلاد المغرب في محاجته الكلامية للمخالفين عن النصوص الثابتة في القرآن والسنة وأقوال العرب وأشعارهم في استدلالاتهم على مسائل العقيدة، وتوظيفهم للعقل كان مضبوطا بالنقل نفسه من خلال عقلنة الدليل النقلي، قاصدين من ذلك البساطة والوضوح حتى يسهل استيعاب الدليل، إلا أن المتأخرين منهم وضفوا أساليب الاستدلال المنطقي، فظهر منتوجهم الكلامي ممزوج بنبرة فلسفية واضحة، خاصة عند أبو يعقوب الورجلاني (ت570م/1174م) وأبو عمار عبد الكافي(ت570م/1174م).

- انعكس نظر الإباضية الى الدين نظرة عملية واقعية على صياغتهم لمقالاتهم العقدية والكلامية في مراعاتهم للبيئة المغربية الحديثة العهد بالإسلام وغلبة اللسان البربري، فكانت هذه الصياغة سهلة الفهم والإدراك للأتباع وأرسخ في عقولهم لقضايا التوحيد، تجسيدا لأهم مبادئهم "الإيمان قول وعمل". بعيدا عن ربط المعاني العقدية بتعقيدات ذهنية موغلة في التجريد والتنظير، المؤدي الى التيه في التفاصيل الذي لا يزيد الأمر إلا اختلافا وتعقيدا، من ذلك مثلا ربط مقالة التوحيد بالجزاء(الجنة والنار)، فهي أقرب للفهم والاستعجاب، لا بمقالة العدل الإلهي وما يترتب عنها من فهوم تثير شكوكا وشبهات، خاصة عند العامة نتيجتها أثار سلبية على التصور والسلوك، لأن الهدف الأول تقوية الإيمان لا معرفة التعقيدات الكلامية.

- جسد الإجتهاد الكلامي الإباضي المغاربي بخصائصه شأنه شأن بقية الاجتهادات الكلامية لأصحاب الفرق الأخرى الخصوصية المحلية التي تميزه عن غيره، وطبعوا الفكر الكلامي بطابعهم الخاص عكس بوضوح صورة الحياة الدينية والسجالات الفكرية التي كانت ببلاد المغرب الإسلامي حتى نهاية القرن السادس هجري، وهو ما يفند مقولة أن الفكر المغربي ما هو إلا اجترار لنظيره المشرقي، وإن كنا نؤمن بمقولة لا إبداع من عدم إلا أن الإبداع مرتبط دائما بظروف وبيئة جديدة.

- لقد أفرد الاباضية للجدل اهتماما خاصا بالتقعيد له واتقان فنونه باعتباره من أدوات علم الكلام، ظهر ذلك على مستوى استخدامه في مناظراتهم الكلامية فأبانوا على مقدرة كبيرة في الرد على مخالفيهم، ومستوى عالي في التحكم في فنيات الجدل من خلال عرضهم للمسائل الكلامية والاستدلال عليها في مصنفاتهم أو من خلال المناظرات المباشرة مع مخالفيهم.

- لم يكن الكلام الإباضي صورة طبق الأصل للكلام المعتزلي كما ذهب الى ذلك الكثير من الباحثين خاصة المستشرقين منهم، بسبب موافقتهم لهم في بعض أصولهم فإن المناهضة الإباضية للمعتزلة كانت واضحة في إنكار الأصلين الإعتزاليين "المنزلة بين المنزلتين" و"العدل الإلهي".

- عرفت الفترة ما بين القرن الرابع والنصف الأول من القرن الخامس الهجريين أزهى فترات الإنتاج الكلامي الإباضي، وارتقى في القرن السادس إلى أعلى درجات قوته خاصة مع أعمال أبو عمار عبد الكافي (ت570م/1174م) وأبو يعقوب الورجلاني (ت570م/1174م)، رغم ما اتسمت به هذه الفترة من اضطرابات عسكرية وسياسية لم تكن كلها في صالح اتباع المذهب الإباضي، كحروب صنهاجة، ثم قدوم قبائل بني هلال من الشرق، الموحدون من الغرب، ليعرف هذا الإنتاج الفكري تراجعا في الفترات

اللاحقة أمام تحالف المد المالكي وترسيم الفكر الأشعري وانتشار التصوف، وهو ما نلمسه من تذمر البرادي(ق8هـ/14م) والشماخي(928هـ/1522م) مما آلت إليه أحوال المذهب من انحسار مجال انتشاره وتراجع اتباعه.

- غلب على الإنتاج الكلامي الإباضي في فترة البحث الطابع التربوي التعليمي، من خلال صياغة قضايا العقيدة وعلم الكلام حسب وجهة نظر إباضية في كتب مختصرة تقرر على طلبة العلم، ويلزمون بحفظها كعقيدة العزابة مثلا، وهو ما يتناسب مع الهدف المقصود المحافظة على المذهب واستمراره، وإن كان ذلك لا يقتصر على المدرسة الإباضية وحدها فقد عرفت مدرسة الأشاعرة ببلاد المغرب نفس الإجراء التربوي.

- كان المنهج المعتمد في التأليف الكلامي عند الإباضية خاصة لما يتعلق الأمر بالجدل مع المخالف في المذهب، يعتمد طريقة الحوار الافتراضي بين الإباضي والمخالف من خلال أسئلة حقيقية أو افتراضية، بمعنى أن المؤلف يفترض سؤالا من مخالف على نحو "فإن قالوا" قلنا أو "فإن سألو" قلنا، ثم يضع الاجابة التي يعتقد أنها مقنعة وحاسمة، ثم ينتقل الى السؤال الموالي وهكذا، لدراجة أن بعض المصادر استمددت اسمها من السؤال مثل كتاب "السؤالات" لأبي عمرو عثمان بن خليفة السوفي(ت ق6هـ/12م)، وما لهذا الأسلوب من مزايا جذابة لما يحمله من التشويق تستدرج القارئ والمتعلم.

- كان منهج التأويل محل اختلاف بين مختلف التيارات الفكرية وهو ما زاد من شقة الخلاف بينها الى حد التبديع والتكفير، ولو نُظر الى المسألة من زاوية ما يسع الناس جهله لكان أسلم للعامة، أما عند الخاصة فلو نُظر الى المسألة بعين بصيرة بعيد عن التعصب واحترام الأخر والاعتراف باجتهاده وعدم القطع بخطئه، لكان الجمع والتركيب

بين الرأيين ممكننا، بتحكيم قواعد اللغة البحتة وضوابط التأويل بعيدا عن التكلف، ولكان ذلك حلا لكثير من المشكلات الكلامية، كمسألة خلق القرآن مثلا فلو نظر الى المسألة على أن القرآن له إطلاقان، الكلام النفسي القائم بذاته تعالى يطلق على ما بين دفتي المصحف من الألفاظ المركبة من الحروف والأصوات، الأول غير مخلوق والثاني مخلوق لا خف هذا الخلاف، خاصة وأن الغاية من ذلك واحدة هي التوحيد. ومكمن الخطأ في تقديرنا هو استخدام المناهج الكلامية في غير موضعها وتوظيفها سياسا واجتماعيا، وهو ما حاد عن المقصد الأساسي من علم الكلام، وقد نبه الإمام أبو حامد الغزالي(ت505هـ/1111م) الى ذلك حين شبه هذه الحالة باستعمال الدواء لغير المريض.

- لعبت حلقة العزابة دورا هاما في تاريخ الإباضية ببلاد المغرب من خلال قرأتها الصحيحة للوضع السياسي والثقافي لبلاد المغرب بعد سقوط دولة الرستميين، انطلاقا من الفلسفة السياسية للفكر الإباضي الذي أنتج حلولا عملية ممتازة للتكيف مع الظروف في جميع الأحوال، تأتى ذلك بفعل الجهد التربوي الذي كان يهدف الى بناء الانسان المؤهل لممارسة وظيفته التاريخية، بزرع بذور الثقة روح المسؤولية بين أفراد المجتمع الإباضية، حتى تبني شبكة علاقات اجتماعية متماسكة تدفع الى نشاط مشترك مستمر موجه نحو هدف المحافظة على استمرار المذهب، وكان لها ذلك ولو بشكل محدود في مناطق وارجلان وميزاب وجربة وجبل نفوسة.

- يحدونا الأمل دائما أمام هذا التراث العقدي الكلامي باعتبار أنه من الماضي تجربة حضارية رائدة نستقي منها حاجاتنا الفكرية الراهنة، ونستعين بها في تحليل وفهم واقعنا الفكري اليوم، لأجل الوحدة والتطلع نحو مستقبل أفضل، انطلاقا من قاعدة لا صناعة للمستقبل إلا انطلاقا من الماضي لا بالتقليد والاجترار والاستدلالات الجاهزة، ولا بإخضاعه لتوجهات السياسية والاجتماعية، بل بالنقد البناء القائم على الروح

العلمية، من شأن ذلك أن يفتح أبوابا نحو مستقبل واعد، نذلل به عوائق تطورنا في إطار اختلافنا المذهبي تحت راية الإسلام.

هذه إذن باختصار الملامح الرئيسة لهذه الدراسة، ولعل هذا الذي توصلنا إليه لم يفرض فيما نعتقد فرضاً، ولم تقدنا إليه فكرة سابقة مُبيتة، وإنما هدانا إليه البحث وأملاه، وكل قيمتها تكمن فيما يؤيدها من وقائع ويشهد له من نصوص.

«وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ»

« سورة هود الآية: 88 »



قائمة المصادر والمراجع

أ- المصادر

1. ابن الأثير عز الدين(630هـ/1232م): **الكامل في التاريخ**، ج3، تحقيق عبد الله أبي الفداء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987.

2. ـــــــــ: **الكامل في التاريخ**، ج4، تحقيق محمد يوسف الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987.

3. ـــــــــ: **الكامل في التاريخ**، ج8، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987.

4. الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد(ت564هـ/1160م): **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1989.

5. الأشعري أبو الحسن علي بن إسماعيل(324هـ/935م): **الإبانة عن أصول الديانة**، تحقيق بشير محمد عيون، مكتبة دار البيان، دمشق، ط1، 1990.

6. ـــــــــ: **مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين**، تحقيق نواف الجراح، دار صادر، بيروت، ط1، 2006.

7. الإيجي عضد الدين أبو الفضل عبد الرحمن(657هـ/1355م): **المواقف في علم الكلام**، عالم الكتب، بيروت، د ت.

8. البرّادي أبو القاسم بن إبراهيم(ق8هـ/14م): **الجواهر المنتقاة في إتمام ما أخل به كتب الطبقات**، طبعة حجرية، د ت.

9. ـــــــــ: **رسالة فيها تقيد كتب أصحابنا**، تحقيق عمار طالبي، ضمن كتاب الموجز.

10. البغدادي أبو منصور عبد القاهر (429هـ/1037م): **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم**، تحقيق محمد محي الدين، المكتبة العصرية، بيروت، 1995.

11. البغطوري مقرين بن محمد(599هـ/1202م): **سير مشائخ نفوسة**، تحقيق توفيق عياد الشقروني، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2009.

12. البكري أبو عبيد الله(487هـ/1094م): **المسالك والممالك**، تحقيق أندري فان ليوفن و أندري فيري، دار الغرب الإسلامي، 1992.

13. البلخي أبو القاسم(319هـ/931م): **فضل الإعتزال وطبقات المعتزلة**، تحقيق فؤاد السيد، الدار التونسية للنشر، ط2، 1986.

14. التجاني أبو محمد عبد الله بن أحمد(717هـ/1317م): الرحلة، رحلة التجاني في البلاد التونسية والقطر الطرابلسي، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1981.

15. التلاتي عمر بن رمضان أبو حفص(1187هـ/1773م): **شرح متن الديانات** لعامر بن علي الشماخي، طبعة حجرية.

16. جابر بن زيد(ت93هـ/711م): **رسائل الإمام جابر بن زيد**، تحقيق فرحات الجعبيري، مكتبة الضامري للنشر، سلطنة عمان، ط1، 2013.

17. الجرجاني علي بن محمد(816هـ/1413م): **التعريفات**، تحقيق محمد الصديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، 2004

18. الجناوني أبو زكريا يحيى(ق5هـ/11م): **الإقرار بالإيمان** (عقيدة الجناوني)، تحقيق روبيرتو روبيناتشي، ترجمة لميس الشجني، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية، سلسلة دراسات رقم8، 2007.

19. ـــــــــــ: **كتاب الوضع**، تحقيق ابراهيم اطفيش، مطبعة فجالة الجديدة، ب ط، ب ت.

20. الجيطالي إسماعيل بن موسى أبو الطاهر (ق8هـ/14م): **قناطر الخيرات**، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1983.

21. ابن حماد أبو عبد الله محمد بن علي(628هـ/1231م): **أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، تحقيق التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة للنشر، القاهرة، د ت.

22. الحميري محمد بن عبد المنعم (ت726هـ/977م): **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984.

23. أبو خزر يغلا بن زلتاف(380هـ/990م): **الرد على جميع المخالفين**، تحقيق عمرو خليفة النامي، قدم له وعلق عليه الحاج سعيد مسعود وكروم الحاج أحد، نص مرقون.

24. الخشني محمد بن الحارث (361هـ/972م): **طبقات علماء إفريقية**، تحقيق محمد زنهم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1994.

25. ابن خلدون عبد الرحمن(808هـ/1406م): **المقدمة**، تحقيق حجر عاصي، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1991.

26. ــــــــــــ: **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط المتن والحواشي والفهارس خليل شحاذة ومراجعة سهيل زكار، ط1، دار الفكر للطباعة، بيروت، لبنان ،2000.

27. ابن خلكان أبو العباس أحمد(681هـ/1282م): **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1977.

28. ابن خير أبو بكر بن محمد الأشبيلي(575هـ/1177م): **فهرسة**، تحقيق بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2009.

29. الدباغ أبو زيد عبد الرحمن الأنصاري(696هـ/1297م): **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، ج2، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور ومحمد ماضي، مكتبة الخانجي، مصر، والمكتبة العتيقة تونس، د ت.

30. ــــــــــــ: **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، ج1، تحقيق ابراهيم شبوح، مكتبة الخانجي، مصر، ط2، 1968 .

31. الدرجيني أبو العباس أحمد بن سعيد(670هـ/1271م): **طبقات المشائخ**، تحقيق ابراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، د ت.

32. ابن أبي دينار محمد أبو عبد الله بن أبي القاسم القيرواني(1111هـ/1699م): **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، منشورات دار المسيرة، لبنان، ومؤسسة سعيدان، تونس، ط3، 1993.

33. ابن رشد أبو الوليد الحفيد(595هـ/1198م): **فصل المقال في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الإتصال**، تحقيق محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط3، 2002.

34. الرقيق القيرواني(ق5هـ/11م): **تاريخ إفريقية والمغرب**، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني، القاهرة، ط1، 1994.

35. أبو زكريا يحيى بن بكر (471هـ/1078م): **سير الأئمة وأخبارهم** ، تحقيق إسماعيل العربي دار الغرب الإسلامي، ط،2، 1982.

36. ابن سلّام الإباضي(بعد283هـ/896م): **بدء الإسلام وشرائع الدين**، تحقيق ف. شفارتز وسالم بن يعقوب، النشرات الإسلامية لجمعية المستشرقين الألمانية، 1986.

37. أبو سهل يحيى بن ابراهيم بن ويجمن(ق6هـ/12م): **العقيدة في علم التوحيد**، تحقيق بيير كوبرلي، مجلة الكراسات التونسية، العدد121-122، الثلاثي الثالث والرابع، 1982، والعدد123-124 الثلاثي الأول والثاني، 1984.

38. السوفي أبو عمرو عثمان بن خليفة(ق6هـ/12م): **رسالة في فرق النكار الست وما زاغت به عن الحق وبعض الفرق الأخرى**، تحقيق عامر ونيس، نص مرقون، المكتبة البارونية، 2001.

39. الشماخي أبو العباس أحمد بن أبي عثمان(928هـ/1522م): **كتاب السير**، تحقيق محمد حسن، دار المدار، بيروت، ط1، 2009.

40. الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (548هـ/1153م): **الملل والنحل**، تحقيق صلاح الدين الهواري، مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1998.

41. ابن الصغير(ق3هـ/9م): **أخبار الأئمة الرستمين**، تحقيق محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986.

42. الضبي أحمد بن يحيى(599هـ/1203م): **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**، دار الكاتب العربي، القاهرة، 1967.

43. الطبري محمد بن جرير (310هـ/922م): **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط8، 1971.

44. عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار، قاضي القضاة (ت415هـ/1024م): **شرح الأصول الخمس**، تحقيق عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، 1996.

45. ــــــــــ: **فضل الإعتزال وطبقات المعتزلة**، الدار التونسية للنشر، 1976.

46. ابن عبد الحكم عبد الرحمن بن عبد الله(257هـ/871م): **فتوح إفريقيا والأندلس**، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ط، 1964.

47. ــــــــــ: **فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر**، الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، د ط، د ت.

48. ابن عذاري المراكشي أبو العباس أحمد بن محمد(712هـ/1312م): **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ج. س. كولان و ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط3، 1983.

49. أبو عرب محمد بن أحمد التميمي (333هـ/944م): **طبقات علماء افريقية وتونس**، تحقيق علي الشابي ونعيم حسن اليافي، الدار التونسية للنشر والتوزيع، ط2، 1985.

50. ابن عساكر علي بن الحسن الدمشقي (571هـ/1175م): **تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الإمام أبي الحسن الأشعري**، دار الفكر، دمشق، ط2، 1399هـ.

51. عماد الدين إدريس الداعي(872هـ/1464م): **تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب**، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1985.

52. أبو عمار عبد الكافي(570م/1174م): **الموجز**، تحقيق عمار طالبي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2013.

53. ــــــــــ: **سير**، تحقيق مسعود مزهودي، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، 1996.

54. عمروس بن فتح المساكني(283هـ/896م): **أصول الدينونة الصافية**، تحقيق حاج أحمد بن حمو كروم، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، ط1، 1999.

55. عياض بن موسى اليحصبي أبو الفضل القاضي (544هـ/1149م): **تراجم أغلبية**، تحقيق محمد الطالبي، نشر الجامعة التونسية، 1968.

56. ـــــــــــ: **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998.

57. الغزالي أبو حامد محمد بن محمد(505هـ/1111م): **إحياء علوم الدين**، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2005.

58. ـــــــــــ: **المنقذ من الضلال والموصل الى ذي العزة والجلال**، تحقيق محمد أبو ليلة ونور شريف رفعت، نشر جمعية البحث في القيم والفلسفة، واشنطن، د ت.

59. الفارابي أبو نصر(339هـ/950م): **إحصاء العلوم**، تحقيق عثمان أمين، مكتبة أنجلو، القاهرة، ط3، 1968.

60. ابن فرحون برهان الدين إبراهيم بن علي (799هـ/1397م): **الديباج الذهب في معرفة أعيان المذهب**، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث العربي، القاهرة، د ط، د ت.

61. المالكي أبو بكر عبد الله(449هـ/1057م): **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأخبارهم وأوصافهم**، تحقيق بشير بكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1994.

62. مجهول: **كتاب المعلقات في أخبار وروايات أهل الدعوة**، تحقيق الحاج سليمان بن إبراهيم با بزيز، نشر وزارة التراث والثقافة سلطنة عمان، ط1، 2009.

63. المرتضي أحمد بن يحيى(840هـ/1437م): **طبقات المعتزلة**، تحقيق سوسنة ديفلد، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1961.

64. المزاتي أبو الربيع سليمان بن يخلف(471هـ/1079م): **التحف المخزونة في إجماع الأصول الشرعية**، تحقيق حمزة بومعقل، دار الخلدونية، القبة، ط1، 2017.

65. ـــــــــــ: **التحف المخزونة في إجماع الأصول الشرعية**، تحقيق محمود الأندلسي والمبروك المنصوري، 2009.

66. ـــــــــ: **كتاب السير**، تحقيق حاج سعيد مسعود، ط1، 1991.

67. المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين(346هـ/956م): **مروج الذهب ومعادن الجواهر**، موفم للنشر، 1999.

68. المقري محمد بن أحمد(1041هـ/1631م): **النفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968.

69. المقريزي تقي الدين أحمد بن علي(845هـ/1442م): **اتعاض الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، ج1، تحقيق جمال الدين الشيال، مؤسسة الأهرام، القاهرة، ط2، 1996.

70. الملشوطي تبغورين ين عيسى (ق6هـ/12م): **أصول الدين**، تحقيق ونيس عامر، مكتبة الجيل الواعد، مسقط، سلطنة عمان، ط1، 2005.

71. ـــــــــ: **كتاب الأدلة والبيان**: تحقيق سليمان بابزيز، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط1، 2009.

72. الملطي ابن عبد الرحمن: **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع**، تحقيق محمد زنهم ومحمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1993.

73. ابن نديم محمد بن اسحاق أبو الفرج (ت385هـ/995م): **الفهرست**، دار المعرفة، بيروت، د ط، د ت.

74. النعمان بن محمد التميمي القاضي المغربي(363هـ/973م)ـــــــــ: **آداب اتباع الأئمة**، تحقيق مصطفى غالب، مكتبة الهلال، بيروت، 1985.

75. النعمان بن محمد التميمي القاضي المغربي(363هـ/973م): **افتتاح الدعوة**، تحقيق، فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط2، 1986.

76. ـــــــــ: **المجالس والمسايرات**، تحقيق الحبيب الفقي وإبراهيم شبوخ، دار لمنتظر، بيروت، لبنان، ط1، 1996.

77. ـــــــــ: **اختلاف أصول المذاهب**، تحقيق مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، ط3، 1983.

78. النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(733هـ/1333م): **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق عبد المجيد ترحبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004.

79. هود بن محكم الهواري(حوالي280هـ/893م): **تفسير كتاب الله العزيز**، تحقيق بالحاج بن سعيد شريفي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1990.

80. الوزان الحسن بن محمد(ت960هـ/1552م): **وصف افريقيا**، بيروت، دار الغرب الإسلامي،1983.

81. الوسياني أبو الربيع سليمان بن عبد السلام(ق6هـ/12م): **كتاب السير**، تحقيق عمر بوعصبانة، نشر وزارة التراث والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، ط1، 2009.

82. الونشريسي أحمد بن يحيى(914هـ/1508م): **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقية والأندلس والمغرب**، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981.

83. ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله(626هـ/1229م): **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1977.

84. أبو يعقوب يوسف بن ابراهيم الورجلاني(570م/1174م): **الدليل والبرهان**، تحقيق سالم بن حمد الحارثي، وزارة التراث والثقافة، مسقط، سلطنة عمان، ط2، 2006.

85. ــــــــــ: **العدل والإنصاف في معرفة أصول الفقه والإختلاف**، دار نوبار، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1984.

86. اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب إسحاق(284هـ/897م): **البلدان**، وضع حواشيه محمد أمين ضنّاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت.

ب – المراجع:

1. إبراهيم التهامي: **جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة**، دار الرسالة، الجزائر، ط1، 2002.

2. ــــــــــ: **الأشعرية في المغرب**، دار قرطبة، ط1، 2006.

3. إبراهيم القادري بوتشيش: **حلقات مفقودة من تاريخ الحضارة في الغرب الإسلامي**، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2006.

4. ـــــــــــ: **التواصل الحضاري بين عمان وبلاد المغرب**، منشورات جامعة السلطان قابوس، ط1، مسقط، سلطنة عمان، 2000.

5. إبراهيم بحاز وآخرون: **معجم مصطلحات الإباضية**، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط1، 2008.

6. إبراهيم بحاز: **الدولة الرستمية- دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية-** نشر جمعية التراث، ط2، 1993.

7. أحمد أمين: **فجر الإسلام**، موفم للنشر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، 1994.

8. ـــــــــــ: **ظهر الإسلام**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004.

9. أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، المطبعة العربية، الجزائر، 1350هـ.

10. اطفيش امحمد بن يوسف: **شرح عقيدة التوحيد**، تحقيق مصطفى وينتن، نشر جمعية التراث، غرداية، ط1، 2001.

11. الباروني سليمان بن عبد الله باشا: **الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية**، تحقيق أحمد كروم وآخرون، ط3، دار البعث، قسنطينة، 2002.

12. بكير بن بلحاج وعلي: **الإمامة عند الإباضية بين النظرية والتطبيق** ـ مقارنة مع أهل السنة والجماعة، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، 2010.

13. بكير بن سعيد أغشت: **دراسات إسلامية في أصول الإباضية**، مكتبة وهبة، ط2، 1988.

14. بورويبة رشيد: **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**، الطباعة الشعبية للجيش،الجزائر،2007.

15. بيير كوبرلي: **مدخل الى دراسة الإباضية وعقيدتها**، ترجمة عمّار الجلاصي، مكتبة الضامري للنشر، سلطنة عمان، ط1، 2010.

16. تادايوش ليفتسكي: **المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية**، ترجمة ماهر الجرار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000.

17. ـــــــــ: **دراسات شمال افريقيا**، ترجمة أحمد بومزقو، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية، ج1، 2005.

18. ـــــــــ: **مقالات مختارة ضمن دراسات استشراقيه في المذهب الإباضي لتاديوش ليفتسكي**، ترجمة عبد الله زارو، بيت الغشام، مسقط، سلطنة عمان، ط1، 2014.

19. ـــــــــ: **تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم**، ترجمة عبد الله زارو، منشورات مؤسسة تاولت الثقافية، 2006.

20. جميل صليبا: **المعجم الفلسفي**، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، د ط، 1994.

21. جودت عبد الكريم يوسف: **العلاقات الخارجية للدولة الرستمية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

22. ـــــــــ: **الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين**، دوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1992.

23. جوزف فان أس: **علم الكلام والمجتمع في القرنين الثاني والثالث للهجرة**، ترجمة محي الدين جمال بدر ورضا حامد قطب، منشورات الجمل، بيروت، ط1، 2016.

24. جولد تسيهر: **العقيدة والشريعة في الإسلام**، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون، دار الكتب الحديثة، مصر، ط2، ب ت.

25. حسن إبراهيم حسن: **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، دار الجيل، بيروت، ط14 ، 1996.

26. حسن حسني عبد الوهاب: **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية**، مكتبة المنار، تونس، 1972.

27. حنا الفاخوري وخليل الجر: **تاريخ الفلسفة العربية**، دار الجيل، بيروت، ط2، 1994.

28. خضير بن بكير بابا واعمر: **الإمام اسماعيل الجيطالي وفكره العقدي**، المطبعة العربية، نشر جمعية التراث، غرداية، ط1، 2009.

29. دليلة خبزي: **الآراء الكلامية لأبي يعقوب الورجلاني**، مكتبة مسقط، سلطنة عمان، ط1، 2009.

30. روبيرتو روبيانشي: **العزابة حلقة الشيخ محمد بن بكر**- وثيقة قديمة عن حياة نُسّاك الصوامع في الإسلام - ترجمة لميس الشيخي، منشورات مؤسسة تاوالت الثقافية. نسخة الكترونية، 2006.

31. زهير تغلات: **الفكر السياسي الإباضي**، الدار التونسية للكتاب، تونس،2014.

32. ـــــــــــ: **الفكر الإباضي التجليات السياسية والحضارية**، دار الحوار، سورية، ط1، 2016.

33. السالمي أبو محمد عبد الله بن حميد: **مشارق أنوار العقول**، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط1، 1989.

34. سعد زغلول عبد الحميد: **تاريخ المغرب العربي**، منشأة المعارف، الإسكندرية، د ط، 1993.

35. سميح دُغيم: **موسوعة مصطلحات علم الكلام الإسلامي**، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1998.

36. السيد محمد أبو العزم داود: **الأثر السياسي والحضاري للمالكية في شمال إفريقيا حتى قيام دولة المرابطين**، المكتبة الفيصلية، مكة، 1405هـ.

37. سيف بن سالم الهادي: **الإباضية والمالكية في الغرب الإسلامي**، منشورات موقع بصيرة، ط1، 2015.

38. شكيب الطبلبي: **مدخل مناهجي الى علم الكلام**، دار المتوسط الجديدة، تونس، ط2، 2012.

39. صاح بن أحمد الصوافي: **الإمام جابر بن زيد العماني وآثاره في الدعوة**، وزارة التراث القومي، سلطنة عمان.

40. صالح باجي: **الإباضية بالجريد في العصور الإسلامية الأولى**، دار بوسلامة للنشر والتوزيع، ط1، 1976.

41. عادل النويهض: **معجم أعلام الجزائر**، مؤسسة نويهض للثقافة، بيروت، ط3، 1983.

42. عبد الحليم عويس: **دولة بني حماد**، دار الصحوة والوفاء، د ت.

43. عبد الحميد درويش: **الإمامة والتقية عند مفكري الإباضية**، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2007.

44. عبد الرحمن بدوي: **التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية مقال: نيلنو الصلة بين مذهب المعتزلة ومذهب الإباضية المقيمين في إفريقيا الشمالية**، القاهرة، دار النهضة العربية، ط3، 1965.

45. عبد الرحمن عثمان حجازي: **تطور الفكر التربوي في الشمال الإفريقي**، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2000.

46. عبد العزيز المجذوب: **الصراع المذهبي في إفريقية الى قيام الدولة الزيرية**، الدار التونسية للنشر، 1975.

47. عبد المجيد الصغير: **الفكر الأصولي وإشكالية السلطة في الإسلام**، دار المنتخب العربي، بيروت، ط1، 1994.

48. عبد المجيد النجار: **المهدي بن تومرت حياته وآراؤه وثورته الفكرية والإجتماعية وأثره بالمغرب**، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1983.

49. عبد المجيد بن حمدة: **المدارس الكلامية بإفريقية الى ظهور الأشعرية**، مطبعة دار العرب، تونس، ط1، 1986.

50. عدون جهلان: **الفكر السياسي عند الإباضية**، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، ط3، 2010.

51. علاوة عمارة: **دراسات في التاريخ الوسيط للجزائر والغرب الإسلامي**، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 2008.

52. علي الشابي: **مباحث في علم الكلام والفلسفة**، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2002.

53. علي سامي النشار: **نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام**، دار المعارف، القاهرة، ط8، 1996.

54. علي يحيى معمر: **الإباضية في موكب التاريخ**، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، ط3، 2008.

55. ـــــــــــ: **الإباضية بين الفرق الإسلامية**، نشر جمعية التراث، المطبعة العربية غرداية، ط3، 2003.

56. عمار طالبي: **آراء الخوارج الكلامية**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، الرغاية، 2013.

57. عمر الجيدي: **مباحث في المذهب المالكي بالمغرب**، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 1993.

58. عمر بوعصبانة: **معالم الحضارة الإسلامية بورجلان**، دار نزهة الألباب، غرداية، ط2، 2013.

59. عمرو خليفة النامي: **دراسات عن الإباضية**، ترجمة مخائيل خوري، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2002.

60. عوض محمد خليفات: **نشأة الحركة الإباضية**، دار الحكمة، لندن، ط2، 2013

61. ـــــــــــ: **الأصول التاريخية للفرقة الإباضية**، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط3، 1994.

62. فرحات الجعبيري: **التجربة السياسية عند الإباضية**، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، ط1، 2015.

63. ـــــــــــ: **نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة**، بدون دار نشر، ط2، 2016.

64. ـــــــــــ: **البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية**، نشر جمعية التراث غرداية،1987.

65. فرحات الدشراوي: **الخلافة الفاطمية بالمغرب**، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1994.

66. الفرد بل: **الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1987.

67. لطيفة البكاي: **قراءة في رسالة ابن إباض**، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2002.

68. ـــــــــــ: **حركة الخوارج نشأتها وتطورها الى نهاية العهد الأموي**، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2001.

69. مالك بن نبي: **شروط النهضة**، ترجمة عمر كمال مسقاوي وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط4، 1987.

70. مبارك بن عبد الله الراشدي: **الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي وفقهه**، مطابع الوفاء، المنصورة ط1، 1993.

71. المبروك المنصوري: **الفكر التشريعي وأسس استمرار الإسلام**، الدار المتوسطية للنشر، تونس، ط1، 2011.

72. ـــــــــــ: **الفكر العقدي وأسس السيادة في الإسلام**، الدار المتوسطية للنشر، تونس، ط1، 2011.

73. ـــــــــــ: **الفكر الإسلامي في بلاد المغرب الإسلامي تشكله وتطوره وانتشاره**، الدار المتوسطية للنشر، تونس، ط1، 2011.

74. مجموعة من الباحثين: **معجم مصطلحات الإباضية**، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط1، 2008.

75. محمد أبو زهرة: **تاريخ المذاهب الإسلامية**، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، 2009.

76. محمد الشرحبيلي: **تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية عصر المرابطين**، مطبعة فضالة، المملكة المغربية، 2000.

77. محمد الطالبي: **الدولة الأغلبية**، ترجمة المنجي الصيّادي وحمّادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1995.

78. ـــــــــــ: **الصراع اللاهوتي في القيروان أيام الأغالبة لمحمد الطالبي**، منشورات سوتيميديا، تونس،ط1، 2017.

79. محمد آيت حمو: **فضاءات الفكر في الغرب الإسلامي**، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2011.

80. محمد بابا عمي وآخرون: **معجم أعلام الإباضية**، قسم المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 2000.

81. محمد بن حسن: **القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط**، دار الرياح الأربع، تونس، ط1، 1986.

82. محمد بن عميرة: **دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

83. محمد ضيف الله: **نوافذ على تاريخ نفزاوة**، المغاربية للطباعة، تونس، 2008.

84. محمد عابد الجابري: **نحن والتراث**، مركز دراسات الوحدة العربي، بيروت، ط1، 2006.

85. محمد عبد الفتاح عليان: **نشأة الحركة الإباضية بالبصرة**، دار الهداية، ط1، 1994.

86. محمد عبد الله عنان: **عصر المرابطين والموحدين**، القسم الثاني، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1990.

87. محمد علي دبوز: **تاريخ المغرب الكبير**، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2013.

88. محمد مسعود جبران: **علي بن زياد الطرابلسي ودوره في نشر المذهب المالكي في القرن الثاني للهجرة**، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا، ط1، 2010.

89. محمد ناصر بوحجام: **التواصل الثقافي بين عمان والجزائر**، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، ط1، 2003.

90. محمد ناصر وسلطان بن مبارك الشيباني: **معجم أعلام الإباضية، قسم المشرق**، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2006.

91. محمود إسماعيل: **سوسيولوجيا الفكر الإسلامي ـ طور التكوين ـ**، سينا للنشر، ط4، 2000.

92. محمود اسماعيل عبد الرزاق: **الخوارج في بلاد المغرب**، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 1985.

93. محمود اسماعيل: **الأدارسة حقائق جديدة**، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1991.

94. مسعود مزهودي: **جبل نفوسة في العصر الإسلامي الوسيط**، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، سلطنة عمان، ط1، 2010.

95. مصطفى الشكعة: **إسلام بلا مذاهب**، نشر الدار المصرية اللبنانية، ط11، 1996.

96. مصطفى بن دريسو: **الفكر العقدي عند الإباضية حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، عمان، 2013.

97. مصطفى بن صالح باجو: **أبو يعقوب الورجلاني أصوليا**، بدون دار نشر ولا مكان النشر، ط2، 2007.

98. مصطفى عبد الرزاق، **تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية**، دار الكتاب المصري، القاهرة، د ط، 2001.

99. ممدوح حسين: **افريقية في عصر إبراهيم الثاني الأغلبي**، دار عمار للنشر، عمان، ط1، 1997.

100. المنصف قوجة: **تاريخ الإباضية الديني والسياسي**، الدار التونسية للكتاب، تونس، ط1، 2014.

101. موسى لقبال: **دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها الى منتصف القرن الخامس هجري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

102. مؤلف جماعي: **الاتجاهات الكلامية بالغرب الإسلامي**، تنسيق علي الإدريسي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم118، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2005،1

103. مؤلف جماعي: **الصراع المذهبي ببلاد المغرب**، تنسيق حسن حافظي علوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم157، الدار البيضاء، 2008.

104. مؤلف جماعي: **المذاهب الإسلامية ببلاد المغرب من التعدد الى الوحدة**، تنسيق حافظ علوي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سلسلة ندوات ومناظرات رقم145، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2008.

105. مؤلف جماعي: **جهود علماء المغاربة في خدمة المذهب الأشعري**، كلية أصول الدين بتطوان، تنسيق مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات والبحوث العقدية، الرابطة المحمدية للعلماء، نشر دار أبي الرقراق، الرباط، ط1، 2012.

106. مؤلف جماعي: **من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي**، تنسيق بوبة مجاني، منشورات مخبر البحوث والدراسات في حضارة المغرب الإسلامي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع،، قسنطينة، ط 1 ، 2007.

107. ناصر بن سالم البهلاني: **العقيدة الوهبية**، تحقيق صالح القنوبي وعبد الله القنوبي، مكتبة مسقط، عمان، ط5، 2004.

108. نجم الدين الهنتاتي: **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي**، تبر الزمان، تونس،2004.

109. هادي روجي ادريس: **الدولة الصنهاجية**، ترجمة حمادي الساحلي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1992.

110. يحيى بن بهون: **رحلة الورجلاني**، بدون دار نشر، ط1، 2006.

111. يحيى هويدي: **تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية**، مكتبة النهضة المصر، 1965.

112. يوسف احنانة: **تطور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2003.

113. يوليوس فلهوزن: **أحزاب المعارضة السياسية في الدينية في صدر الإسلام الخوارج والشيعة**، ترجمة عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ط3، 1978.

ج- المقالات والدوريات:

1. إبراهيم بحاز: الميزابيون المعتزلة(قراءة جديدة لنصوص قديمة)، مجلة الحياة، ، نشر جمعية التراث، غرداية، العدد01، جانفي1998.

2. ـــــــــــ: مشوهات الإباضية(نظرة من الداخل والخارج)، مجلة الحياة، ، نشر جمعية التراث، غرداية، العدد05، ديسمبر 2001

3. ـــــــــــ: شروط الإمامة عند الرستمين، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة غرداية، العدد 19، 2013

4. إبراهيم فرغل محمد: الخلفية وحركتهم الانفصالية في طرابلس الغرب وجبل نفوسة(196-294هـ/811-907م)، مجلة المؤرخ العربي، العدد19، أكتوبر 2011.

5. أحمد الإسماعيلي: النص والأرض وجدليات العلائق- علم الكلام الإباضي نموذجا- مجلة التفاهم، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان. العدد40، ربيع 2013.

6. البشير المجذوب: القصص النفساني عند الجاحظ، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد12، 1975.

7. ثياقة الصديق: الممارسات الاحتفالية "الزيارات لدى مجتمعات القصور بالجنوب الغربي الجزائري"، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد12 دسمبر 2017.

8. الحبيب الجنحاني: لمحة عن الحياة الفكرية في المجتمع القيرواني القديم، مجلة الفكر، تونس، العدد06، مارس1966.

9. حسين بوبيدي: بلاد المغرب الإسلامي بين التعايش والصراع المذهبي-قراءة في الاستغلال السياسي والتأثير العقدي والفقهي- مجلة الآداب والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، المجلد11، العدد01، 2018.

10. رمضان بن رمضان: مدرسة الإعتزال في القيروان ما بين القرن(2هـ/8م) الى القرن (3هـ/9م) من الظهور الى الأفول، مجلة الحياة الثقافية، تونس، العدد 201، مارس 2009.

11. زهير تغلات: فرق الإباضية بين مخطوط "رسالة الفرق" وبعض أهم مؤلفات الإباضية، مجلة الكوفة، العدد7، 2014.

12. عبد الحميد زيدور: العريف ودوره التعليمي والتربوي في النظام التعليمي عند إباضية المغرب الأوسط، مجلة الناصرية، جامعة معسكر، العدد04، 2013.

13. عبد القادر خليفي: الرحلات بين المشرق والمغرب وقيمتها التاريخية، مجلة المواقف، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، منشورات جامعة معسكر، العدد04، ديسمبر 2009.

14. علاوة عمارة: انتشار المذهب المالكي ببلاد المغرب الأوسط قراءة سوسيولوجية، مجلة آفاق الثقافة والتراث، نشر جمعية الماجد للثقافة والتراث، العدد56، جانفي 2007.

15. ــــــــــــ: الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، العدد10، جانفي 2009

16. ــــــــــــ: قراءة وعرض في كتاب المغامرة الإباضية في الجنوب التونسي ل فرجيني بريفو Virginie Prévost(باحثة بلجيكية معاصرة مهتمة بالتاريخ الإباضي)، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، العدد12، 2011.

17. ــــــــــــ: "بين جبل الأوراس والواحات: ظهور وانتشار وإختفاء الجماعات الإباضية بالزاب (ق2-3هـ/8-9م)"، ترجمة عبد القادر مباركية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الشهيد حمة لخضر، الوادي، الجزائر، العدد09، جانفي2017

18. عمر خليفة النامي: ملامح الحركة العلمية بورجلان ونواحيها منذ انتهاء الدولة الرستمية حتى أواخر القرن السادس هجري، مجلة الأصالة، وزارة الشؤون الدينية، العدد.42، 1977.

19. عوض خليفات: دراسات في النظم والعقائد الإباضية- المقالة الأولى نظام الولاية والبراءة والوقوف-، مجلة المؤرخ العربي، الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، العدد17، 1981.

20. فرحات الجعبيري، مقارنة بين كتاب الوضع مختصر في الأصول والفقه لأبي زكريا الجناوني وكتاب مختصر الخصال لأبي إسحاق الحضرمي(ق5هـ/11م)، ضمن أعمال ندوة

تطور العلوم الفقهية–التأليف الموسوعي والفقه المقارن–المنعقدة سنة 2005، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط3، 2012.

21. فريد بن سليمان: السلطة والمجتمع بإفريقية في القرن الثالث والرابع هجريين، مجلة معهد الآداب العربية، العدد173، سبتمبر1994.

22. محمد الشيخ: علم الكلام الإباضي بشمال إفريقيا– نموذجان: أبو عمار عبد الكافي وأبو يعقوب الورجلاني، مجلة التفاهم، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، سلطنة عمان، العدد40، ربيع 2013.

23. محمد بن معمر: المعتزلة في المغرب الأوسط بين السجال الفكري والمواجهة العسكرية، مجلة العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، العدد11، ديسمبر 2016.

24. محمد ضيف الله: أضواء على موقع أثري بالجنوب التونسي، قلعة درجين ورجالها، مجلة الحياة الثقافية، العدد213، ماي2010.

25. محمد نصير: دور الباقلاني في تلقين الأسانيد الأشعرية ببلاد المغرب، مقال ضمن أعمال الملتقى الدولي الأول حول الفكر الأشعري بالمغرب خلال مرحلتي التأسيس والترسيم، تيطوان، تنسيق جمال علال البختي، الرابطة المحمدية للعلماء، نشر دار الأمان، الرباط، مارس 2014.

26. مسلم بن ساعد الوهبي: آراء الإمام محمد بن محبوب الكلامية، ضمن أعمال ندوة التدوين الفقهي ـ الإمام محمد بن محبوب نموذجاـ تنسيق سلطان بن سعيد الهنائي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، ط4، 2012.

27. مصطفى بن محمد شريفي: عقيدة في معرفة التوحيد والفرائض لأبي سهل يحيى بن ابراهيم الورجلاني(ق06هـ/12م)، مجلة الحياة، ، نشر جمعية التراث، غرداية، العدد01، جانفي1998.

28. مهنا بن راشد السعدي: "كتاب دعائم الإسلام" لابن النظر العماني وشروحه، محاضرة ضمن الأيام الدراسية العلمية من الشيخ عمي سعيد الجربي(ت927هـ/1521م) الى الشيخ حمو بن موسى عمي السعيد(ت1425هـ/2005م)، نشر مؤسسة عمي سعيد، غرداية، ب ت.

29. موسى لقبال: الحلف بين أهل السنة والنكارية في القرن(4هـ/10م) وأثره في تطور أوضاع مدن إفريقية والزاب والحضنة والأوراس، مجلة الأصالة، العدد60، أوت، الجزائر 1978.

30. ــــــــــــ: من قضايا التاريخ الرستمي الكبرى، مكتبة المعصومة بتاهرت، هل أحرقت؟ أو نقلت عيونها الى سدراتة في جوار ورجلان؟ مجلة الأصالة، العدد41، جانفي، الجزائر 1977.

31. نجم الدين الهنتاتي: الصراع المذهبي بالقيروان وتفاعله مع واقعها الإقتصادي والاجتماعي والعمراني الى منتصف القرن(5هـ)، حوليات الجامعة التونسية، العدد44، 2000.

32. نوري نور الدين: أرباض واحة نفطة خلال العصر الوسيط، مجلة الحوار المتوسطي، مجلد 12، العدد13، ديسمبر 2017.

د- الأطروحات الجامعية:

1. بابا واعمر خضير بن بكير: الفكر العقدي الإباضي بالمغرب من بداية القرن الرابع هجري العاشر ميلادي الى نهاية القرن السادس هجري الثاني عشر ميلادي، رسالة دكتوراه، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، (2018/2017).

2. شعباني صلاح الدين: التربية والتعليم عند الإباضية بالمغرب الإسلامي، رسالة ماجستير، معهد التاريخ، جامعةالجزائر، (2004/2003).

3. عبد القادر بوعقادة: الحركة الفقهية في المغرب الأوسط بين القرنين7و9هـ/13و15م، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله، (2015/2014).

4. عدون جهلان، الفكر السياسي عن الإباضية من خلال أراء الشيخ امحمد بن يوسف أطفيش، رسالة ماجيستر في الفلسفة، جامعة الجزائر، (1986-1987).

5. فوزي صخراوي: آراء عبد الله بن يزيد الفزاري الكلامية، رسالة ماجيستر في الحضارة، نسخة مرقونة، كلية العلو الإنسانية والإجتماعية، جامعة تونس، (2009/2008).

6. قادة سبع: الصراع المذهبي العقدي بالغرب الإسلامي، أسسه، مجالاته وانعكاساته، أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة وهران، 2015/2014.

7. مصطفى شريفي: الأسماء والأحكام عند الإباضية، رسالة دكتوراه في العقيدة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، (2014/2013).

8. ونيس بن عامر: الشيخ أبي عمار عبد الكافي- كتاب شرح(الرد على) الجهالات- دراسة وتحقيق، رسالة دكتوراه، كلية الزيتونة للشريعة وأصول الدين، الجامعة التونسية، (1985).

9. ونيس عامر: أبو يزيد مخلد بن كيداد ثورته وآراؤه، جامعة الزيتونة، المعهد الأعلى لأصول الدين، (1991).

و- المراجع الأجنبية:

1- Alloua Amara: communautés oasiennes et tradition manuscrite Arabe, L'exemple Des collections Privées Des oued Saïd Au Gourara (Algérie). Un article dans un livre.Les non-dits du nom Onomastique et documents en terres d'Islam, Sous la direction de Christian muller et Muriel roiland-rouabah, Institut français du Proche Orient, Presses de l ifpo,(2013).

2- Alloua Amara: La structuration des ibadites-wahbites au Maghreb (xie-xve siècle) ,annales islamologiques, Institut français d archéologie orientale, 42 ,(2008).

3- Nejmeddine Hentati: Les juristes malikites en Occident musulman entre soumission et révolte (n e-ixe/v iiie-xve siècle), islamic law and society, 21 (2014).

4- PREVOST Virginie: "La révolte de Bagaya (358/969) le dernier soulèvement des ibadites maghrébins", Journal of Near Eastern Studies 65, (2006).

5- PREVOST Virginie: Abd al-Rahman ibn Rustum al-Farisi, Une tentative de biographie du premier imam de Tahart, Un article dans un livre, der islam, zeitschrift fur geschichte und kultur des islamischen orients, herausgeber Benjamin Jokisch ,BAND 86 heft 1, (2009).

6- PREVOST Virginie: Ilfalisme et sufrisme dans le Maghreb central, Un article dans un livre, histoire generale de l'algerie L'Algérie médiévale, Sous la direction de houari Touati, ministère de la Culture, Algerie.(2012).

7- PREVOST Virginie: Mağmāğ et les sept savants, la création du Dīwān al-'azzāba, Acta Orientalia, Printed in India,(2012).

8- Prevost Virginie: La révolte de Bagaya (358/969), le dernier soulèvement des ibadites maghrébins, Journal of Near Eastern Studies 65, (2006).

9- Tadeusz Lewicki: les subdivisions de l'ibadiyya, Studia Islamica, No. 9, Maisonneuve & Larose, (1958).

10- Wilferd Madelung: the authenticity of the letter of abd allah b. ibad to abd al malik, Revue des mondes musulmans et de la mediteranee, 132, decembre,(2012).

الفهارس:

- ✓ فهرس الآيات القرآنية.
- ✓ فهرس الأعلام.
- ✓ فهرس المذاهب والفرق والديانات.
- ✓ فهرس القبائل والبلدان.
- ✓ فهرس الكتب الواردة في المتن.
- ✓ فهرس المحتويات.

فهرس الآيات القرآنية:

﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ﴾	سورة الأنبياء: الآية2	139
﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	سورة الزخرف: الآية3	139
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾	سورة القدر: الآية 1.	140
﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾	سورة آل عمران: الآية 03	140
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾	سورة القيامة: الآية22-23.	143-238
﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾	سورة المطففين: الآية 15	143
﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾	سورة ياسين: الآية49	143
﴿فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾	سورة هود: الآية.46	144
﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾	سورة الزمر: الآية .62	147
﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	سورة التكوير: الآية 29.	147
﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾	سورة غافر: الآية31	148
﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾	سورة النحل: الآية118	148
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾	سورة الرعد: الآية 31.	151
﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾	سورة ق: الآية 28-.29	151
﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾	سورة البقرة: الآية .80	151
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	سورة التغابن: الآية .2	153
﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾	سورة الإنسان: الآية 3.	153

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾	سورة السجدة: الآية20	154
﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾	سورة الأحزاب: الآية .73	154
﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾	سورة غافر: الآية .06	155
﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾	سورة عبسى: الآية 38–42	155
﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾	سورة آل عمران: الآية .110	157
﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾	سورة آل عمران: الآية.28	161
﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾	سورة التوبة : الآية114	161
﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾	سورة طه: الآية 13-.14	238
﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾	سورة الطلاق: الآية 4	241
﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾	سورة يونس، الآية:2	242
﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾	سورة السجدة: الآية 18	246
﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾	سورة الأنفال: الآية 48	261
﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾	سورة القلم: الآية 33	264

فهرس الأعلام:

فهرس الفرق والمذاهب والديانات:

المعتزلة	52. 55. 60. 71. 74. 75. 76. 79. 80. 81. 82. 83. 87. 88. 92. 100. 101. 123. 125. 127. 132. 133. 136. 138. 145. 147. 149. 150. 152. 153. 159. 167. 196. 197. 198. 210. 219. 220. 223. 239. 245. 247. 248. 249. 250. 251. 252. 254. 256. 279. 281. 284.
النفاثية	116. 166. 273. 279.
النكارية	63. 101. 111. 118. 163. 164. 166. 176. 179. 180. 192. 193. 259. 268. 271. 272. 273. 274. 275. 276. 277. 281.
الوهبية	79. 80. 107. 121. 122. 163. 166. 179. 180. 186. 192. 193. 194. 221. 237. 244. 259. 271. 272. 273. 274. 275. 277. 279. 280. 281.
اليهودية	101. 151. 243.

فهرس القبائل والبلدان والأماكن:

فهرس الكتب الواردة في المتن:

مختصر محمد بن محبوب	محمد بن محبوب	65
المدونة	أبو غانم الخرساني	64
مرآة الناظرين في أصول تبغورين	عمرو بن رمضان التلاتي	.217
مسائل التوحيد مما لا يسع الناس جهله	أحمد بن محمد بن بكر	.214
المستصفى من علم الأصول	أبو حامد الغزالي	70
المسند	الربيع بن حبيب	69
المعيار المعرب عن فتاوي أهل افريقية والأندلس والمغرب	أحمد بن يحيى الونشريسي	.234
الموجز في تحصيل السؤال وتلخيص المقال في الرد على أهل الخلاف	أبو عمار عبد الكافي	219
الموطأ	مالك بن أنس	70

فهرس المحتويات

الملخص:

إن الغرض من هذه الدراسة هو تسليط الضوء على جهود علماء الإباضية ببلاد المغرب الإسلامي في الميدان الفكري وأهم ما خلفوه من إرث حضاري، وإظهار قيمته الثقافية التي ساهموا بها في إثراء الحياة الفكرية ببلاد المغرب الإسلامي، وذلك من خلال عرض اجتهاداتهم العقدية والكلامية المستمدة من المصادر الإباضية وغير الإباضية، وإن كانت هذه الدراسة معنية بالإباضية في المغرب الإسلامي من حيث المنطقة، إلا أنه كان لا بد لنا من أن ندرس أصول الحركة الإباضية ومؤسسيها الأوائل في البصرة، وصلتها بالأحداث الأولى للتاريخ الإسلامي، وتأثير ذلك على الاجتهاد الكلامي الإباضي المغاربي. ونهدف أيضا إلى تقديم نظرة واضحة لتطور الفكر الإباضي ببلاد المغرب الإسلامي في الفترة ما بين سقوط الدولة الرستمية(296ه/ 909م) الى نهاية القرن السادس هجري؛ مراحله وأعلامه وخصوصياته، إذ عرفت هذه الفترة تحولات مذهبية مهمة (الحضور الشيعي ثم الأشعري)، وهو مؤشر على حدة الصراع المذهبي ببلاد المغرب، مما زاد من تأصيل الفكر العقدي الإباضي وتعميقه؛ مبرزين نقاط الاتفاق والاختلاف مع التيارات الفكرية التي انشقت عنه والتيارات المخالفة له. هذا وقد أبان علماء الإباضية على مقدرة كبيرة في الرد على مخالفيهم، ومستوى عالي في التحكم في فنيات الجدل من خلال عرضهم للمسائل الكلامية والاستدلال عليها في مصنفاتهم، أو من خلال المناظرات المباشرة مع مخالفيهم.

الكلمات المفتاحية: الإباضية؛ علم الكلام؛ العزابة؛ المناظرات.

Résumé:

L’objectif de cette étude est de mettre le point sur les efforts fournis par les savants et leurs influences sur divers civilisations et de mettre le doigt sur la valeur culturelle des Ibadites dans la vie idéelle dans le grand Maghreb.

Si l’on veut analyser le mouvement Ibadite, il faudra revenir aux origines à Bassora et ses diverses relations dans l’Histoire Islamique.

Notre objectif est de présenter une vue explicite sur le développement de l’idée Ibadite dans le grand Maghreb, entre la chute de l’état Rustumide et la fin du 6ème siècle Hégirien ainsi que tous ses spécificités car cette période a connu la présence de plusieurs doctrines (Chiite et Acharisme), c’est un indice de conflit entre plusieurs dogmes dans le grand Maghreb. Ce qui rendu cette croyance plus approfondie. Cela ne veut pas dire qu’ils n’avaient pas de controverses, des dissemblances avec leur antagonistes ce qui a prouvé leur haut niveau en débattant face à leurs opposants tout en s’appuyant sur divers affirmations.

Mots clés: Ibadite -Azzaba –Théologie –Débat.